

الصُّرُوفُ

في تاريخ الصحراء

تأليف:
ابراهيم بن محمد الساسي القوامر

تعليق:
الحيدري بن ابراهيم القوامر

الأعداد

ع. الاستاذ / سید قاسم بیگ، مرکز ثقافت

عبداس

بعد الحجة القديسة اليليم هذه نسخة من كتاب
الاصروف في تاريخ الصحراء وسوف نطبعكم عليها
و لم اخبار اقليل و غير ما يهدت للثقافة كتاب
ومعاجه هذه الكتاب من الناحية التاريخية يصير
وثيقة من الدرجة الاولى مدام لم تظهر وثيقة
أدعى منه
واليليم جليل الشكر

الطالب / ابراهيم الفيد شيت

- وادى تركمن حرم ٩/٢/١٩٧٨

وصل حرم ١٢/٢/١٩٧٨

شكر الله
(٥٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ اِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105)

سورة التوبة

تم تحويل هذا الكتاب الى صيغة pdf من قبل جمعية غدامس للتراث و المخطوطات

لدعم الجمعية يمكن الاتصال على الأرقام التالية

00218911000338 أو 00218924666440 ايميل kasemyosha5@gmail.com

يمكن التبرع حتى بكروت الإنترنت



الضروف

تذكر الصخر يوسف

تأليف
ابراهيم بن محمد السابري العوامر

تعليق
الميلادي بن ابراهيم العوامر

الهدايا الوطنية والنويع - الجزائر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تبارك وتعالى :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ
وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ... »

حقوق الطبع محفوظة
للمدار التونسية للنشر
تونس
1977 / 1397

الى روح الشيخ ابراهيم بن عامر

اذا حلت بساحتك الصرور
فذكرك في بنى الدنيا نظيف
واكمل العلم كلهم ضحايا
وعند الله منزلهم منيف
وفي دنيا المحاكم كنت حبرا
فما استهواك في حكم رغيث
وبيكيت اليتامى كل صبيح
وتشكر الارامل والضعيف
وكان الحق في يمينك سيفا
مضاء ليس يحمل به الوصيف
فان نقلوك من بلد عزيز (1)
فلان الشمس يدركها الكسوف
الى اولاد جلال (2) وحيما
وتقرت (3) وليس بها اليث
فنفسى النفس اثبات اكيد
وتعرفه النواسخ والحروف
وان الحادثات لها اختيار
وان الموت للاندسى عيوف
وان الثائبات لها اختيار
ويمتحن المجاهد والمشير

1 - يشير الشاعر الى نفى المؤلف من وادي سوف من طرف السلطان الفرنسية .

2 - بلدة اولاد جلال بالزاب الغربى قرب بسكرة .

3 - مدينة تفرت غربى وادي سوف .

ودارك منزل رجب كريم
 اذا طرقت بكانون (4) ضيوف
 وكانت فيك جامعة الزوايا
 اذ الاسلام ليس به صفوف
 وليس بدیننا حلقات رقص
 ولا طرق التخلف والدفوف
 ولم يك للوظيفة اي شمان
 لديك ، فانت بالعليا شغوف
 وقد علمت ارشاد الحيلوي (5)
 وصوت الحكم في الوادي (6) مخوف
 ومن يجهر باصلاح يعاقب
 وليس هناك قانون لطيف
 وللعربية الفصحى مقام
 لديك ، فليس تعليمه الظروف
 ولم تك ترتضى لغة النصارى
 فباشقها له وزن خفيف
 فان المسخ تعشقه قروود
 ويرضى السليخ من جلد خروف
 وقبلك لم تر الاعراض صونا
 فهتكت المثات بل الالوف
 وللقبيلة الجهلاء قدس (7)
 به تسعى الضغائن او تطوف
 وللمتخاصمين لديك نجح
 فحكمك لا يحمي ولا يحيف
 فالولا ان مثلك كان فيهم
 لقد ردمتهم تلك السيوف (8)

- 4 - يقصد بكلمة كانون شهرى كانون الاول والثاني في فصل الشتاء واشتداد البرد وهو ظرف احوج ما يكون فيه الزائر الى من يستضيفه .
- 5 - كتاب « ارشاد الحيلوي في تعليم ابناء المسلمين بمدارس النصارى » اعتمد المؤلف كحجة لايقاف موجة الاقبال على اللغة الفرنسية والاعراض عن العربية .
- 6 - يعنى مدينة وادي سوف .
- 7 - يشير الى سوء التفاهم الذى كان بين قبائل المنطقة وقد عمل المؤلف على ازالته .
- 8 - قد يعنى ان لولا وجود المؤلف لكثرت المعارك بين القبائل وبالتالي يرتفع عدد القتلى الذين تدفنهم سيوف الرمل .

ومنطقة الرمال مكان عز
 كما عززت جبال او كهوف
 اباء الضيم هم اهل البوادي
 وتقبله المباني والسقوف
 وفي مهر (9) ومهرى (10) ومهر (11)
 جناس نضدت فيه الحروف
 فهذا للمفاوز فى نعرام
 ولا يخشى من السيخ الوظيف
 وهذا للرياضة والمعالسى
 ويركبه الفتى البطل العريف
 وهذا نحلة الحسناء يوتسى
 وكم عقدا (12) به عقد (13) طريف
 وقولك فى الحديث مقال فقه
 وفى التفسير كشاف كشوف
 وعلمت النعيمي (14) المفسدى
 وحمزة (15) والزهور لها قطوف
 فاما يضر الاذناب طعنا
 فمثلك فى الرجال هم الازوف
 وكلهم لهم علم وذكور
 واعلام الجزائر هم الالف
 وتاريخ الصروف دليل صدق
 به التحقيق والعقل الحنيف
 ارى الصحراء بالتاريخ اولى
 واولى الارض فى الصحراء سوف

الاستاذ زهير الزاهري الادريسي

- 9 - مهرى بضم الميم : ولد الفرس .
- 10 - مهرى بفتح الميم : الجمل النحيف السريع العدو .
- 11 - مهر بفتح الميم : صدق المرأة .
- 12 - عقد بفتح العين يعنى به عقد الزواج .
- 13 - عقد بكسر العين ما تزين به المرأة رقيتها .
- 14 - الشيخ نعيم النعيمي : ممن تتلمذوا على المؤلف اثناء وجود هذا بمنفاه ببلدة اولاد جلال .
- 15 - الاستاذ حمزة بوكوشة : من تلاميذ المؤلف ايضا وهو الآن من مشاهير رجال العدالة بالحكمة العليا بالعاصمة الجزائرية .

نبذة من حياة المؤلف

عاش شيخنا المرحوم سيدى ابراهيم بن عالم طرفا كان فيه ثائرا ومعلما ومناضلا . طرفا كان فيه الوحيد يواجه عدوا ليس متمثلا فى الاستعمار فحسب بل كذلك فيمن يحسبون انفسهم من علماء الاسلام فى ذلك العصر . هذا بالاضافة الى ماكانت عليه منطقة سوف من ظلمات التأخر ومن الانحراف الدينى والاجتماعى .

خرج الشيخ ابراهيم الى دنيا العمل وقد اتم دراسته بتونس فوجد منطقة سوف ونواحيها ترضخ لحكم استعمارى عنيف ، مكبلة بنظام عسكري شديد قوامه السيطرة على العقول واخضاع النفوس ، وبث الشقاق والتفرقة بين القبائل بل بين افراد العشيرة الواحدة او الاسرة الواحدة ولم يكن حينئذ من وازع ولا قبس للدين الا ما يجيده البعض من تلاوة القرآن فضربت الجهالة اطنابها وكادت تسود اخلاق الجاهلية الاولى كامل منطقتنا .

فكان اختطاف الفتاة قصد التزوج بها رغم ارادة اهلها وذويها اذ يذهب الشبان فيختطفون او يفتكون الفتاة ثم يسيرون بها الى حيث يريدون من الزوايا او اسرة احد الوجهاء فيودعونها بها الى ان يرضخ اب الفتاة او وليها لعقد زواجها بمن شاءها خوفا من الفضيحة والعار . واذكر ان اولى صرخات الشيخ ابراهيم كانت لمحاربة هذه الظاهرة الشنعاء والعادة النكراء .

وكان التنافر والتناحر بين القرى والعشائر بحيث لا تكاد تخلو عندهم مناسبة من المناسبات او موسم من المواسم من التصادم والتقاتل بالعصى والدبابيس وحتى بالخناجر اذا ما احتدم الخصام واشتد النزاع .

وانقسام الاهالي فيما بينهم واختلافهم باختلاف الطرق ما بين قادري ،
وتجاني ، ورحماني وعلوي ، وغيرها مع تضارب اهداف هذه الطرق وتباين
مشاربها .

واخيرا انغماس الشيبية انغماسا كليا في اللهو والخمر والميسر وما الى
ذلك من المحرمات التي لم تلق صوتا يوقف انتشارها ولا ناهيا يزيل خطبها .

ذلك هو جانب من الوضع الذي كانت عليه المنطقة يوم ان ظهر المؤلف على
مسرح الحياة ، يوم ان برز وحده الى الميدان رافعا صوته عاليا ياهر بالمعروف
وينهى عن المنكر لا يبالي بغضب الغاضبين ولا بسخط الساخطين .

رفع صوته لاصلاح ما كان فاسدا وقد رسم لكفاحه خطته المستوحاة من
ذكائه الوقاد فذهب رحمه الله يجمع الناس حوله بعنوان مسامرات دينية
ودروس في تفسير القرآن او شرح سيدى خليل وذلك يوميا بعد صلاة المغرب
بمسجد اولاد احمد المسمى جامع النخلة .

كانت مسامراته ودروسه مركزة على التوعية وايقاظ الضمائر فاستطاع
بفضل ما جبل عليه من فصاحة وصراحة ان يجمع حوله الكثير من الاتباع بل
قلما كان يتخلف من اهل الوادي عن دروسه والاستفادة من تعليماته . وتوصل
بفضل ما عرف به من شجاعة ادبية وغيره وطنية ان يهدي الله على يديه خلقا
كثيرا .

لم يقتصر نشاط الشيخ في نشر التوعية عن مسامراته الليلية بل اقتضى
بعد نظره اتخاذ الطرق اعنى الزوايا باختلافها وسيلة اخرى لبلوغ هدفه لان
الزوايا في ذلك العهد كانت الرباط الوحيد للدين ولانها تضم العديد من طلاب
القرآن لذا فكر الشيخ في ربط صلته بها جميعا والانتماء اليها دونما تحيز .

فقد ولد الشيخ ابراهيم عام 1881 في اسرة تجانية اذ كان ابوه محمد
الساسى تجانيا . ومن عجائب الصدف ان طرفا من الظروف جعلت الشيخ
ينتقل مع امه الى اسرتها القادرية باولاد احمد وفي منزل بالشارع الرئيسى
الذى كانت تمر به مواكب الطريقة القادرية فكانت تلك فرصة جعلته يربط
صلته بالطريقة المذكورة وبذلك اصبح الشيخ تجانيا قادريا .

بقى له حينئذ ان يتعرف على الزاوية الرحمانية اعنى زاوية سيدى سالم فتم
له ما اراد حينما عبر في كتابه « البحر الطافح » عن اعجابه بالشيخ سيدى
محمد الصالح رئيس الزاوية اذاك . اعجب به لانه كان يدير معهدا يضم زهاء

السبعين طالبا من الشاوية والنمامشة تتولى الزاوية ايواهم وتعليمهم القرآن
والانفاق عليهم . اصف الى ذلك عداد الطلاب المحليين . ولا غرو ان تكون
ارحية الشيخ ابراهيم في ذلك لاثقة بتلك الانفجارات التي جاءت له في كتابه
« البحر الطافح » . فالحقيقة التي كان يحوم حولها كلام الشيخ هي حقيقة
الاسلام المنحصرة في النبع الصافى الذى سرى بارض واسعة من الجزائر على
هدى القرآن الى ان جاء نصر الله .

اتخذ الشيخ رحمه الله هذه الزوايا وسيلة للتذكير بالمبادئ الاسلامية
واحياء اللغة العربية التي آلت الى زوال باعراض الناس عنها واقبالهم على اللغة
الفرنسية . فعلت صرخته من اجل ذلك فى دروسه ومن خلال كتاب « الحيارى
وتحذير المسلمين من تعليم اولادهم فى مدارس النصارى » .

كان الشيخ ابراهيم من جلساء شيخ الزاوية والمدير والمعلم وكانت اللغة
التي اختارها لجلب الجماهير لغة القرآن والدين الى ان كون لنفسه صفا انضم
اليه المئات من الزعم والبهيمة وحسى خليفة ، وعميش وغيرها وبذلك علا صوت
القرآن وانتشر فى الافاق وتكونت طبقة من المشبان المثقفين وجمع كبير من
المثقفين .

واذكر ايضا انه كان رحمه الله يخرج بعد كل عشاء من داره فندخل معه
منزلا خاصا بندواته ليلقى علينا مسامرات حول السياسة واخبار المجاهدين
يحرب طرابلس ضد الطليان او حرب تركيا مع البلقان او غير ذلك . وقد
تواصل هذه الندوات الى منتصف الليل . وكان شرب التاي يوميا وما تبعه
من كرمه الحاتمي وكاننا دائما فى اعياد .

اما نضاله داخل المحكمة الشرعية فقد البس المحكمة ثوبها الحقيقى فنظم
الاحكام وطبق كل شئ حسب الفقه الاسلامى لا سيما مذهب الامام مالك .
كما كان المرجع والمفتى فى جميع القضايا . وان حادثة الارامل اللواتي قتل
ازواجهن واغير على ابلهن فى حدود صحراء طرابلس وتامر الحكم العسكريون
عندنا اذاك على الاستئثار بجزء كبير من الدية المالية التي ارسلتها الحكومة
الاطالية لارامل المتعدى عليهم ثم وقوف الشيخ فى وجه المتأمرين وكشف
خيانتهم للامانة ، لاكبر شاهد على نصرته للحق والعدالة ودفاعه عن مصلحة
الضعفاء وبغضه للظلم والظالمين .

حلت اخيرا بحياة الشيخ فترة فقد اثناءها نخبة انصاره . مات فيها صهره
الشيخ محمد العربى . ومات الشيخ محمد الصالح عام 1918 م والشيخ عبد

الرحمان العمودي ورحل الشيخ البشير بوكوشة الى بسكرة فبقى الشيخ
أبراهيم وحده يعالج الظروف ليرضى ربه وضميره واستمر في صراع مع
الأوضاع الى ان ابعد تماما الى بلدة اولاد جلال ثم الى تقرت وبها اصاب بمرض
اودى بحياته .

واخيرا اقول كانت ايام الشيخ 'ابراهيم' كلها جهادا وجلادا . ومع الاسف لا
يسمح لى المقام بالتعرض الى تفاصيل مواقفه البطولية ولا بذكر امور تدعو
الى الاعجاب خصنى بالاطلاع عليها لان المطلوب هنا الاختصار .

فرحم الله استاذى وشيخى ابراهيم بن عامر رحمة واسعة ولا شك انه
من الذين هم احياء عند ربهم يرزقون .

حسنى الهاشمي

استاذ اللغة العربية بوادي سوف

توطئة

سما صافية الاديم اشعة شمس تبعث الدفء في اجسام قلصتها ثلوج
ليالي فرنسا ، اشعة عكستها مياه البحر الابيض المتوسط الاخاذ بجماله
السحري .

ارض بكر ، خصبة يخفى باطنها كنوز حيوية ، معادن طبيعية ، طاقة تحرك
دواليب الصناعة الفرنسية ، جزائر يحيط بها ماء ذهب ذائب .

كيف السبيل اليها ؟ وقد منحها الله لشعب يهيم بها وتثور ثائرتة اذا ما
اشتتم ترايبها . شعب اتخذ الاسلام ديناً والعربية لساناً ، مقومات اصيلة
تغلغل في النفوس ومكنت الصلة بين ماضى الجزائر وحاضرها .

توهم الغزاة - خطا - فصل الماضى عن الحاضر فمارسوا التجربة التى
تناقضت وفطرة الله التى فطر الناس عليها .

ماضى الجزائر لم ينفصل ولن ينفصل عن حاضرها . وحاضرها لا يبتعد
عن ماضيها .

هذه الصلة وهذا التداخل قد عبر عنهما كتاب « الصروف فى تاريخ
الصحراء وسوف » تاليف ابن الواحة المرحوم ابراهيم بن محمد الساسى بن
عامر .

ادرك المؤلف بوعيه الثاقب وعبقريته الفذة خطط الاستعمار الفرنسى بالجزائر
الرامية الى القضاء على اللغة العربية واضعاف العاطفة الوطنية والدينية فكرس
جهوده وسخر جميع امكانياته للدفاع عن كرامة الوطن عن حمى الدين واللغة .

لقد اخذ المؤلف تجربته الثقافية وقيمه الدينية والاخلاقية عن علماء الجريد والجامعة الزيتونية بتونس فمارسها قاضيا يحكم بما انزل الله بلسان عربي مبين في واحة الوادي .

في تقري ، في اولاد جلال المنفى الذي اختارته له غطرسية (قبطان بيرو - عرب) لم يثن عن عزمه هذا المنفى ، ولا التهديدات ولم تصرفه شتى المؤامرات عن رسالته المقدسة دفاعا عن العروبة والاسلام .

شارك ابن الواحة المرحوم ابراهيم بن عامر وجدان قومه فاحس بتعطلهم الى معرفة وطنهم ، تاريخه ، طبيعته ، عناصر سكانه ، حالته الادبية ، فجاد اذك بكتابه الثمين هذا الذي حاول فيه ان يشبع حاجيات قومه الروحية ويروى عطشهم للغة اهلل وسليم .

كان في الامكان ان يضيع هذا الكتاب بعد وفاة مؤلفه وتختفي تلك التجربة مثلما اختفت تجارب عبقرية اخرى . وكان في الامكان ان يهمل هذا التراث في رف تعلوه العنكبوت لو لم يقيض الله الابن البار الوفي لتراث ابيه واعنى بالابن البار اخانا الاستاذ الجليلي العوامر الذي صان الكتاب صونه لنفسه . صانه وهو تلميذ حفظه وهو استاذ بل نقحه و اضاف اليه ما تتطلبه الجزائر من عناية .

تحمل ابن المؤلف في ذلك السهرات العديدة وعقد الرحلات الطويلة المضيئة ليطلع القارئ العربي على حرارة تجربة صادقة ونزيهة . رحلات من عناية الى بسكرة ، الى الوادي الى تقري وتماسين ، الى غير ذلك من الاماكن الصحراوية النائية التشخيص اماكن تضمنها كتاب ابيه لالتقاط صور فوتوغرافية تشعر قراء المغرب والمشرق بصدق عزيمة جزائرية تفانت في حب وطنها وقومها ودينها ولغتها .

قلت صان الكتاب وهو تلميذ فاذا ذكر هنا للتاريخ هذه الحادثة اللطيفة وهي اني كنت وصديقي الجليلي العوامر ، والمرحوم الطيب الشريف نزاول الدراسة بالجامعة الزيتونية بتونس ، فبينما كنا الثلاثة مجتمعين في يوم من ايام مارس 1950 م نتجاذب اطراف الحديث حول حركة التأليف العربي بالجزائر اذ نهض الاستاذ الجليلي ليقدم لنا مخطوط ابيه « الصرور في تاريخ الصحراء وسوف » وسواء من المخطوطات ولكنه لم يجده في مكانه المهود فطال بحثه حتى ظن انه سرق منه وهنا ارتعشت ركبته وخارت قواه فارتدى على فراشه

وكاد يغمى عليه وبذلك اكبرنا فيه هذا الوفاء لتراث ابيه الثقافي ، وتعلقه بوطنه وقومه .

واخيرا ادعو صديقي الحميم الجليلي العوامر ان لا يحرم قراء العربية من الاطلاع على ما بقي لديه من تراث والده لا سيما ما سبق لي ان اطلعت عليه عنده مثل تلك الملاحم الشعرية والمنثورات الاجتماعية وان لا يحرمهم من انتاج ثقافي يعكس كفاحا مستميتا في سبيل الدفاع عن مقومات الشخصية الجزائرية وعن ماض اصيل متين الربط بحاضر مجيد .

محمد بوبكري

خريج قسم الفلسفة - بجامعة القاهرة

تمهيد

عهد الى الاستاذ العوامر الجيلاني بكتابة كلمة كتمهيد لكتاب « الصروف في تاريخ الصحراء وسوف » تأليف والده استاذنا ابراهيم بن عامر ، حيث عقد العزم على طبعه ونشره .

ويجدر بي قبل التعرض للكتاب ان اتكلم عن مؤلفه ، فلقد عرفته فيمن عرفت من شيوخ العلم بوادي سوف ، وقد ولد بها سنة 1881 وتوفي بها سنة 1934 وكان من رجال القضاء الشرعي ، ولم يشغله الوظيف ومشاكله وتبعاته عن التدريس والفتوى ، فكان يلقى درسا صباحا لطلبة العلم ، وبعد صلاة المغرب يلقى درسا في مختصر خليل يحضره الطلبة وغيرهم ثلاث ليالى من الاسبوع ويلقى ايضا دروسا في التفسير ، ولم تتعطل الدروس سوى ليلة الجمعة وصباحها .

ولقد قرأت عليه مقدمة ابن ابي عمير فكانت المسائل التي درسناها عليه يستوعبها ولا يدعو فيها مجالا لقائل ، وما زلت اذكر انه قال ابن ابي عمير والاسم يعرف بالخفض والتنوين تعرض الاستاذ في الدرس لانواع التنوين العشرة ، وقد عابه بعض معاصريه بانه لم يسلك مع المبتدئين ما يقتضيه الحال من التدرج .

ولقد كان التلميذ في ذلك العهد لا يجلس امام شيوخ العلم للتلقى عنهم الا اذا حفظ القرآن او اوشك ان يحفظه .

فكان الشيخ يرى ان اعادة الكتاب بعد ختمه عدة مرات لا يجدي الطلبة نفعا ، لان الطلبة الذين اتقنوا حفظ القرآن او كادوا يحفظونه ، لا يعجزون عن

فهم القواعد النحوية او حفظها اذا جدوا في الطلب فما الفائدة اذن من تدريسهم الكتاب بصورة مختصرة هذه السنة ، واعادة تدريسهم اياه بصورة مطولة في السنة المقبلة ؟

وحضرت عليه دروسا في مختصر خليل ، فكان بعد قراءة المتن يذكر اقوال الشيوخ ويقارن بينها ويوجهها ثم يرجح بينها وينقد بعضها ويعضد ما يرجحه بآية او حديث وقد يخالف صاحب المتن ، وفي بعض الاحيان يخرج من المذهب المالكي الى غيره من المذاهب وذلك دعا معاصريه من الفقهاء الى اتهامه برقة الدين والابتداع وكان كذلك في الفتوى ورائده قول الله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ، وكانت عبارته في الدرس بمنتهى السهولة يفهمها الحاضرون على اختلاف درجاتهم ، وكان مما امتاز به في دروسه انه لا ينهر سائلا مهما كان سؤاله في الدرس ولو كان خارجا عن الموضوع الا اذا كان السائل يريد بسؤاله التعنت او التعجيز فانه ينبره من طرف خفي وكان يقول : واما السائل فلا تنهر .

وقد كان كثير الاطلاع جماعة للكتب مغرما بها ، وقد ترك مكتبة هامة مشتملة على عيون من الكتب لعبت بها الايدي بعد وفاته .

شيوخه : كان كثير الحديث والثناء على شيوخه الذين تلقى عنهم العلم سواء من كان منهم بوادي سوف كالشيخ عبد الرحمان العمودي والشيخ محمد العرابي ابن موسى او من كان منهم بجامع الزيتونة كالشيخ النخلي ، والشيخ الخضر ابن الحسين والشيخ حسن بن يوسف . وقد وجدت هذا الاخير بجامع الزيتونة سنة 1924 وقد اوصانا الشيخ ابراهيم بملازمته فقرات عليه جوهره التوحيد ، ومختصر البخاري لابن ابي جمرة فوجدته ممن يسئل الدعاء منهم وهو مغرم بالكرامات ولا يخلو درس من دروسه من ذكر التصوف ورجاله .

الشيخ ابراهيم والطرق الصوفية :

هو كعلماء عصره قل ان تجد واحدا منهم لا ينتسب الى طريقة من الطرق الصوفية يحتفى بها ، وتحتفى به ، وينتسب اليها وتنتسب اليه سواء اكان ذلك منه عن ايمان واعتقاد او عن تقية ومجارة للعوام الذين من اصول اعتقادهم ان من لا شيخ له فالشيطان شيخه ، وقد يكون شفيح هؤلاء في هذا الاعتقاد ومستندهم قول ابن عاشر :

يصحب شيخنا عمار المسالك

يقيه في طريقه المهالك

وقد كانت هذه الطرق كالحزب السياسية التي تتنازع البقاء والنفوذ بينها تنتشر دعوتها ونفوذها حسب مقدرة دعائها والمعتنقين لها ، وهي حالة شبيهة بحالة شعراء القبائل عند العرب . فالشاعر هو الذي يرفع شأن القبيلة والقبيلة تتمسك بشاعرها وتفاخر به وتنافر ، وهو يدافع عن احسابها وانسابها :

انا النائد الحامي الذمار وانما

يدافع عن احسابهم انا او مثلي

والدعاية للحزب السياسية كانت قديما من الشعراء بالمدح والهجاء والقاء الخطب من الخطباء وفي العصر الحديث اصبحت بانشاء الصحف وتاليف الكتب ، وقد الف الشيخ ابراهيم كتابا تحت عنوان « البحر الطافح ، في فضائل شيخ الطريق سيدي محمد الصالح » . طبعه بالمطبعة التونسية ، والشيخ محمد الصالح الذي الف فيه هذا الكتاب هو من شيوخ الطريقة الرحمانية بوادي سوف والشيخ ابراهيم مؤلف هذا الكتاب من اخوان الطريقة القادرية وهذا ان دل على شيء فهو يدل على ان الشيخ ابراهيم غير متعصب لطريقة دون طريقة ، وانه يرى ان الطرق وان اختلفت اسمائها فهي ترجع الى اصل واحد وهو طريق الجنيدي امام السادة الصوفية ، او انه يرى ان هذه الطرق ضرورة اقتضاها الزمان والمكان ، وهي مرحلة لا بد من اجتيازها والشيخ ابراهيم وان كان من اخوان الطريقة القادرية فهو لم يخضع خضوعا تاما لاشياخها فلم يكن كالميت بين يدي غاسله كما تقتضى التعاليم الطريقة .

ويدلنا على ذلك انه كان من المارقين عن المثل الوحيد للطريقة القادرية بالجزائر الشيخ الهاشمي بن ابراهيم ومركز زواياه بعميش من أحواز الوادي فشاقه الشيخ ابراهيم ولم يخضع له ولم يأخذ عنه ، وذهب الى توزر بالجريد التونسي وأخذ عن ممثل الطريقة القادرية هنالك الشيخ المولدي ومدحه بقصائد وأنشيد ينشدها الاخوان في المناسبات والمواسم ، ولم يكتف الشيخ ابراهيم بهذا بل كان في كل سنة يجمع ثلة ممن اتبعوه وأخذوا العهد على الشيخ المولدي ويذهبون في ركب لزيارته بتوزر .

ولست أدري هل كان ذلك منه اعتقادا صادقا في الشيخ المولدى أو يتصدد من وراء ذلك مضايقة الشيخ الهاشمى او تفريق كلمة الطريقة القادرية .

تأليفه

للشيخ مؤلفات علمية لها قيمتها بالنسبة للزمن الذى الفت فيه منها شرح نظم كتاب الكافى فى العروض والقوافى ، وذلك ان الشيخ المولود بن الموهوب مفتى قسنطينة رحمه الله نظم ذلك الكتاب واسماه « التبر الصافى فى نظم الكتاب المسمى بالكافى فى الشعر والقوافى » فشرحه الشيخ ابراهيم وسمى الشرح « بمواهب الكافى على التبر الصافى » طبع فى تونس سنة 1323 . وتوجد نسخة من هذا الشرح فى المكتبة الوطنية بالجزائر ضمن مجموعة تحت رقم 1680 .

وشطر بطما للشيخ المولود بن الموهوب فى ذم البدع سماه « مطالع السعود تشطير أدبية المشيخ المولود » . ونشر ذلك بعدد 50 من جريدة الفاروق سنة 1914 . واختصر نظم الرحبية فى المواريث وشرحه وسمى الشرح « المسائل العامرية على مختصر الرحبية » وطبعه بالمطبعة التونسية . وله كتاب « النفحات الربانية على القصيدة المدنية » وغير ذلك من المطبوعات .

وله تأليف لم نطبع ، منها رسالة يثبت بها نبوة خالد بن سنان وضريحه بالبلدة التى سميت باسمه تحت عنوان : « حد السنان ، فى عنق المنكر لخالد بن سنان » .

وهذا الكتاب الذى نقدمه الآن وهو « الصروف فى تاريخ الصحراء وسوف » هو وثيقة تاريخية من الاهمية بمكان ، ولها شأن وأى شأن اذ لم يمسه محققه بأذى من تعديل او تغيير او تقديم او تأخير ، فلقد تعرض لتسمية هذه الناحية بهذا الاسم وأطنب فى وصف ترابها واحجارها وانجوارها ، وعمرانها وصفة عيش أهلها وصفة جوها وذكر اول من سكنها ومرور العرب بها ومرور العلويين بها أول مجيئهم الى المغرب ، وانتقال طرود اليها ، وذكر انساب القبائل واسمائها وما كان بين أهل سوف وأهل تونس وأهل طرابلس من صلات وتواتر أرخ لهذه الناحية منذ عرفت فى التاريخ الى الاحتلال الفرنسى واستند فى ذلك على بعض المخطوطات كتاريخ العدوانى وغيره ، وعول فى

بعض الاخبار على أقوال المعمرين من الشيوخ الذين أدركهم . وذلك غاية ما وصل اليه ، وليس هو بالامر اليسير .

ومهما يكن من شئ فكتاب « الصروف » وثيقة تاريخية سيقدرها طلاب التاريخ قدرها ، ولا ينبئك مثل خبير .

حمزة بوكوشة

مقدمة الكتاب

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . . .

وبعد فهذه نبذة لطيفة ، ومسائل شريفة ، فى بيان احوال الصحراء وسوف (I) وما اشتملت عليه من الحوادث والصروف (2) سبلها ولاة الامور (3) ومن حولهم رضى الاحكام تدور ، وعلى الله الاتكال ، واليه المرجع والمآل .

1 - ضمن مجموعة من المخطوطات قد تركها والدى المرحوم ابراهيم بن محمد الساسى بن عامر الملقب العوامر وصاحب هذا الكتاب ، عثرت على مخطوطين اثنين يتعلقان بتاريخ منطقة الصحراء عامة وسوف خاصة . اما المخطوط الاول فقد صممه كمسودة شرع فيه سنة 1913 م ، الموافقة لسنة 1331 هـ . واطلق عليه اسم : « كتاب الصروف فى تاريخ سوف » . واما الثانى وقد شرع فيه سنة 1916 م ، الموافقة لسنة 1334 هـ ، فهو من حيث محتواه العام نسخة من الاول غير انه قد ادخل عليه بعض التعديلات وصار متناسبا ان يطلق عليه اسم : « الصروف فى تاريخ الصحراء وسوف » وهو الذى اعده للطبع والنشر . وقد حرصت على الاحتفاظ به الى ان حان ظرفنا هذا لنشره . لذا فان ما عسى ان يكون قد نسب او سينسب للمؤلف من الاقوال فى هذا الموضوع غير ما ذكر هنا فالمؤلف منها براء .

2 - الصروف : جمع صرف ، يقال صروف الدهر معناه تقلباته وتغير احواله - وقد اطلق المؤلف كلمة الصروف على الكتاب بناء على ان منطقة سوف عاشت عبر تاريخها شتى صروف الزمن وتقلباته . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان صيغة صروف تتفق من حيث السجع مع صيغة سوف والمؤلف كثيره من القدماء كثيرا ما يميل الى هذا الطابع فى كتابته .

3 - ولاية الامور : يعنى بهم رجال السلطة المحلية فى ذلك العهد - اما السبب فى احجام المؤلف تقديم هذا الكتاب ونشره فهو الجفوة التى حدثت بينه وبين الادارة الفرنسية تاريخه على اثر خلاف اتهمته عنده بالتمرد على السلطة فنشأ عنه سجنه ثم ابعاده من وادى سوف الى بلدة اولاد جلال بالزاب ومنها الى تفرت حتى وافاه الاجل سنة 1934 .

المغرب الاوسط

يحد المغرب الاوسط (I) المعبر عنه الآن بالجزائر من جهة الشمال أو الجوف ،
أو الظهرة البحر الرومي (2) .

ومن جهة الجنوب ، أو القبلة ، الجبال المتهيلة (3) والكثبان (4) الممتدة نحو
بلاد السودان ، وتعرف عند العرب الرحالة البادية بالعرق (6) .

ومن جهة الغرب بلاد المغرب الأقصى وما والاها جنوبا (7) .

ومن جهة الشرق تونس وطرابلس .

وينقسم المغرب الاوسط الى قسمين متميزين (8) الاول شمالى حيث البحر
والانهار والجبال والتلول . والثاني جنوبى حيث الصحراء الواسعة برمالها
وبواديها ونخيلها (9) .

وأشهر مدن (10) المغرب الاوسط بالشمال والوسط مدينة الجزائر التي هي
قاعدته (II) الآن ، ومدينة وهران ، وتلمسان ، ومسنغان ، وسيدى بلعباس ،
ومعسكر ، وقسنطينة ، وبجاية ، وسكيكدة ، وعنابة ، وسطيف ، وتبسة .

1 - كان العرب منذ قديم يسعون ارض الجزائر المغرب الاوسط لتوسطها بين المغرب الاقصى
والمغرب الادنى اى تونس .

2 - البحر الرومي يعنى به البحر الابيض المتوسط .

3 - الجبال المتهيلة يعنى بها جبال الهقار .

4 - كثبان : ويقال كثب ، وكثبة جمع كثيب وهو التل من الرمل .

5 - بلاد السودان يعنى بها مالي والنيجر .

6 - العرق جمعه عروق ، منطقة جبلية رملية ممتدة الاطراف .

7 - ما يلى المغرب الاقصى جنوبا هي المسماة الآن موريطانيا .

8 - مساحة الجزائر حسب ما جاء في كتاب جغرافية الجزائر والمغرب هي 381 000 2 كلم
مربعا . وحسب ما في كتاب اطلس الجزائر والعالم هي 466 833 2 كلم مربعا .
منها 420 000 كلم مربعا منطقة شمالية والباقي منطقة جنوبية صحراوية جاء في غرضها
تحدد الجزائر على مساحة 300 000 2 كلم مربعا : الشمال من الساحل الى جبال الاطلس
الصحراوي ومساحته 300 000 كلم مربعا ، والجنوب وهو يشمل الصحراء ومساحتها
2 000 000 كلم مربعا .

9 - يطلق على المنطقة ذات النخيل اسم واحات .

10 - ومن المدن الجزائرية المشهورة ايضا مدينة البليدة ، وتيارت ، وسعيدة ، وشرشال ،
وجيجل ، وغليزان ، ودلس ، ومازونة ، والعلمة ، ومسيلة ، والمدينة ،
والمنيعية ، وقصر البخاري ، والقلعية ، وميله ، وقلعة بني حماد ، وعين بسم
والقالة ، وعزابة ، وسوق اهراس ، وباتنة ، وجامعة ، وتماسين ، ونمراست
وسيدى خالد ، وبشار ، وغير ذلك .

II - قاعدته : يعنى عاصمته .

وفى الجنوب والصحراء مدينة بسكرة ، وطولقة ، وسيدى عبقة ، واولاد
جلال ، وتقرت ، وورقلة ، والاغواط ، وغرداية ، وبوسعادة ، والجلفة ، وعين
صفراء ووادي سوف .

وكان المغرب الاوسط عامرا أهلا بسكانه منذ أقدم العصور وغابر الدهور (I2)

وبين الاولين قدم اليه قوم يقال لهم البربر استوطنوه الى الان . ثم
توالت عليه قبل الفتح الاسلامي أقوام جاءت من الشرق والغرب وهم على
الترتيب : الكنعانيون ، فالرومان ، فالغندال ، فالروم ، كما سيأتى تفصيل
ذلك ان شاء الله .

ولما بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق بالاسلام بشيرا
داعيا الى نشره بين الانام جاء العرب المسلمون الى المغرب فاتحين وبدن الله
مبشرين ومنتصرين .

12 - اكده المؤرخون ان ارض الجزائر كانت عامرة منذ العصر الحجري باقوام غير المتضر البربري
كانوا يسكنون المغاور والكهوف .

وفقهاء ومصلحين اذكر منهم على سبيل المثال الشيخ عبد العزيز الشريف
الذي عرف بتحديه للسلطات الفرنسية والذي ألب أهل سوف على نواب
الوالي الفرنسي وارادها ثورة في منطقة عسكرية .

وما ان بدأت الحرب التحريرية الجزائرية حتى كان أهل سوف من المتحمسين
لرفع مشعل الثورة ضد الاحتلال الاجنبي وقد سجل ابناءؤها أثناء الكفاح
وقائع بطولية كانت محل اعجاب العدو والصديق . واستشهد من رجالها
عدد كبير ان يطل ذكرهم هنا فالتاريخ كفيل بحفظ أسمائهم ضمن صفحاته
الذهبية .

لذا نود أن يهتم أهل هذه المنطقة بماثر علمائهم واهياء ذكرى أبطالهم
والاعتناء بتاريخ أرضهم الطيبة وما أسدته للعروبة والاسلام من عمل صالح
وكفاح مرير ومقاومة بأسلة في سبيل المحافظة على الشخصية الجزائرية .

وادی سوف

تستمل منطقة سوف على الكثير من المداشر والقرى المنتشرة هنا وهناك
وقد تقدم داخل الكتاب جل اسمائها . وقاعدتها مدينة الوادی المعبر عنها
بمدينة آلاف قرية والواقعة مسافة مائتين وعشرين كيلومترا جنوباً من مدينة
بسكرة .

اشتهر أهل منطقة سوف بالحيوية والذكاء في الميدان العلمي والاقتصادي
وبميل كبير للعلماء والمصلحين . كما اشتهروا بالتدين والاخلاق الفاضلة .

كانت نسبة الثقافة العربية عندهم مرتفعة جدا ولا فرق في ذلك بين
رجالهم ونسائهم كما كان الطابع العربي واضحا في لون تفكيرهم وتقاليدهم ،
بارزا في عوائدهم وسلوكهم يجلون الكرم والوفاء بالعهد والامانة . غيورون
على لغتهم ودينهم ووطنهم غيرة نابعة عن نفس طاهرة خالصة لله وللوطن .

وكانت لغة التخاطب عندهم أقرب ما تكون من لغة أهل الجزيرة العربية
اذ يحس السامع في لهجتهم وأسلوب خطابهم أسلوبا قرانيا ، ايجاز في
اللفظ وسمو في المعنى ونبرات رنانة ذات إيقاع موسيقي جميل وصدق في
التعبير عن مكنونات قلب طاهر ونفس صافية ينشدان الخير والحق والجمال .

ومن المعروف أيضا عن أهل سوف تعطشهم للعلم والتعلم وتحمسهم للمبادئ
الاسلامية والحركات الوطنية فلم تخل منطقتهم عبر تاريخها المديد من علماء

X - هذا التقديم لبعض الاماكن التي تستمل عليها منطقة سوف (وادی سوف - بسكرة -
تقرت - ورقلة - غرداية - الاغواط) لم يكن ضمن المخطوط ، بل هو من اضافات الملق

بسكرة

بسكرة مدينة جميلة ومن أشهر الواحات الصحراوية وتدعى أيضا ملكة الجنوب ، معتدلة الطقس في الشتاء ، حارة في الصيف ، تقع بمنطقة الزاب الغربى .

كانت بسكرة احدى القرى البربرية القديمة وكانت تسمى فسيكرة في عهد لبرابرة . وقد تركزت بها الديانة المسيحية ابتداء من العهد الرومانى فانتشرت في مناطقها الدور والكنايس الى أن فتحها العرب بقيادة عقبة بن نافع الذى قتل باحدى ضواحيها المسماة الآن باسمه أى بلدة سيدى عقبة .

وبعد أن تداول عليها الحكم الاغلبى فالحمادى فالمرينى فالحفصى فالتركي ، استولى عليها الحكم الفرنسى سنة 1844 م اثناء غزوه لارض الجزائر .

غير أن أهالى بسكرة كانوا كسائر اخوانهم الجزائريين رافضين لهذا الاستعمار فلم يستكينوا مرة طيلة عهد الاحتلال للحكم الاجنبى وكان تاريخهم حافلا بالحركات الثورية والنشاطات الحزبية التى تعبر للمستعمر عن سخطهم وعدم رضاهم به وعن عزمهم الصادق على الاطاحة به والتخلص منه . كما كانت بسكرة دائما أهم مركز للثقافة العربية الاسلامية والاصلاح الاجتماعى فى الجنوب لاسيما نشر مبادئ جمعية العلماء الجزائريين التى كان يقودها المرحوم الشيخ عبد الحميد بن باديس .

تقرت

تقرت مدينة من مدن الواحات الشهيرة ، تقع بين بسكرة جنوبا من ناحية ، ووادى سوف غربا من ناحية أخرى .

كانت مدينة تقرت مركزا اداريا للمنطقة العسكرية فى عهد الاحتلال الفرنسى كما كانت مركزا تجاريا وفلاحيا اختارها المعمرون الاجانب لذلك نظرا لحسن موقعها اذ كانت تقرت قريبة من مدينة بسكرة التى هى الحد بين التل والواحات وكانت بين التراب العسكرى والتراب المدنى .

وتقرت اليوم أيضا ذات أهمية اقتصادية لوجودها قرب منابع البترول .

يمتاز أهل تقرت ومنطقتهم بانتشار الثقافة الحديثة بينهم والاسلوب الحضارى فى العيش . وجههم للعلم والعلماء . فقد نشأت بمنطقة تقرت منذ القدم حركات ثقافية كانت أولا من الداخل لوجود روح اسلامية عربية لدى أهاليها . ثم تغذت هذه الروح بفضل الصلة الثقافية العميقة الجذور عبر التاريخ بين واحة تقرت ووادى سوف من ناحية وبين واحات تقرت والجريد التونسى من ناحية أخرى . فكان علماء وادى سوف ونقطة وتوزر يفدون أفرادا وجماعات الى تقرت وضواحيها وأذكر على سبيل المثال الشيخ مبارك المازقى التوزرى الذى كان يقدم كل سنة الى بلدة تماسين احدى واحات تقرت وينزل بمحل المرحوم الشيخ الفاضل احمد بوبكرى اذ كان هذا الاخير أيضا فقيها ومحققا ومجبا للعلم والعلماء الامر الذى جعله يخصص منزلا للوفدين من علماء وادى سوف والجريد التونسى وقد درس كثير من أهل تماسين النحو والصرف والفقه والحديث والفرائض والاصول على الشيخ مبارك المازقى وما زالت لحد الآن صلة ودبة بين أسرة الشيخ بوبكرى وأسرة المازقى .

ومن العلماء الذين لهم صلة أيضا بهذه الناحية الشيخ عثمان بن المكي التوزري ، والشيخ العربي القيرواني المدرسان بالجامعة الزيتونية ، ولهما تأليف كثيرة . كما توجد ببلدة تماسين أسرة علمية ماجدة هي أسرة المرحوم الشيخ أحمد الزكيزكي عالما وأديبا ومتصوفا ورعا وقاضيا عادلا محبا للعلم وأهله وكان قد خصص هو كذلك دارا لنزول العلماء تسمى دار لاله ماله . وب نفس البلدة أسرة علمية أخرى هي أسرة بالربيع . اشتغل كثير من أفرادها بالقضاء والتدريس . وببلدة تماسين أيضا الزاوية التجانية الشهيرة . وإخلاصا للحقيقة التاريخية : ان رجال الزاوية التجانية المذكورة قاموا بدور عظيم في سبيل حفظ القيم الاسلامية والروح العربية في هذه الربوع . متنوا الصلة الثقافية بين علماء تونس وأهل واحات تقرت . كانت الصلة بين الزاوية التجانية المذكورة وتونس متمثلة في انتشار المبدأ التصوفي للولي الصالح الشيخ احمد التجاني بتونس بواسطة الولي الصالح الشيخ الحاج علي التماسيني وخلفه ، وفي الجامعة الزيتونية التي تعتبر عند أهالي واحات تقرت المثل الأعلى لطلاب الثقافة الاسلامية العربية . كما نبغ كثير من أسرة التجانية في الثقافة الاسلامية والآداب العربية منهم الشيخ العجاني محمد الصغير الذي امتاز بسمة العلماء من تواضع وبساطة ودمائة اخلاق . وكان يدرس الفقه والتفسير والحديث والنحو والصرف في مكان ضريح الشيخ الحاج علي التماسيني . ومنهم الشيخ محمد السايح الذي عرف برقة شاعريته فكان شعره على غرار البحري وابن زيدون ، وهو مع ذلك نائرا على غرار الجاحظ وابن قتيبة . ويعتبر هذا الاديب من أكبر أصدقاء الشاعر التونسي الشيخ العربي الكبادي ، كما كانت له صلة بكثير من علماء تونس وأدبائها . وقد نبغ من أسرة التجانية غير ما ذكر من العلماء والادباء يطول الحديث عنهم واليهام يرجع الفضل في تمسك منطقة تقرت بعروبيتها واسلامها .

ورقلة

ورقلة ، أو هرقله ، أو اركلي كما كانت تدعى سابقا هي إحدى الواحات الشهيرة بكثرة نخيلها وجودة تمورها على مسافة 160 كلم جنوبي واحة تقرت . كانت منطقة ورقلة أهلة منذ عصور قديمة بعناصر بربرية . وقد استولى عليها الرومان حينما من الزمن في عهد وجوده بالشمال الافريقي . وعلى اثر حروب متتالية بين الغزاة والبربر أجبر الرومان على الانسحاب من المنطقة وتركها لأصحابها . غير أن صراعا دخليا جد بعد ذلك بين تلك القبائل البربرية أدى الى تشتت شملهم وفقدان نظامهم وأمنهم حتى جاء الفتح الاسلامي .

كانت حياة ورقلة الاقتصادية قديما أكثر ما تعتمد على ما تستورده بالقوافل من بلاد افريقيا الوسطى عن طريق الصحراء الكبرى . أما اليوم فقد اشتهرت بأسواقها في مختلف منتوجاتها الداخلية من تمر نخيلها لاسيما تمر دقلة نور ، ومن صناعاتها التقليدية ذات الطابع الصحراوي الجميل . كما أصبحت بفضل تقدم عمرانها الحضاري وتوفر مرافقها العصرية وجوارها لمنايع بترويل حاسي مسعود ، خير مكان سياحي يقصده آلاف السواح من الداخل والخارج .

وقد عرف أهالي ورقلة منذ القدم بالشجاعة النادرة والذود عن حمى الوطن وهذا ما رغب البطل الشريف بوشوشة سنة 1871 م في أن يجعل من ورقلة قاعدته العسكرية لمحاربة الغزو الفرنسي بالجنوب وأن يختار جل جنده من أبناء ورقلة مثل المخادمة والشعانة وغيرهم ممن صمدوا أمام جيش الاحتلال وكبدوه أمدح الحساثر في الانفس والعتاد .

ولم يفت أخيرا أحفاد أولئك الأبطال أن يسيروا على منوال أجدادهم فكانوا عند الحرب التحريرية ضمن اخوانهم الجزائريين من المستجيبين الاولين لنداء الوطن وأعلنوها حربا بطولية ضد المستعمر حتى النصر . وبذلك قد أضافوا صفحة ذهبية جديدة لتاريخ كفاح ورقلة المجيد .

العتيق ، والاسوار التاريخية المحيطة بالمدينة كل ذلك كان باعثا على الروعة والجمال في نفوس الزائرين . ولا يقل عن ذلك ما يشعر به الزائر عند تنقلاته عبر منطقة غرداية مثل مدينة مليكة المنتصبة على مرتفعها الصخري ، ومدينة بنى يزقن ببرجها الجميل بوليلة ومدينة نورة ذات الهندسة العجيبة ، والعطاف ومتليلي ، وبريان وقرارة وغير ذلك . ان هذه المدن كلها بما لها من طابع أصيل ، ومناظر ممتازة تدعو الزائر الى التقدير والاعجاب .

وأهل هذه المنطقة هم المزابيون الذين نزحوا الى جنوب ورقلة في بادئ الامر عندما انتهت الدولة الرستمية التي حلت محلها الدولة الفاطمية . ثم انتقلوا نهائيا من جنوبى ورقلة الى الشبكة ، موطنهم الحالى حيث شرعوا يؤسسون مدنهم المذكورة آنفا .

فالى المزابيين يرجع الفضل في عمران هذه المنطقة ونشر العلم والحضارة في ربوعها وبعث الحياة الاقتصادية في أرجائها .

غرداية

مدينة غرداية أو جوهرة الواحات كما يعبر عنها هي قاعدة منطقة بنى مزاب ، ومن أشهر المدن الصحراوية .

توجد مدينة غرداية جنوب الاغواط وعلى الحافة اليسرى من وادى مزاب ، وتسمى هذه المنطقة بالشبكة أو بلاد مزاب .

قيل ان مدينة غرداية أسست في القرن الحادى عشر ، ويحكى أن الشيخ بابا ولد جمعة كان في ليلة من الليالى سائرا في طريقه اذ رأى عن بعد قبسا من نور فاتجه نحوه واذا به يجد نفسه امام غار تسكنه امرأة بانفرادها قد اتخذت هذا الغار مقرا لها ، فاستأنس الشيخ بابا بالمرأة واستأنست به ثم اتفقا على الزواج فتزوجا وبقيتا معا في ذلك الغار فكان الغار نواة لمدينة سميت باسم المرأة وهي داية ، ف قيل غار داية معناه الغار الذى تسكنه داية .

ومدينة غرداية الآن من أهم المدن التجارية بالواحات وسوقها من كبرى الاسواق نشاطا . اشتهرت غرداية ونواحيها بالمصنوعات الجلدية مثل الاحذية ذات الطابع الصحراوى والمحفظات وغيرها ، وبالمصنوعات الصوفية مثل البرنس ، والجلابية ذات الرسوم الهندسية .

وعرف عن أهل غرداية نشاطهم الاقتصادى وتمسكهم بمبادئ الاسلام الحنيف وتضامنهم المتين وتعاونهم على البر والتقوى .

مدينة غرداية من أجمل الاماكن السياحية ، فهندسة المدينة وشكلها الخاص، ومسجدها ذو الطابع الاصيل بصومعته المشرفة على كامل المدينة ومتحفها الفلكلورى التقليدى ، وغار لاله سهلة (غار داية) والسلود التقليدية ، والقصر

الاغواط

الاغواط احدى المدن الجنوبية الشهيرة المعروفة بواحتها البديعة .

يقول الاستاذ احمد توفيق المدنى فى تأليفه « كتاب الجزائر » ما يلى :
« الاغواط من أبداع مدن الجنوب ، واقعة على وادى مزى . وبها سدود محكمة عربية على هذا الوادى لتوزيع المياه فى الواحة البديعة التى تشمل نحو 32 الف نخلة . وقد كانت الاغواط مؤسسة قبل قدوم الهالين ثم استوطنوها الاحلاف او اولاد سرين . وكانت ايام الاتراك تدفع اقاوة للجزائر بانتظام . فلما وقع الاحتلال استولى عليها الجنرال ماراى مونج سنة 1844 م بدون مقاومة تذكر الا انها ثارت بعد ذلك فى وجه السلطة الفرنسية فهاجمها الجنرال بيليسى يوم 4 ديسمبر 1852 م واشتعلت بين الفريقين نيران معركة حامية كانت نتيجتها تحطيم الاغواط ومعاقبتها بكل صرامة . والاغواط اليوم مركز تجارى عظيم ، ويصنع بها الحرير ، والصوف بصفة متقنة . وبها نهضة اسلامية عربية يرجى لها كل خير ، وتعلق عليها الآمال ... »

نعم كانت ولا تزال بالاغواط نهضة اسلامية كما ذكر الاستاذ المدنى بل هى من اهم المراكز الاسلامية . فرغم انتشار الثقافة الفرنسية بها لم يفقدها ذلك طابعها العربى الاسلامى ولم تزل غيرة أهلها على العروبة والاسلام متقدة . ولم يزل الكرم العربى من أبرز شيمهم . وما انفكت ذلاقة اللسان العربى المبين بادبية فى حوارهم ومجادلتهم . فقد بذل الاستعمار قصارى جهده وبمختلف الاساليب العلمية محو ما بالاغواط من اثر عربى اسلامى عميق الا انه لم يفلح من ازالة صبغة الله التى صبغ عليها اهل المنطقة . وهذه ظاهرة يجدر بأهل الاغواط أن يدركوها ، وعى ظاهرة تثبت عمق شخصيتهم الحضارية .

حدود سوف

يحد أرض سوف من جهة الشمال المعبر عنه بالجوف أو الظهرة : بسكرة ، والحوش ، وسيدى محمد بن موسى ، والفيض ، والزرائب ، والميتة ، وبودخان .

ومن جهة الشرق : نقرين ، وافرکان ، ونفطة ، ونفزاوة .

ومن جهة الجنوب المعبر عنه بالقبلة : واحات طرابلس وغماس وما والاها .

ومن جهة الغرب : ورقلة ، وتماسين ، وتقرت وما أضيف لها من القرى التى تمر على طريق بسكرة منها اليها .

فمن الوادى الذى هو قاعدة سوف الآن الى بسكرة خمس مراحل (1) لسير القوافل المعتاد .

والى بودخان ونقرين وافرکان خمس مراحل أيضا .

والى نفطة أربع مراحل أو أقل .

والى واحات غدامس سبع عشرة مرحلة تقريبا .

والى ورقلة ست مراحل .

والى تقرت ثلاث مراحل أو أقل (2) وائله أعلم .

1 - مراحل : مفردا مرحلة . وهى المسافة التى تقطعها القافلة فى اليوم وتتراوح بين خمسة وثلاثين واربعين كيلومتر (كلم) .

2 - المسافة : من الوادى الى بسكرة 220 كلم - نفطة 116 كلم - غدامس ، تختلف حسب الطرق المؤدية اليها فى اتجاه جوى تقدر بنحو 550 كلم - ورقلة 255 كلم - تقرت 95 كلم - نقرين 163 كلم - وافرکان 150 كلم .

وقيل سميت بمسوفة (4) فرقة المثلثين (اهل الشام اى النقاد) من البرابرة . ففى ابن خلدون ما يفيد انهم مروا بهذه الارض فلعلهم سكنوها زمنا او فعلوا فيها شيئا فسميت بهم .

وقال القدماء : حين اتى طرود الى هذه النواحي قالوا نسكن تلك السيوف (5) اى الاحقاف والكتبان من الرمل . والسيوف جمع سيف اى كتيب من الرمل فحذفت الياء بكثرة الاستعمال وتداول اول السنة العامة عليها مع عدم محافظتهم على اصول الكلمات فصارت الذاهب والآتى يقول ذاهب الى سوف او كنت فى سوف ، والله أعلم .

تسمية سوف

كانت أرض سوف فى القديم تسمى الظاهرة . قال القدماء (I) انها سميت بذلك لانها أول قطعة من الارض ظهرت بعد أرض نقطة حين انحصر عنها ماء الطوفان ، كما ان أرض نفاوة ظهر منها جانب فى ذلك العهد وهو الى الآن يسمى الظاهر .

ثم صارت تسمى أرض سوف (2) قيل لانها كانت محلا لاهل الصوفة لان كل عابد من اهل التصوف يثقطع للعبادة فيها .

وقيل سميت بذلك لان اهلها الاولين كانوا يلبسون الصوف من اغنامهم لعدم وجود غيره من المنسوجات عندهم .

وقيل كان بها رجل عليم اى صاحب حكمة يسمى ذا السوف فسميت هذه الارض به ، والسوف فى اللغة معناه العلم او الحكمة .

جاء فى كتاب تغريبة بنى هلال : « قيل ان اهل سوف حين دخلت العرب افريقية دخلوها . . . وسوف التى ذكرها هى المكان المعروف الآن بسوف البصرة بقرب مدينة حلب الشام . فلعلهم أتوا الى هذه الارض فسميت بهم » (3) .

1 - من المراجع التى اعتمدها المؤلف ما سماه القدماء ويعنى بذلك ما بلغه مباشرة من الشيوخ الطاعنين فى السن الذين عاشوا تلك الاحداث بسوف ولم يزالوا بقيد الحياة او روهوا عن آباءهم واجدادهم .

2 - وقيل ايضا انها مأخوذة من لفظة ازوف وهى كلمة بربرية معناها الوادى وبحكم اختلاف تداول الالسنه حرفت وصارت سوف .

3 - يعنى انه توجد بارض سوريا (الشام) منطقة تسمى سوف ايضا قيل ان بعضا من اهلها قدموا الى ارضنا ضمن العرب الذين دخلوا افريقية فسموا ارضنا سوف باسم منطقة بهم الاصلية بسوريا .

4 - مسوفة او فرقة المثلثين هم المعروفون الآن بالطوارق والمفرد طارق وهم البرابرة الموجودون الآن بالصحراء لا سيما بنواحي تمنراست والهاجار .

5 - سيوف : جمع سيف يطلق على الكتيب من الرمل الممتد واعلاه حاد . سعى بذلك تشبيها له بسيف السلاح القاطع .

قال صاحب النخبة الازهرية : « يطلق اسم الصحراء الكبرى على الاقليم الرملى منظره العام قفر رملى او صخري به بعض المرتفات تبلغ الى مائة متر والى مائتى متر ارتفاعا والى ألف متر والى الفين وخمسمائة متر » (5) .

أما رملها فناعم كالدقيق المنخل ، ملح المذاق ، وفه الحلو والمر والحريف . اذا ثارت الرياح أطارته فى الجو أعمدة قد تغشى القوافل فتدفعها . وفى زمن الرياح لا يستطيع الانسان السير فى أرضها من غير ستر عينيه بزجاج (6) ونحوه خوفا من وقوع الرمل فيهما .

ومن مضار الرمل اذا شرب يحدث ضررا بالكلى لكن صاحبه ينفعه شرب الدهن وخصوصا الزيت .

ومن منافعه ان الدفن فيه يمنع الاستسقاء وهو انتفاخ البطن ويمنع الاورام الرخوة المتكونة من الماء المتحفن بين اللحم والجلد . وينفع لوجع الظهر وضربان المفاصل وثقل الركبتين وإخراج البرد القديم . والضماد به مسخنا أو سخنا يمنع الترهل وهو الارتعاش والاسترخاء (7) .

وأما الوانه فقال الانطاكي هي بحسب ما استولى عليه ، فان غلب عليه الحر اصفر لونه ، وان غلب عليه البرد ابيض لونه وان اعتدل حاله احمر ، وان غلبت عليه الرطوبة المعفنة من قلة الحجر اسود .

وهذه كلها موجودة عندنا بارض سوف فلا أن أكثرها الاصفى ثم الابيض ثم الاسود ثم الاحمر . لكن الاول لا يكون الا على وجه الارض غالبا وقد يكون داخلها ولا يتولد منه حجر فى الأكثر لشدة حرارته . وقد يتولد منه حجر صلب احمر اللون من الحرارة يسمى اللوس . وهو انواع اذ منه المفرد وهو ما يكون قطعا صغيرة غير متشعبة ، وقد يكون قطعا كبيرة وهو يتوالد ، ومنه المركب وهو ما يكون قطعا كبيرة ذات شعب ورؤوس حادة ويسمى الكيشة ،

- 5 - يعنى بذلك سلسلة جبال الهقار جنوب الصحراء . واعلى قمة تسمى طهارة يتراوح ارتفاعها بين 3 000 متر و 3 020 متر .
- 6 - يستعمل اهل الصحراء زمن الرياح منظارا بشكل خاص يقى العينين من الرمل .
- 7 - المعروف عن اهل الصحراء استعمالهم للحمام الشمسى اواخر فصل الصيف وذلك بان يدفنوا ابدانهم ما عدا الراس فى الرمل المشمس قصد تدويرهم من بعض الامراض الناشئة عن البرد والرطوبة من بينها مرض الاستسقاء .

صفة أرض سوف

كانت أرض سوف بساطا مفروشا من رمل وبها شطوط قليلة قرب الوادى (I) فى الجهة الشمالية وفوق ذلك كالتاجر (2) وشط الغرسة وغيرهما وكانت ابها احقاف (3) قليلة فى الكتف وهو على مرحلة من الوادى فى الداحية الغربية بطريق تماسين . وكذلك قرب موضع الزقم الآن وهو المحل الذى نزل به بنو عدوان . بين الطريفأوى والمرتوم وهى بشر فى طريق البهيمه والزقم على سبعة أميال من الوادى .

والرياح كان يثرا على اميال قليلة من الوادى وهو الآن عامر أهل متصل العمران بعميش وبه كثير من النخيل كما سيأتى .

قال صاحب كتاب تفرية بنى هلال : « أتت الرمل الى سوف من طرق الصحراء الكبرى من جهة الجنوب وما زالت تتزايد الى وقتنا هذا » (4) .

وقيل انها تتوالد خصوصا فى سنى الامطار .

قل لآنطاكي : اختلف فى توليد الرمل ففيل انه كطبات الارض من طفل . وقيل تراب انعقد بالبرد وقليل الرطوبات .

والصحيح انه جبال واحجار فتتهدم المياه بطول الازمنة ومن ثم يكثر قرب البحار والاراضى التى قبلت برا .

- 1 - يعنى بالوادى هنا المدينة التى هى قاعدة سوف لا الوادى الجارى .
- 2 - التاجر يعنى به شط التاجر . ترك المضاف واكتفى بالمضاف اليه .
- 3 - احقاف ، وحقوق ، وحقاف : جمع حقف بكسر الميم وسكون القاف : هو كثيب الرمل المستطيل مع اعوجاج .
- 4 - ومما ساعد على زحف الرمال الى ارض سوف نقص الاشجار بها وزوال ما كان بها من غابات فى القديم .

والورد (8) وهو قطع صغيرة تكون كهينة الوردة حين تفتح ، ولصفية وهي قطع يابسة عسيرة التكسر لا رؤوس فيها ولا اغوار وهذه لا تقطع الا بالمعاول . والصوان وهو أشد صلابة من الصفية ومنه القطع الصغيرة والكبيرة . والترشة وهي رقيقة توجد عند الماء او فوقه بقليل وقد تتعقد فتتصلب .

واما الرمل الابيض فلا يكون الا فى الارض غالبا ، وقد يكون على وجه الارض وهو الذى يتولد منه الحجر فى الغالب لبرودته ورطوبته .

قال الانطاكي : حقيقة الحجر تصلب التراب بتوالى الرطوبات ثم الجفاف ، وتختلف ألوانه بحسب محله وغلبة الرطوبة والحرارة بقسميها فان فرط الرطوبة والبرد يوجبان البياض وقتلتهما توجب التكسج (8 م) والحرارة مع مع البيس يوجبان الحمرة .

وما يتولد من الرمل الابيض عندنا انواع مختلفة :

الاول : **التافزة** : ويقال لها الرغوة ، والتريبة والجربة وحجر التراب ، والمشاشة ، والريفة ، والبوغة ، والدبدابة ، والفرشة ، والقارة .

الثانى : **التافزة الحجرية** : وهى المتصلبة التى تكون غالبا قرب الماء بخلاف الاولى فانها تكون على وجه الارض . ومن هذين يكون الجبس الذى به البناء . وهى أيضا المرادة عند الاطلاق بالحجر فى القديم واما الآن فصار يطلق اسم الحجر على اللوس المتقدم الذكر وهو الذى يتم به البناء مع الجبس غالبا .

الثالث : **راس الكلب** : وهو حجارة مخلوطة بالتراب قليلة الصلابة ولونها ابيض تكون مفروشة فى الغالب وقد تكون متكرجة .

الرابع : **الربطة** : وهى حجارة رقيقة جدا تكون طبقات ، بين كل طبقتين تراب ، سريعة التكسر ، شديدة البياض تميل الى الزرقة .

واما التراب الاحمر فلا يكون الا قرب الماء او فى الشطوط ونحوها غالبا وتتولد منه حجارة محمرة مخلوطة ببياض تكون بمحلها صلبة واذا قطعت منه صارت سهلة التكسر وخصوصا اذا يبست وتكررت عليها الرياح ومن يراها يحسبها مركبة من الترسه والتافزة وتسمى عندنا **التربة** .

واما التراب الاسود فيكون على وجه الارض وفى باطنها وتسمى أرضه تنفرت (9) أو غمرة أو الشهباء ، تتولد منه حجارة كأنها التربة الا انها تميل الى السواد . اسمها يضاف الى محلها فيقال لها **حجارة تنفرت** أو **حجارة الشهباء** .

ومن جميع أنواع التراب تتولد حجارة رقيقة على وجه الارض تسمى **البريق** لكن الذى يتولد من التراب الاصفر والابيض هو المسمى عند أهل العلم **حجر قبلى** ويستعمل لتنظيف الثياب وغيرها .

والذى يتولد من الاحمر والاسود يكون له بريق ولمعان تأخذه العامة فى زعمهم انه اذا القى فى نار بمحل أبطل السحر من ذلك المحل . أو تبخر به انسان أبطل عنه السحر ودفع عنه عين السوء .

ويتولد مما ذكر نوع آخر رقيق مفتول ومستطيل : الابيض منه يسمى **حجر الجير** : لانه يحرق فيصير جيرا . والاسود منه يسمى **حجر الظفر** : لان النساء يحرقنه ويستعملنه لقتل الشعر وتسويده .

ويوجد على وجه الارض حجارة تسمى المغرة وهى حمراء مع صفرة تتولد مع التراب الاحمر وهى التى يلتقطها الاولاد فيحرقونها ويخلطونها بالخل ثم يزينون بها الواحهم فى بعض المواسم وغيرها (10) ويسميها أهل الصناعة **الونكل** . وقيل ان هذا الاسم يطلق على الاصفر فقط . كما يلتقطها الرعاة

9 - قال الدكتور ناحج احمد فى كتابه القيم الذى الفه باللغة الفرنسية وسماه سوف الواحات قال ان لفظة تنفرت كلمة بربرية زناية تعنى عندهم الارض التى جرفتها المياه .

10 - يعنى بالاولاد الاطفال الذين يلازمون المكاتب القرآنية لحفظ القرآن الكريم . والمعروف ان لكل طالب منهم لوحة خاصة مصنوعة من اجود الخشب يكتب عليها يوميا نصيبا من الآيات قصد حفظها واستظهارها . واغز شئى عند طالب القرآن لوحته هذه التى لا تفارق ذراعيه طيلة اوقاته بالمكتب . فتكريرا لها يعمد طلبة القرآن فى المناسبات الدينية الى تزيينها بانواع من الاشكال الهندسية الجميلة ذات الالوان المتعددة .

8م - وتسمى وردة الرمل ، جميلة المنظر كالوردة النباتية تماما . يرغب السواح كثيرا فى اقتنائها وحملها الى بلادهم كابدع تحفة يهدونها الى اقاربهم واصدقائهم او يحتفظون بها فى بيوتهم ضمن سائر التحف .

وقد توضع وردة الرمل فى وعاء وتسقى بين الحين والآخر بالماء فتتفتح وتنشعب . 8 - تخرج تخرجها معناه تعفن يقال تخرج الخبز اذا فسد وعلته الخضرة .

فيعلمون بها الاغنام لتتميز غنم كل واحد عند خلطها ، ولتقطعها بعض الناس فيسمحنونها ويخلطونها بالماء ويسقونها لمن به اليرقان .

قال الانطاكي : المغرة طين احكمت الحرارة نضجه فزاد في الحمرة مع يسير صفرة ينتفع بها في الاصباغ وأجودها الرززين الاحمر الخالي من الاجزاء الرملية ...

المغرة تزيل الحكة والجرب دهنا . ومن خضب يده بها ثم غسلها واختضب بالحساء لا يزول رونقها مدة طويلة .

وكان الاولون يجدون على وجه ارض سموف قطع الذهب الصغيرة كالبريتي الذي تقدم ذكره وينهبون فيبيعونها في الجريد ولا يدرون من اين تولدت تلك القطع ، هل من ترابها أو اطارتها الرياح مع التراب من ارض أخرى كأرض السودان . كما انه كان في بعض شطوطها ملح البارود ويظنون ان موضعه كان بقرب الدواهب الآن دفنتها الرياح وكثر عليها الرمل وفسد موضعه .

وليس بها الآن معادن تذكر الا ما كان تحت الارض خافياً عن أبصارنا . وأما الملح فانه يوجد الآن بشط التاجر اي الذي مات فيه رجل يتعاطى التجارة (II) مقبلاً من عين البيضاء كنن مع بنى هلال هناك قبل عمرانها وكان قبل ذلك يسمى شط النازية وشط العجيلة وشط الارواح .

والملح الذي به من أحسن الانواع وهو المسمى من بين أنواع الملح الاندراي والداراني وفي ناحيته القبيلة أي الجنوبية نوع آخر يسمى ملح العجين وبناحيته الغربية نوع أبيض بسواد يسمى المر وبهذا يعلم ان تلك الجهة لا دهنية ولا كبريت فيها لان من كانت كذلك يكون ملحها أسود ليناً دهناً وهو المسمى النفطي .

11 - اما الرواية الثانية في تسمية شط التاجر وهي منسوبة للشيخ العدواني فهي قوله : كان تاجر من عرب مجور اكرى رجلاً يدل به الطريق فلما وصلا الى ذلك الموضع (اي مكان شط التاجر الآن) وكان الزمن صيفاً حدثت الدليل نفسه بالسوء فاختط الطريق (عمداً) فعضش التاجر حتى آيس من نفسه فقال للدليل : لا بد ان تاتيني بالماء فقد ذهب عقلي . ذهب الدليل وابطأ (تباطأ عمداً) لكي يجد التاجر ميتاً (من شدة العطش) فآخذ ما عنده من المال ثم ان التاجر حين آيس (طال انتظاره) حفر بعضاه فنبع له الماء وشرب حتى ارتوى وملا قبرته . ولما كان بعد صلاة العشاء جاء الدليل فوجد التاجر حياً بمائه (عنده ماء) فسمى ذلك الموضع به . الخ .

قال ابو المحاسن : الملح ماء يرد على سبخة فتغلط الحرارة ذلك الماء وتحلله فينعد ملحاً .

فان كانت الارض كبريتية انعقد اسود ليناً دهناً وهو النفطي ، وان كانت الارض طيبة التربة حمراء اللون والماء أكثر من السبخ كيفا انعقد قطعاً شفافة حمراء وهذا هو الهندي . وان كانت الحرارة خفيفة والارض صافية بيضاء انعقدت صفائح بلورية وهذا هو الاندراي . وان كانت الحرارة قوية والبخار متعقناً انعقد قطعاً صافية بين بياض وسواد مع حرافة وهو المسمى الملح المر . وان صحت التربة وصح الماء واعتدلت الحرارة انعقد مختلف الشكل ما بين قطع ودقيق ويسمى ملح العجين .

واجود الجميع وأحسنه الملح الاندراي ثم الملح العجين ثم الهندي اعنى انها في الجودة على الترتيب الاول فالاول .

وجميع مياه سموف الآن مستخرجا من الآبار : منها العذب (I2) الفرات ومنها العذب السائغ ، ومنها الممتزج ، والملح المذق ، والملح الاجاج (I3) والماء المر . وهي متفاوتة حسب الترتيب المذكور الاول فالاول .

وأجودها ما كانت بئرها قصيرة تدرىها الرياح وتبلغ لها الشمس أو تقاربها ، وأردؤها ما كانت بئرها بعكس ذلك أو كانت قليلة السقي منها بحيث يصير ماؤها راكداً ، أو كانت قرب شجر تنزل الى قعرها عروقها ، أو كانت قرب مزبلة أو مرحاض تنزل الى قعرها أو صاخها ، أو كانت البئر مغلوقة أو في وسط بيت لا تدخله الشمس ، أو كانت غير مرتفعة عن الارض بحيث اذا أريق ماء بقربها ترجع اليها الاوساخ التي حولها أو طالت مدتها وكثر فيها الطحلب ونحوه أو كان بقعرها كبريت أو غيره من المعادن ، أو كان تراب قعرها رخوا اسهل الاختلاط بالماء فتعسر تصفيته لشدة امتزاجه .

ثم ان جميع ماء سموف به شيء من التافزة المتقدم ذكرها لا تفارقه . فاذا طبخ او قطر او صفى بثوب رقيق يتخلف ذلك الشيء بالاناء الذي هو فيه .

I2 - عذب : معناه حلو . ماء عذب اي ماء حلو .

I3 - اجاج : معناه مر عكس عذب . يقال اج الماء اجرجا اي صار اجاجاً . قال الله تعالى « وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج »

قال الانطاكى : التقطير والطبخ يصيران الردى جيدا لفصلهما الكثيف عنه (I4) وقال : كل ماء تصحيحه وتعديله بالطبخ والتقطير .

وتقطيره فى اناء الطين احسن من تقطيره فى غيره خصوصا اذا كان اناء حديد أو نحاس أو قزدير أو رصاص .

ومن محاسن ماء سموف انه ينفعل بالحرارة والبرد وسريع التأثير بالجو .

قال لانطاكى : وكلما كان الماء اشد قبولا للحر والبرد وانفعالا بهما كان اجود .

تنبيه :

ان بعض الناس يخزنون البرد (I5) (المسمى عندنا التبرورى) ويشربون ماءه فى زمن آخر وبعد أن يتكدر فهو مضر وموقع فى مرض السيل .

والاحسن تبريد الماء (I6) عند فقدان الاهوية المبردة فى اناء الخزف (الطين المشوى) وشرب الماء فى اناء الخزف احسن من الشرب فى العلب (اناء من الجلد يسمى ركوة) وهو اذا لم يكن فيه ضيقا احسن من الزجاج ، وهو احسن من الحديد وهو احسن من غيره . واما اناء الفضة أو الذهب فحرام (I7) عندنا لان الله تعالى شرفهما ورفع قدرهما حيث جعلهما قيمة لكل شئ ولو الأدمى كدية القتل او بعض الاعضاء أو غير ذلك . والله أعلم .

14 - من المعروف ان تقطير الماء بطريقة التبخير مما يفصل عنه الاشباه الكثيفة والاجنبية عنه مثل الملح والحجارة وغيرهما اذ البخار لا يحمل معه الاشباه الكثيفة لذا كان ماء المطر ماء خالصا صافيا عذب شرا به .

15 - البرد : يفتح الباء والراء يسمى اهل الجنوب التبرورى او الحجري لكونه كالحجر ينزل فى بعض الاحيان عند المطر الغزيرة يخزنه الناس ويستعملون ماءه غالبا للتدوى من حرق النار . اما شربه فقد يكون مضرا لتعفنه ان طالت مدته .

16 - قبل انتشار التلجعات كان اهل الجنوب يتخذون القرب لتبريد الماء . ومفردها قربة وهى مصنوعة من جلد الباعز غالبا مع بقاء شعره . فاذا زال شعر القربة بطول الزمن سميت عندئذ شنة وجمعها شنات او شنن . وتستعمل الشنة ايضا لحفظ التمر بها فتطول مدة جودته لا سيما تمر الفرس الذى له رواج فى الاسواق خارج المنطقة .

17 - عن ابن عدى عن مجاهد عن ابي ليل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا تشربوا فى آنية الذهب والفضة (من صحيح البخارى الجزء التاسع) .

تغير أرضها

بعد أن كانت أرض سموف بساطا مفروشا من رمل لا كثبان فيها الا فى الكتف (I) والرياح وبين الطريقاوى والمرتوم (2) وقرب الزقم كما تقدم ، اتاها الرمل من الناحية الجنوبية لانه كان بها كثيرا وهذا فى الزمن القديم جدا ولكنه فى كل سنة يتكاثر ويزيد الى وقتنا هذا . وما من سنة الا والتى بعدها يكون أكثر منها والدليل على ذلك ما نقل .

قال المسعودى فى « مروج الذهب » ما نصه : ان ذا الازعار من ملوك الازواء الاولين الذين كانوا باليمن وجزيرة العرب قبل افريقس ، كان غزا المغرب ودوخة وفى حال مروره ، أتى على وادى الرمل فعجز عن المسير فيه . وقال فى موضع آخر : ان ياسر بن ذى الازعار سار بعد ابيه الى المغرب حتى بلغ وادى الرمل فلم يجد فيه مسلكا لكثرة الرمل فرجع .

وقال العياشى : بعد ان كنا نسير فى الرمل بالوادى نزلنا على الرباح وسط رمل يكاد يغلب الذى قبله ، ثم نزلنا بموضع آخر يقال له العلندوى فاصابنا مطر كثير لبد التراب فاستطعنا سلوكه حينئذ . وانى لاتعجب ممن يستسهل المرور فيها على طول السنين اذ هى ذات رمل كثير يضرب به المثل .

فكلام هؤلاء الجماعة يدل على ان الرمل كان قديما بالارض سموف ولكنه الان ازداد كثرة على حالته الاولى . ويدل على ذلك ايضا تسميتها قبلا الظاهرة فانها كانت ظاهرة من ارتفاع رمالها .

1 - الكتف : مكان يبعد عن مدينة الوادى بنحو 35 كلم غربا .

2 - المرتوم : مكان بين الوادى والبهية .

وحسب قول القدماء ان الجهة الجنوبية والشرقية كانت الرمال فيها كثيرة جدا واما الجهة الجوفية الشمالية والغربية فكانتا قليلتي الرمال بحيث ان الدخان اذا صعد من البهيمة والزعم يراه أهل الوادي . وكانت ميادين ركض الخيل في الافراح والاعياد من الوادي الى قرب موضع الطيبات (3) الآن ومنه الى الفولية (4) .

ثم ما زال الرمل يتدحرج من الجهتين السابقتين . كما اخرجت الناس التراب من بطن الارض لغرس النخيل فتراكم وتكاثر .

ذكر الشيخ العدواني بأنه كان بأرض سوف غدر (5) النيل منذ قديم الى زمن اتيان طرود اليها .

اقول اللهم الا ان يكون ذلك وقت تشمتت ماء النيل على وجه الارض قبل ان يضبطه نقرأوش الحداد بن مصرايم الاول .

قال القدماء : كل قبيلة نزلت حول غدير ثم تكاثرت الرمال ويبست الغدر وانقطع جريان الماء .

أقول : والا قرب عندي أن تكون غدر الماء من باقي الوادي الذي كان يجري من الجبل (بودخان وعقله الطرودي والميتة) في الناحية الشمالية الشرقية على مسافة خمس مراحل و اقل من الوادي . ثم يجتمع ذلك الماء بقرب القوايرات ويصير واديا عظيما يأتي غربا من مالح الغرب ويقال له مالح الدبائلية (6) لانهم كثيرا ما يقيمون فيه وينصبون الفخاخ للحيوانات . ثم يمر ذلك الوادي نحو الشط الشرقي والى موضع غوط الصلابة أو قربة . ثم ينعطف شرقا نحو الصحراء شرقا من الطريفوى فينتهي هناك .

3 - بلدة الطيبات في طريق تقرت تبعد عن مدينة الوادي بنحو 65 كلم غربا .

4 - الفولية تبعد عن الوادي بنحو 35 كلم شمالا .

5 - غدر ويقال غدران و غدره ، جمع غدير وهو قطعة ماء من بقايا السيل .

6 - مالح الدبائلية : مكان سمي بذلك نسبة لاهل قرية الدبيلة الذين كانوا ينصبون به الفخاخ اى الشراك لصيد الحيوانات . قال المؤلف لصيد الحيوانات ولم يقل لصيد الطيور فلعل هذا يدلنا على وجود بقايا بعض الحيوانات المتوحشة بأرض سوف حتى الى عهد ميلاد قرية الدبيلة والى يومنا هذا توجد هذه الفخاخ القديمة عند بعض اهل الدبيلة

ومن بقاي الوادي الذي كان ينبع من عيون النازية (7) التي بوادي الجردانية قرب بئر العرب على مرحلة طويلة من الوادي في الجهة الشمالية الشرقية قريبا من وادي الجبل السابق ذكره .

قال القدماء : كان يمر غربا من موضع البهيمة الآن وغربا من شط الوادي ثم ينعطف الى وادي زيتن وينتهي في مكان غربا من ام الصحوين .

قال الشيخ الورتلاني في رحلته : ولا يعلم وراء قسطليلة (8) الا الرمال ، وسعر طعامها (اي قسطليلة) غال في اكثر الاوقات لانه يجلب اليها . ويقال ان في الصحراء واديا يجري . . .

قل القدماء : ثم بعد زمن طويل انقطع الوادي الذي يأتي من الجبل حيث شق طريقا أخرى وبقي وادي النازية الى قدوم طرود الى سوف فانقطع بفساد عيون النازية من كثرة الرمل وغيره .

أقول الى الآن يعثر بعض الناس على آثار ذينك الواديين وقد شهدت منها أحجارا جبلية في طريق وادي الجبل منذ عهد قريب . ومنذ عشرين سنة تقريبا رأيت زجاجا عظيما ورخما سالت عنه من ظفر به فقال المظنون انه أتى به الوادي من تآكرات التي كانت قاعدة مملكة زناتة وهي قرب الميتة المتقدم ذكرها والله أعلم .

7 - عيون النازية على مسافة 60 كلم شمال شرقي الوادي .

8 - قسطليلة : هي منطقة الجريد بالجنوب الغربي من القطر التونسي .

ومن منافعها تلقيح الشجر ، وترطيب الابدان والاثمار ، وتذكية الروائح الطيبة ، وإزالة العفونات من الارض الى غير ذلك .

وبعدم النظر الى اماتين الريحين فهواء سوف من أحسن الاهواء لاعتداله وعدم انحراف مزاجه وطيب نسيمه وخفته وتنشيطه للاعضاء وهضم الغذاء ، وعدم مراوة آلفم عند القديم من النوم وصحة الرأس عند ذلك وقلة الوباء . وكل ذلك بسبب جفاف الارض وقلة مروجها ومستنقعاتها وحياضها الراكدة وغدرانها الكدرة .

أما الامطار بالارض سوف فنادرة ولا تهطل الا ببعض الجهات من الصحراء شتاء بينما تحرم منها الجهات الاخرى طول السنة . وقد تهطل فى جميعها لكن ذلك نادر كما انه قد يكون فى الحريف أو أوئل الربيع .

والسبب فى قلة المطر بالصحراء كما يقول العلماء هو بعدها عن الجبال والبحار لان البخار الذى يتصاعد من البحار وغيرها اذا وصل الى كرة البرد المسماة عند علماء الهيئة بكرة الزمهرير أى شدة البرد بالجبال ونحوها يتحلل ويصير غليظه سحبابا ورقيقه مطرا فينزل على الجهات التى صعد منها أو بقربها أو تنقله الرياح الى غيرها من جهات الارض .

وماء المطر طيب الرائحة عذب المذاق ، يمكث الازمنة الطويلة من غير أن يتغير الا بفعل فاعل . والله أعلم .

صفة جوها

جو الصحراء فى منتهى الحرارة حرا (I) وفى منتهى البرودة بردا (2) فقد ترتفع فيه الحرارة فى النهار الى ما فوق الخمسين درجة وتنخفض ليلا الى ما يقرب من درجة الصفر (3) .

ومن الرياح التى تهب فيها ريح السموم عندنا ريح الشهبلى وهى ريح جافة محرقة فى غاية الشدة .

قال المقرئى : ومن عادة هذه الريح انها تهب فى أول النهار (أى تبتدىء منه) وكذلك تهب فى آخر النهار ولا تهب قبله (أى لا تبتدىء فى منتصف النهار وقربه) ولا تبتدىء الهبوب بالليل لان الشمس تبلغ موضع مهبها فى ذلك الوقت فتتخلل منه البخارات .

وضد ذلك ريح الصبا (4) وتسمى عندنا ريح البحرى لانها تأتى من ناحية البحر : وهى النسيم السحرى المعتدل الذى يتلذذ به الانسان ويطيب النوم فيه ويجد المريض راحة عند هبوبة . ويكون هبوب هذه الريح بالاسحار من الليل والغدوات من النهار ولا تهب بعد ذلك غالبا .

1 - حرا : يعنى به صيفا أى فصل الصيف .

2 - بردا : يعنى به شتاء أى فصل الشتاء .

3 - ان طقس سوف وان يكن شديد الحرارة فى الصيف نهارا فغالبا ما يبرد اثناء الليل .

4 - ريح الصبا أو نسيم الصبا : بفتح الصاد هى الريح الآتية من الناحية الشرقية وتجبع على اصباة وصبوات . اما كلمة الصباة بكسر الصاد فتدل على فترة الطفولة عند الانسان .

– الحرمل : ينفع شربا وطلاء للمبرودين وعرق النساء (3) ووجع الموركين والمغص والفولنج (4) •

– الفيجل : ينفع كيفما استعمل لخروج الديدان والمقعدة ، والبواسير •

– الضميران : ينفع من داء الطيخان •

– البصيل : ويسمى فى اللغة الكراث ينفع لاجاع الصدر والسعال اذا طبخ مع الشعير وشرب واذا طبخ وحده ينفع للقولنج ويهيج الباء وبزره يقطع البواسير ضامدا اذا لوزم واذا خلط بعسل قطع النمش والثآليل طلاء •

– الحنظل : قال الشيخ داود الانطاكى : يحلل البلغم السوداء وينفع الفالج (5) والصداع والشقيقة وعرق النساء والمفاصل وأوجاع الظهر شربا وضامدا وهذا النوع كبير تسميه العامة دلاع فرعون •

– الفقاع : ويسمى فى اللغة منتر الارض ، ويقال له نبات أوبر ، وبنات التراب والكمأة ، وبنات الرعد لانه ينبت فى الرعد بلا بزر ومثله الترفاس الا ان الفقاع يكون فى الارض الرملية والترفاس فى الارض الطينية وذكرت الفقاع تحذيرا منه اذا العمة يتعاطونه كثيرا وخصوصا الاطفال الصغار • قال الانطاكى : يولد القولنج والسدد وربما أوقع فى الجنون او وضعف البصر أو الهلاك ، اذ الاسود منه سم وقته •

– التثرثوث : ويقال له الطرثوث ، ومثله الذانون يقطع الاسهال شربا ، ويحلل الصلابات طلاء ويخشن الجلد الا انه يضر الرئة •

واما شجر الصحراء الحطبي فقط فانواع متعددة منها الازال ، والارطى ، والعلندى ، والزيتاء والبلبال ، والباقل ، والمرخ ، وغير ذلك •

وشجرها الحطبي الذى له خاصية انواع معها :

الرتم : ينقى الديدان شربا بالعسل •

3 – عرق النسا : وجع من اوجاع الاعصاب يبتدىء من مفصل الورك ويمتد الى الركبة او الى القدم وهناك من يسميه عرق الاسى بدل النسا •

4 – قال الشيخ داود الانطاكى : القولنج هو الريح المعكوس المتصلب •

5 – الفالج : داء يحدث فى احد شقى البدن فيبطل احساسه وحركاته •

أنواع نباتها

ليست الصحراء قاحلة بالمرة كما يتوهم البعض بل تنبت فى واحاتها وأرضها الاشجار والنباتات العشبية والحشائش التى ترعاها البهيم السائمة وقطعان الرحل من البدو •

فما كان لخصوص الرعى أنواع كثيرة منها الحلفاء والبشنة ، والصفار ، والعرجف ، والسهمري ، والعضيد ، والسعد ، والحرة ، والدسلس ، والعقفرية ، والتين ، وذب الفار ، وكرش الارنب ، والحدة والخبيز ، وبوقريبة ، والقريظة ، ولنصى ، والقطف ، والنمص ، والحذلانة ، والطازية ، والمنيتنة ، واللين ، والحاذ ، والغبيشاء ، والازول ، والحميمض ، والسويذة ، وبزول النعجة ، والبدانة ، والقصمية ، والبهمة ، وسن العجوز ، وساق الغراب ، والنجم ، واللافة ، والقيطوط ، ومغزل اليتمية ، والشيخ ، وغير ذلك •

واما النباتات التى للرعى والتداوى معا فهى كثيرة منها : البسباس : يطيب رائحة الفم مضغا واكله يطرد الرياح ويفتح السدد (I) ويخفف الرطوبات ويقطع سلس البول (وهذا نبات صغير بخلاف الآتى فانه شجر) •

ومنها عنب الذئب ويقال عنب الثعلب ، ويقال عنب الحية ، أكلها يفتح السدد ويخفف اليرقان (2) ويبخر بها للنزلة ووجع الاسنان وورم الحلق •

1 – السدد كثافة غشاء العين الذى يقلل قوة بصرها اما السداد فهو داء يصيب الانف فيمنعه من استنشاق الهواء ويقال فى اللغة لمن كان فاقد حاسة الشم ازكم •

2 – اليرقان ويقال له الصغير والصفار هو مرض بالكبد ينشأ عنه صفرة ابيض العينين ولثة الاسنان مع فتور فى الاعضاء •

العرعار : (6) ويقال له العرعر يشفى السعال وسيلان الرطوبة من الاحليل ، والبواسير شربا .

الطرفاء : طبيخها يجفف الرطوبات مطلقا ويسكن وجع الاسنان مضمضة ورماده يحبس الدم ويجفف القروح .

الاثل : ويقال له الابهل والعذبة . طبيخه او رماده بالزيت يشد الشعر ويبخر به للجذري .

تبييه : جميع ما تقدم من النبات برى ينبت بنفسه وسقيه من المطر أو ثمد الارض كالنابت بالسباخ ونحوها .

وساذكر الان من النبات ما يكون برى وبستاني يستنبت في السواني (7) وسقيه من الابار بالدولاب او الناعورة او الخطارة او بالدلو او العمورة او السطل او نحو ذلك فمنها :

الريحان : ويقال له الشلمون . وان كان برى يقال له الاس ماؤه يفتح السدد ويزيل اليرقان . وان ضمده به الصداع الحار اسكنه .

الرند : ويقال له القار ، يستعمل لقطع السم والسعال شربا ويجفف القروح ذرا وبعضهم يسمى هذا راوندا . والصحيح انهما يتفرقان اذ هذا لا ينبت الا بالجبال هو خشن بخلاف الاول فانه غض لين .

البسباس : ويقال له رازيانق ، ويقال له رازيانج ، ولانسيون ، والشمار والشمرة ، والعريض يعالج به الخفقات والسعال ويجفف الرطوبات ويدبر البول والحيض اكلا ويقوى البصر وطبا ويابسأ اكلا ايضا .

الرجلة : ويقال لها البردقلا ، والبردلاق ، والفرنج ، والبقلة الحمقاء ، والبقلة المباركة والغليم وبقلة الزهرة ، تمنع الصداع والاورام الحارة طلاء

بالسويق (8) وتشفى من الجرب والالتهاب وحرارة الكبد والمعدة والبواسير لكن الاكثار منها يسقط شاهية الاكل والجماع ويظلم البصر .

النعنع : ويقال له نعناع ، ورافيا ، وفونتج ، وفودنج ، وحبق التمساح ، وبقلة العدس ، وباذروج ، وفرنجشمك . ينفع الغثين (9) واوجاع المعدة اكلا وينفع الحكمة والجرب طلاء وشربا ، والبرى منه ينفع الجذام واوجاع المفاصل شربا . والبستاني منه ينقى الصدر من البلغم والسعال ومرض الرئة .

الكزبرة : ويقال لها الكسبر ، وتفتح الجان ، والكشنير ، ماؤها مع السكر يقوى الشاهية واذا نعتت في ماء ورد وقطرت في العين تمنعها من الجذري ، وأكلها مع الشعير والفول يمنع الحنازير (10) .

حبة حلاوة : هي نوع من الانيسون المتقدم تفعل ما يفعله .

الكرنب : ويقال له الكرنب ، والكرك ، والكرمييط ، والفنييط ، لكن الاسماء الثلاثة الاولى المفروش الورق والاسمان الاخيران للثف الورق . بزره يقتل الديدان ، ويحرك الباءة ويلحم الجروح اكلا ويزيل اثار الجلد طلاء .

الكرم : ويقال له الورس واصابع صفر . والصحيح انه يكون منه البرى ايضا خلافا لمن قال انه لا يكون الا مستنبتا . ينفع البهق والبرص والحفقان ويهيج الباءة شربا .

الخروج : دهنه يلين كل صلب حتى المعادن اليابسة مع ماء الفجل . الحرشف : ويقال له حرشف وجناح النشر يحلل الرياح ويهضم الغذاء ويكثر الجشاء (11) . ويخرج الاخلاط الفاسدة في البول ويطيب رائحة البدن ولو بالطلاء .

8 - السويق : دقيق ناعم من الشعير او الحنطة .

9 - الغثيان : اضطراب نفس الانسان حتى يكاد يتقيا .

10 - الحنازير : هي غدد صلبة تكون غالبا في عنق المصاب بها . ويظهر على سطحها درن شبيه بالعقد .

11 - الجشاء : ريج يخرج من معدة الانسان عن طريق فمه مع صوت خصوصا بعد الاكل عند الشبع . ومن الآداب ان لا يحدث الانسان به صوتا وان لا يكون في وجه الغير .

6 - العرعار : نوع من الحشيش يستعمله الكثير من اهل سوف للتدخين مثل التبغ ويقلب تدخينه عند اهل القرى النائية .

7 - السواني : جمع سانية وهي في اللغة ما يعرف عندنا بالساقية او الناعورة وصارت تطلق الآن على الارض التي تسقى بالناعورة . يقال سنى الارض معناه سقاها والساني هو الساقى .

يقال الصيف : ويقال له حيق الفيل ، والمرزنجوش وهو نوع من المردقوش والاخر يسمى السرمق والعبقر . دخانه يزيل هواء الوباء ، ويحبس الزكام ، ومن مزجه بالحناء وطللى به الراس فى الحمام اذهب سائر اوجاعه .

المتنان : ويقال له اللزاز . اصله برى . ويستنبت احيانا لقضبانته التى يصنعون منها مذابيل (I2) لنسج البرانيس وغيرها . وتآوة يقتلونها حبلا تزامن (I3) وعصيا تشبه الخيزران .

السعتر : ويقال له الزعتر والافثمون اذا طبخ بالخل والكمون وتضمض به سكين أو جاع الامنان والخلق . واذا طبخ بالزيت والكمون وطللى به بدن المولود حين وضع حفظه من البرد والرياح وبروز السرة . واذا خلط بالسكر وتمودى عليه صباحا ومساء قطع البخار وقوى البصر .

الحنظل : ويقال له الحدج ، والعلقم ، ومرارة السخور ، اصله برى يستنبت احيانا للخصيات التى فيه وهى كثيرة منها : ان رماد قشرته ينفع امراض المقعدة ذرا وسائر اجزائه تنفع البواسير بخورا وتنفع الفالج واوجاع الظهر ضمدا . الى غير ذلك . وهو صغير كالرمانه او اقل .

الثوم البرى : ويقال ثوم الحية ، وخصى الثعلب ، والحية والميته ، أصله برى ويستنبت بعض الجهلاء ، ويزعمون ان إحدى الجبتين تبطل الباءة والاخرى تعيدها كما كانت . وهو كبيضتين مزدوجتين ، واذا حملته المرأة بالزعفران والمسك حملت من وقتها .

الفيجل : ويقال له فيجن ، وفيجنه ، وحشيشة افجن ، وسذاب . وهذا شجر بخلاف السابق . يدفع السموم شربا واكلا ، ويمنع الزحير (I4) والدم احتقاناً واكلا ، وادمانه يضعف البصر .

شجرة مريم : ويقال شبيبة العجوز وشبيبة شيخ ، وشبيبة شايب . تصلح الاطعمة كالأبازير ، وتدفع الصمم ولو قديما اكلا وسائر امراض البرد . والله اعلم .

I2 - مذابيل : مفردا مذبال : هو قضيب صغير حاد من ادوات النسج بسوف .

I3 - تزامن : معناه تدوم زمنا طويلا .

I4 - الزحير : ويقال له الزحار الزحارة وداء الأنطارية والديسنتاريا هو استطلاق البطن مع دم يسبب شيئا من الألم .

تنبية : انما ذكرت خصائص هذه الاشياء لاطهار كيف كان اهل سوف فى القديم يداونون امراضهم . وكان فيهم رجال يشتغلون بصناعة الطب والحكمة ، يعودون المريض او ياتونهم به فيعطونه او يصفون له الدواء .

بقولها :

البقول جمعها بقل وهو النبات الذى يخضر له وجه الارض . ولا اذكر منها هذا الا المستنبت البرى منها لا يكون بارض سوف غالباً :

الكابو : ويشمله عموم اليقطين ، اذ هو اسم لكل نبت ذى ساق امتدت فروعه على وجه الارض . وهو انواع مختلفة منه البلدى : وهو اسود ، واخضر ، واصفر ، واحمر ، ومرقط ، وغالبه محرش والاملس قليل واكثره مستدير والمستطيل قليل . ومنه المزابى ويقال له التيسى وهو ابيض واخضر واحمر ومختلط .

وكله أملس . وسمى بذلك لان أول بزره جىء به من مزاب ثم من تبسة . ومنه بوشوكه وهو صغير مستطيل اخضر او مرقش ببياض . ومنه الحمامى وهو صغير مستدير لا يزيد على راس الانسان غالبا . لونه اخضر يميل للصفرة . وميه الهجنى وهو كالمركب من البلدى والمزابى تشبيها له بالحصان الهجين الذى كان ابوه كريما وامه غير ذلك . وهو مستدير غالبا ولونه اسود يميل للخضرة ، املس .

وكل هذه الانواع تنفع المعدة وتطرد الرياح الا النوع الاول منها فان الاكثار منه تنشأ عنه الحرارة .

القرع (I5) : وهو الدباء منه الخضراوى ومنه الاربش . والكل مستطيل . يرطب ويلين ، ورماده يبرى القروح .

اللفت : ويقال له سلجم . يسخن الاعضاء الباردة ويحلل الرياح الغليظة .

الجزر : ويقال له السنارية وسفنارية وزرودية ، وخبازا ، ينفع مرض الساقين ويمنع الاكلة ويقوى البصر ويخفف اوجاع الصدر والمعدة والكبد والاستسقاء (I6) ويفتت الحصى ويهيج الباءة .

I5 - القرع : يطلق ايضا على الكابو المتقدم ذكره .

I6 - الاستسقاء هو تجمع سوائل مصلية فى تجويف الجسد او خلاياه .

الفجل : ويقال له افيسوس ، ينقى الصدر والمعدة ويهضم الطعام ويجشىء
ويحلل الرياح ويزيل البهق طلاء .

الخردل : ويقال له اللبسان . نافع لكل مرض بارد وخصوصا الفالج بماء
الورد شربا ضمادا ويسمن الاعضاء ويحمر الالوان .

الذنجال : وهو الباذنجان والمغذا والوغذ . يطيب رائحة العرق ويلين
الطلابات ويدر البول ويقطع الصداع الحار .

القناوية : ويقال لها الكبلو والبامية . تطفىء الوهيح وتنفع القولنج .

الفقوس : هو القثاء يسكن العطش وحرارة المعدة والكبد .

الخيار : نوع من الفقوس يسكن الصداع الحار ويدر البول .

البطيخ (I7) : وهو الفقوس الشديد الصفرة ، وله اسماء : المكى ،
المطلوق ، والجبارى ، والقلى ، والباجى ، وبطيخ اليصارى ، والظهاوى
وهو كالكابو فى الصفة ، والمرحوم وعند غيرنا يسمى الهناوى ، والضميرى ،
والكمالى ، والبثرى ، والعبدلى . وجميع البطيخ ملطف ومرطب ومزيل
للعفونات .

الدلاع (I8) : وهو انواع : اخضر ، واسود وابيض وذو خطوط ويسمى
الماوى والهندي يذهب اليرقان ويدر البول ويفتح السدد ويعين على الهضم
واهل الشرق يسمونه الحبحب وهناك من يطلق هذا الاسم على الصغير منه ،
الشديد الحلاوة .

البطاط : شبيهه بالبطاطس المعروف الا انه اكثر منه حلاوة واطول جسما
وابيض قلبا واصفى قشرا واصلب شحما .

الطماطم : ويقال لها بيض البقول ، الانثى منها كبيرة مفرطة ذات تجاوير
مملوءة بالماء والبزر ونوع اخر ذو تجويف او اثنين فقط وفى الغالب يكون
فارغا من الماء وحموضة هذه مشوبة بحلاوة . والذكر منها صغير مستدير
شديد الحموضة وقد يكبر كالبيضة ونحوها .

I7 - البطيخ فى اللغة يطلق على المسمى الآن الدلاع .

I8 - الدلاع هو البطيخ غير الاصفر .

الحمص : نوعان : اصفر واسود . اذا نقع بماء واكل نيئا وشرب عليه
ماؤه مع يسير غسل يعيد شهوة الجماع . واذا نقع فى خل واكل على الجوع
ولم يتبع بغيره غالب يومه قطع جميع الديدان التى فى البطن . ودقيقه اذا
اعجن به الوجه اذهب الآثار ونقاها .

الجلبان : هو الخرقى ، والبيقة ، والبسلة ، والتضاص . جميع انواعه
تنقى الكلف (I9) غسلا وضمادا ، وتحلل الاورام طلاء بالعسل .

الفول : هو الباقلا والترمس . ينفع الاستسقاء ضمادا . ومع الخل والعسل
يخفف مرض المفاصل يطلى به الملسوع يجذب السم به .

الفلفل : هو الفوفل . ينفع امراض الفم ويشد الاسنان واللثة لكن شرب
الماء عليه مضر .

فلفل الماء : ويقال له فلفل العبيد يحلل الاورام ضمادا والاكثر من اكله
مضر .

فلفل غدامسى : هو فلافل السودان . يسكن اوجاع الاسنان ، ومع العسل
يبيح الباء والاكثر منه يضر الحلق .

فلفل اكحل : هو الفلفل عند الاطلاق وكان اصله ابيض فيسلق بالماء
يسود ويتكرج . يقطع البلغم ويحلل لسعال البارد . واذا طبخ فى الزيت
ولوزم استعماله اذهب الفالج والخدر (20) .

الكروية : هى الكراويا والفرنباد . تحلل الرياح وتدر البول وتجشىء
وتفتح الشهية للطعام وتمنع التخمة .

الحلبة : هى الفاريقا . تحلل جميع الصلابات . واذا طبخت وشربت
بالعسل حللت الرياح وبقايا الدم المتخلف عن النفس والحيض واذا جعلت
دلوكا نقت الاوساخ وحسنت الالوان . واذا انتعت فى ماء الورد وقطر الماء
فى العين نفعت من بقايا الرمذ .

I9 - الكلف : بفتح الكاف وسكون اللام سواد تشوبه صفرة يعترى بشرة الوجه ولعل هذا
الدمى عند العوام بالدسة التى تعترى وجه المرأة خاصة فى بعض الظروف .

20 - الخدر بفتح الخاء والدال شنج وفور يصيب عضو الانسان فلا يستطيع معه الحركة .

المعدنوس : من الابازير . اكله ينفع من وجع الكلى والمثانة ويقوى الباءة .
الخنس : ويسمى عندنا السلاطة . تدفع تغيرات الهواء الربائى وتنفع من
السموم خصوصا سم العقرب طلاء .

الكاوكاو : هو الكوكوندم . يزيل الرطابات ويسخن المبرودين .

الكمون : هو السنوت وكرميتون والباسليقون . يحلل الرياح مطلقا ويطرده
البرد ويعين على الهضم ويزيل التخم .

السلق : هو جار النهر . يحبس الاسهال ويقطع العطش شربا ويحلل
الاورام طلاء ويحلل الرياح اكلًا .

الكرفس : هو الكرفس . يزيل اليرقان وعسر البول ويحرك الباءة . ومع
النوشادر والعسل يزيل اثار الجاد طلاء .

اللوبيا : ويقال لها سيلين وما ميرا وفريقا . تنفع لاجوع الظهر والكلى
وتبهيح الباءة .

الفصفصة : هي الرئيسية والاسفست والبرسيم . تولد دما جيدا وان
ادبم صفها بالسكر خصب البدن وغزرت اللبن .

البصل : يفتح السدد ويقوى شاهية الطعام وشهوة الجماع خصوصا اذا
طبخ مع اللحم ويذهب اليرقان وداء الطحال ويبرد البول وماؤه يقطع الدمة
والجرب من العين كحلا خصوصا مع التوتيا او العسل .

الثوم هو الفوم : ويقال له سرماسق . ينفع للسعال وقروح المعدة والقولنج
والطحال واليرقان ويقطع النسيان والفالج اكلًا . ومن لازم عليه بالشرب قبل
الشيب لا يشيب شعره وهو مع النوشادر طلاء يذهب البهق . ولا يأكل منه
ما تجاوز سنة أو نشأ في البلاد المفرطة الحرارة .

التابغة : ويقال لها الطابا والتبغ والدخان . مع الزيت دهنا يزيل البرد
من الاعضاء .

القطن : ويقال له الكرسف ، والطوط . الثياب المصنوعة منه تنفع الرعشة
والفالج . وحبه يهيح الباءة وزهره قوى التفريح .

عبد الشمس : ويقال له الخطمي ، والخبازى والخبيز : سمي عبد الشمس لانه
يدور معها حيث دارت . يلين الصفراء ويطفىء الالتهب . والجرب ، وقروح
الامعاء وحرقة البول اكلًا .

الدرة : ويقال الذرا . والخورس : خبزها يغذى وينفع قروح المعدة ويحلل
الرياح الغليظة ولا يستعمل منه ما جاوز السنة .

المسطورة : هي القرطم او نوع من الترمس . تنفع من الاخلاط الرديئة ،
وتحلل السعال .

الكزو : هو الكزوان ينفع من السموم . ونواره يصبغ به الجلود نحوها
بعد دبغها بدقيق الشعير المسمى عند العامة الطوط .

شجرة الفدة : شجيرة ذات نوار طويل تميل للحمرة توضع في انابيب
ويدخنونها كالطابا : تنفع الضيقة الصدر وتطرد البلغم .

الخشخاش : اذا اطلق يراد به المصرى وغيره . والخشخاش المقرى
والخشخاش الزبدى وهذا الاخير هو الذى ينبت عندنا . ينفع مرض الاستسفة .

الحناء : هي اليرنا ، ويقال لها افريفس ، وام الفاغية . تطرد الحرارة ،
وماؤها يذهب اليرقان والطحال .

اشجارها :

العنب : يقال له الكرم ، والملاحية ، وهو انواع : ابيض يسمى مسكى ،
والاحمر حلوى ، والذى بين الحمرة والبياض بزول خادم . يصفى الدم وينفع
السوداء .

التين : ويسمونه الكرموس والكرطوس ، ينفع البواسير وعسر البول
والخفقان .

الرمان : انواع ، حلو ، حامض ، ومر ، يغسل الرطابات ويزيل اليرقان
ويحمر اللون .

البرتقال : ويسمونه البرتقان ، والشبنة والنانج . قشره وورقه مفروح
وبزره وعروقه نجاة من السموم الباردة . ومن خصائص قشره انه يحفظ
الثياب من الارض المسماة عندنا السوسية ، ورائحته تدفع فساد الهواء .

الخروب : ويقال له الخرنوب وهو نوعان ، الاول يسمى القريط والثاني يسمى النبطى والبطريون والاخير هو الذى بسوف . يجبس الاسمهال ويثبت الاسنان وقشره يسقط الثآليل .

الليمون : ويقال له الشمام والبلدى . ينفع القى والغثيان وفساد الغذاء .
القارص : ويقال له الشعيرى وهو نوع من الليمون يسمى الاستيوب .
يطفىء التهاب العطش والصداع .

التفاح : هو كالرمان منه الحلو والحامض والمر وكله يقوى الدماغ والقلب وينفع الخفقان المزمن .

المشمش : ويقال له المشماش والتفاح الارمنى واللوزى والكلابى والخرسانى والصينى . الكل ينفع التهاب العطش ويلين الصلابات .

الخوخ : ويقال له التفاح الفارسى والدراقن . يسكن العطش ويدبر البول .
البرقوق : نوع من الخوخ المتقدم يفعل ما يفعله .

الانجاص : ويقال له الاجاص والقراصيا . يسكن الصداع واوجاع اللثة .

التوت : وهو الفرصاد وهو احمر وابيض والاخير هو الذى عندنا ويسمى النبطى والحلبى يصلح الكبد والكلى .

الزيتون : اذا مضغ ورقه اذهب فساد اللثة وأورام الحلق . وثمرته اذا جعل عليها الماء حتى تحلو واستعملت بالملح والحوامض مع الاطعمة جودت الشاهية وقوت المعدة وهذا هو الزيتون الاخضر . وان اخذت ثمرته بلا دق ووضعت فى ماء طبخ فيه الجير ذهبت مرارتها فى يومها وهذا هو الزيتون المكلس ولا شئ مثله للهمضم وتقوية الاعضاء .

الهندي : قيل انه اللفح او الاقسون فان كان الاول فيسكن حرقة البول وان كان الثانى فيدفع السموم . وكله يعصم ان اكل قبل غيره من الطعام .

شجرة التاي : ويقال اتاي وشاهى وجاى ، وجاهى . وهو انواع ابيض وهو أجودها ، واخضر واشهب ، وأسود ، وأصفر ، وأحمر . ولكنها تدخل تحت عموم الحشائش . والذى استنبت منه عندنا الاخضر لكنه لم يتداول . وكله يصفى الصوت ويفتح السدد ويزيل اليرقان وعسر البول لكن الاكثار منه مضر .

شجرة الميعة : هى اللبنى . تحلل السعال حتى بالتبخير .

شجرة القنب : ويقال الكيف والحشيشة والشهادنج . يضر الكلى ويظلم البصر ويورث الجبن ويخدر الاعضاء ويسود الشفتين واللثة ويدنس الوجه ويجفف الرئة . ويصير الكلى

شجرة الصبغة : وهى النيلة وهى نوع من الكتم . تصبغ بها الخمر ولرصات اى الملاحف والبخانيق وتنفع القروح طلاء والزكام بخورا .

شجرة العليق : هو اللبلاب ويسمى قسوس ، وقيناليس ، وعاشق الشجر ، وحبل المساكين . اذا طبخ فى دهن كالزيت حلل الاوجاع مروخا .

شجرة السدر : نوعان : شجرى ذو شوك وقضبان صلبة مشتبكة وهذا عندنا برى . والثانى نباتى غصن ذو رائحة طيبة يستنبت فى البساتين . الاول ذا غلى قتل الديدان وازال الرياح الغليظة . والثانى يقوى الدماغ شما . والاثنان اذا جعلا فى ماء غسل به الميت لا يبلى دهرًا طويلا .

شجرة القصب هو ذو الكعوب ، والانابيب . رماده يبرىء الجرب ، والندى الواقع على ورقه يزيل بياض العين .

شجرة الفوة : وهى عروق الصباغين . استنبتت فى الزمن القريب بالبساتين بعد ان كانت تجلب لارضنا من الجريد ، وهى هناك تنبت بنفسها حول الخنادق . تنفع لليرقان والفالج شربا بالعسل . وتقلع البهق طلاء بالخل .

نوار عشية : زهر البهار . ويقال له الافحوان ، والبابونج . يفتح السدد ويزيل الصداع شربا .

الررد : هو انواع : انبيض يسمى الجورى ، والوتيرة ، واصفر يسمى القحاجى ، واحمر يسمى الحوجم . ولم يكن عندنا فى سرف الان الا الحوجم . مأؤه ينفع لقروح العين وكذلك الاكنتحال بياسه .

الياسمين : ويقال له ياسمون . وهو السجلاط . ابيض اللون . ومنه الاصفر يسمى الزئبق وابيض مشوب بحمرة يسمى الفل والكل عندنا يسهل البلغم وينفع امراض الرحم .

القرنفل : هو نوعان : شجرى كالياسمين ونباتى كنوار عشية . فالاول

نوره يعقد حبا في عساليح قصيرة والثاني لا يعقد وهو الذي عندنا يتخذ للشحم فقط وهو مفرح ومهيج للباء ومقو للدماغ .

الخزما : ويقال لها خيلي ، وخيري البر شهما يقوى الدماغ ويفتح سده ويقتط منه نوع من العطر يسمى خيليا .

النخلة (2) :

هي الشجرة المباركة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم : « اكرموا عما تكم النخل » . قيل انها خلقت من فضلة طينة آدم عليه السلام وانها تشبه الانسان في امور كثيرة الاول : استقامة قدما كاستقامة قد الادمى . والثاني تمييز ذكرها عن انثاها . الثالث انها لا تثمر في الغالب الا بلقاح الذكر كما ان الانثى من الادميين لا تحمل في الغالب الا اذ لقحت من الذكر . الرابع ان رائحة طلع ذكرها كرائحة منى الرجل . الخامس انها اذا قطع راسها هلكت كالادمى . السادس ان الغلاف الذي تكون فيه الطلعة كالشميمة التي يكون فيها الولد . السابع ان الجمار الذي في وسط راسها اذا اصابت آفة هلكت كدماغ الانسان ومخه . الثامن انها اذا قطع منها غصن لا يرجع بدله كعضو الانسان . التاسع : ان عليها ليفا (22) كالشعر يكون على الانسان . العاشر انها تعى كما يعى الانسان وذلك انها اذا لم تثمر او تسقط ثمرها ياتيها رجل بيدها فاس يتهددها (23) ويقول له آخر اتركها هذه المرة فلا تضربها وستثمر أو تمسك ثمرها فتفعل . *المراد بالفاصل ما اذا*

وانواع النخيل عندنا كثيرة (24) متباينة بالالوان والغلظ والرق والطول والقصر والملوسة والتجعيد واتساع الاعلى أو الاسفل أو ضيقهما والرائحة الطيبة والمتوسطة والكريهة والطعم الحلو والحريف والمتوسط واللين واليبس والتعجيل في النضج والتأخير فيه ، الى غير ذلك مما هو معهود . والذي حضرني الان من اسمائه (25) ما يأتي : الغرس ، واخت الغرس ، والدقلاوى

21 - اخر المؤلف الحديث عن النخلة للاهتمام بها اكثر اذ شجرة النخيل اهم واكثر ما تنجده ارض سوف وواحاتها .

22 - ليف : جمعه الياف : ويقال للمفرد ليفة هو شعر النخل وما شاكلة .

23 - كان هذا الاعتقاد سائدا لدى الفلاحين اصحاب النخيل قديما بسوف . فاذا ما تأخرت شجرة نخيل عن الانتاج وتمادت في افساد ثمرها اتاها صاحبها بفأسه مهددا اياها بالضرب كما ذكر المؤلف وتارة يهددها بتجمرها (قتلها وتحويلها الى شجرة يؤخذ منها مشروب حلو يسمى لاقى) .

24 - يقول الدكتور ناجح احمد في كتابه « سوف الواحات » بان انواع النخيل بسوف لا يقل عددها عن المائة والحسين او المائتي نوع .

(نصف ثمره دقلة ونصف ثمره الاخر غرس) ودقلة نور (26) واخت دقلة نور ، وفزاني ، واخت فزاني ، وكبول فزاني ، وفطيمي ، واخت فطيمي ، وكبول فطيمي ، ومسوحية (وتسمى باهية ودقلة عميد) ويتيم ، واخت يتيم ، ودقلة بيضاء ، وحمراية ، وخشراية ، وخضراوية ، ودقلة صفراء ، وشتاية ، وكبول شتاية ، والهنيلة ، والجائحة ، وتمر جرت ، واخت تمر جرت ، والعنابية ، والسرسارة ، والمسوسة ، والدنجاللة ، والحتحاتة ، والموشمة ، ووجه العجوز ، والرطبة ، والعجرونة والشمباء ، وصبرى ، وبشعير ، والقامدة ، وام الفطوشة ، وفم البهيم ، ولولو ، والنباتة وبوسعيد ، والكرابية ، والبلوطية ، ونعيمة ، والجرة ودقلة عش ، ودقلة الفرس ، وحسينية ، وبضين جمل ، وبضين كلاب ، وبش حمام ، وزق المنقار ، والمفتولة ، والحلووية ، وبسر حلو ، والسكرية ، ودقلة بعول ، ودقلة اللحم ، وباجو ، وكنتة ، واخت مسوحى ، واصباح عروس ، وبزول خادم ولية خادم ، وكنتيشى ، ومناخر ، ودقلة النواره ، وقاتى ، ودقلة العجين ، وفاخت ، ودقلة آلباب ، وحلوية الزاب ، ورأس السداب ، وعبد العزاز ، والنشواكة والغدامسية ، وتوزانت ، وقطارة ، وعلى اوراشت ، ورشتى ، وعمارية ، واخت عمارى ، وبدارة ، وتاشنويت ، وتانسليت ، وبنت خباله ، وكسماية ، ودقلة مامن ، وقصبي ، ولافو ، وقندى ، وتاوراخت ، وظفير قط ، وسبعة بوذراع ، وتامرزيط ، ودقلة مغص ، وتنسين وقافزوين ، واخت قافزوين ، وتفرزايت سوداء وتفرزايت صفراء ، وتكرمست سوداء ، وتكرمست حواء ، وبوسالم ، وبوقفوس ، والذكار ، وغير هذا كثير .

حكى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « العجوة من الجنة وهى شفاء من السم » . والعجوة هى التمر التام النضج . والبسر مصدع ومقو ومكثر للمنى . والرطب اى المنقر دواء للنفساء ومكثر للمنى . والبلح يقوى المعدة والكبد ويشد العصب المسترخى وادمانه يقطع الجذام .

قال العياشى : « خرجت من تقرت وصحيتى اناس فقدمنا الى سوف وهو خط نخيل مستعرض فى وسط الرمل فيه بلاد عديدة ، ماؤها كثير طيب قريب من وجه الارض . اخبرنى اهل البلاد انهم اذا أرادوا غرس نخلة بحثوا

25 - عندما تنتج اسماء هذه الانواع من النخيل التى ذكرها المؤلف نجد جلها اسماء عربية فستنتج من ذلك ان وجود النخيل بسوف كان بعد حلول العرب بها وانهم هم الذين حملوا فكرة غرس النخيل بهذه المنطقة .

26 - دقلة نور : هى احدى انواع التمور واكثرها روجا فى الاسواق الداخلية والخارجية واصل اسمها دجلة سميت باسم نهر دجلة لان اول غرسه منها بسوف جلبها العرب من منطقة نهر دجلة ثم تحول النطق بها من لفظه دجلة الى دقلة ثم اضيفت الى كلمة نور لجمال منظرها فصارت تسمى دقلة نور .

فى الارض قليلا حتى يصلوا الماء فيغرسوها هناك ، بحيث تكون اصولها (عروقتها) فى الماء (اى قرب الماء لا فيه مباشرة) ثم يردون عليها الرملة فلا تحتاج الى السقى ابدا . ويعالجون ابعاد الابل تحت اصولها ولولا ذلك لما نت وهكذا يفعلون بسائر الفواكه والخضر والبقول . وتمر نخلهم من اطيب ما يكون . فاقمنا فى الوادى واشترينا ما نحتاجه ثم رحلنا ونزلنا على ماله يقال له الرباح على نصف مرحلة من الوادى .

أقول : ومن عادة اهل سوف ان يجعلوا للنخلة ما دامت صغيرة شيئا قليلا من بعر الغنم او شيئا من روث الدواب مخلوط بالرمل لئلا يتلبد . ويكون ذلك قريبا من جدعها او تحتها . ثم اذا كبرت يجعلون لها ابعاد الابل (الجلة) مخلوطة بالتراب بعيدة عنها بنحو ثلاثة اذراع او ذراعين ونصف ، ويكون ذلك فى زمانى الاعتدال . (شهر مارس فى الربيع وشهر شتبر فى الخريف) . واهل الخبرة منهم لا يجعلون الابعار بمجرد حرث موضعها بل يقدمون حرثها لتخرج العروق فيه فيعملون موضعها اذ لو فعلوا قبل ذلك فلربما تكون اسفل من العروق و اعلى . وفيه فائدة اخرى وهى ان الابعار لا تبديد قبل خروج العروق . ومن جهل البعض انهم يجعلون الابعار تحت النخل غير مخلوطة بالتراب فانه ينشأ عن ذلك هلاك عروق النخلة بعد سنين حين تبديد تلك الجلة او يهرب عنها الماء اذ لا دهنية فيها . بخلاف التراب فانه ولو بادت الجلة او هرب الماء تبقى العروق معه سليمة ويسمون هذا علقا تشبها بعلف الدواب .

وغير النخل من الاشجار يجعلون لها بدل الجلة روثا او رمادا فوق عروقتها ويجرون عليها الماء ثم يغطونه بشئ من التراب ويسقون الشجرة . واما البقول فيجعلون لها حين غرسها حفرا فيها شئ من السماد .

تنبيهه :

ومن الاشجار ايضا التى كانت بارض سوف : الضريع ، والقنار ، واخرى لم يبق لها اسم عندنا . وان جميع ما ذكر من النبات كان موجودا بسوف لكن البعض منه انقطع الان منها لتراكم الرمال وبعد الشداد (27) .

والله اعلم

27 - مما يؤيد صلاحية ارض سوف قديما وقبل تكاثر الرمال لغراسة ما ذكر من الاشجار والخضر وغير ذلك من النباتات ما روى عن الدكتور ناجح احمد فى كتابه «سوف الواحات» فقد ذكر الدكتور احمد بان الفرصة قد مكنته يوما من الاطلاع على رسالة موجودة بزاوية بماسين تحمل تاريخ سنة 1828 كان بعث بها الى الولي سيدى الحاج على شخص يدعى عبد الله الشريف يعلمه فيها بانه كان فى حسبانته بفضل الرى الموصول على انتاج طيب من القمح بمنطقة النازية .

حيواناتها وحشراتنا

حيواناتها (1) :

عن القدماء بلغنا أن الاسد المسمى عندنا الصيد كان بأرضنا حين كانت غابة العرعار غربا من محل الوادى الان ولكنه انقطع منذ زمن طويل .

النمر : كان بسوف وانقطع عنها الى الجنوب منذ زمن قريب .

الفهد : قال أرسطو انه متولد بين الاسد والنمر . كان الفهد وقت دخول بنى هلال وبنى سليم الى سوف يلعب به رؤسائهم ويصيدون به ثم انقطع .

الحمار الوحشى : هو اليعمور . كان ايضا موجودا ثم انقطع .

البقر الوحشى : أكثر وجوده كان بالصحرى جنوب سوف . ويقال له بالفارسية كوزن . مخه يطعم به صاحب الفالج فينفعه نفعا بينا .

الزرافة : هى ام عيسى مركبة من عدة حيوانات . فراسها كراس الابل ، وقرونها كقرون البقر ، وجلدها كالنمر ، وأظلافها كأظلاف البقر ، وذنبها كذنب الغزال . ومن الحرافات ان الضبع ينزوى على الناقة بذكره فينزوى ذلك الذكر على البقرة الوحشية فتلد الزرافة .

الغزال : هو الطيبى ، الابيض منه المائل للزرقة يسمى الريم ، والرمادى التريب من السموات يسمى العفر ، والادم . والاحمر يسمى الاحمير . ومن

1 - أثبت الكثير من المؤرخين انه عندما كانت الغابات بارض الجنوب منها ارض سوف كان بها الكثير من الحيوانات المفترسة مثل الاسد ، والنمر ، والفيل ، والفهد ، والحمار الوحشى والبقر الوحشى . والنعامة ، والتمساح ، والزرافة ، وغير ذلك . وكان سكان المنطقة يصطادون هذه الحيوانات بالنبال الحجرية ويقتلونهم بالفؤوس المصنوعة من الصوان وغيرها من الادوات المنحوتة من الصخر . وقد عثر غير بعيد على انواع من هذه الاسلحة فى اماكن كثيرة بسوف مثل الديداية والقبيرة وسيف المنادى . وكانوا يصطادونها لاكل لحومها والانتفاع بجلودها وعظامها وانباها وريشها .

عجائبه انه ياكل الحنظل والحدج فيستحليه ويشرب ماء البحر فيستعذبه .
الذئب : ويسمى عندنا السرحان ايضا . وهو عدو الغنم .
الضبيع : هو الاعرج يحب لحم الادمى فلذلك ينبش القبور . واذا مر بانسان
نائم يحفر تحت راسه حتى يسقط في الحفرة فيبقر بطنه ويأكل لحمه .
الثعلب : هو ذو الحيل (2) البعض منه موجود الى الان .
الفندك : هو الابيض من الثعالب وهي رمادية .

القنفذ : ويسمى عندنا القنفوذ ويقال له الكبابة . وهو كالكرة وشوكه قصير .
فاذا احس باحد يدخل في بعضه . لحمه يوقف الجذام . والبخور بجلده
ينذهب الحمى .

الظربان : في عرفنا ولغتنا هو القنفذ الكبير الذي في حجم الكلب . طول
شوكه نحو شبر واكثر . اذا احس باحد وخاف منه يرميه بشوكه فيجرحه .
الارنب : ويقال له الخزر وهي الخرقق . دماغها ينفع لمرض الارتعاش واذا
شرب في قدر وقيتين (3) من لبن البقر منع من شيب شعر الراس وغيره .
الحمار الاهلي : هو البهيم وانثاه بهيمة او حمارة او اتان .

الماعز : واحدة عنز وذكره تيس ويسمونه عتروسا لحمه حسن في الصيف
رديء في الشتاء لما فيه من البرودة .

الضمان : هو الغنم . انثاه يقال لها نعجة وهي الغاغية وذكره كبش والصغير
حمل . لا يصلح تعاطى لحمه زمن الطاعون وما عدا ذلك فتافع .

الابل : الذكر يقال له جمل والانثى ناقة . لحمه يذهب الحمى ويقسوى
الابدان . ولبن الناقة ينفع لقروح المعدة وازالة الوحمة .

البغل : هو الشاحج المتولد بين الفرس والحمار . فان كان الذكر حمارا
يكون شديد الشبه بالخيول ولا يتغير اسمه . وان كان الذكر فرسا يكون
شديد الشبه بالحمار ويسمى حينئذ وشفونا . وبعضهم يزعم ان هذا متولد
بين البقر اى الثور والفرس . نحاتة حافره اذا حرقحت حتى صارت رمادا
وطلى بها مع دهن الاس راس الاقرع ينبت شعره . ويسمى نفسين
الخيول : هي العاديات والصافنات الجياد ، والعناتق : الذكر يسمى عندنا

2 - سمى الثعلب ذا الحيل ، لانه اكثر الحيوانات حيلة وروغانا حتى انه شبه به الانسان
الذى في طبعه مثل ذلك فقيل :

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ عنك كما يروغ الثعلب

3 - وقبة : جمعها وقايا . يقدر وزن الوقبة الواحدة بثلاثين غراما .

الحصان والانثى الفرس . وفي اللغة الفرس جامع للذكر والانثى .
الكلب العربي : هو الوازغ والكلبي .
سلوقي الديار : هو الهبلع والعاطل .
سلوقي الصيد : هو الهجرع والخفيف .
القط : ويسمونه الفطوس هو الهر والضيون والسنور . مجاورة انفاسه
يحدث الذبول ومرض السل .

اطيارها (4) :

هي كثيرة لا يسعنا احصاء جميعها مع مطابقة الاسماء الشائعة عندنا على
الاسماء اللغوية لضيق الوقت ولكن لا بد من ذكر المشهور منها :

الحداة : والحداة وتسمى عندنا الحداية .
الانيس : ويسمى عندنا بوبشير لانه يبشر بدخول العام الجديد قبل غيره .
العصفيرة : هي الزراعة .
اليحموم : او ام رباح : هي العقاية .
الظيلم : او الرفراف والسفنج والعسنج هو ذكر النعام .
بو حبيبي : هو الزرزور .
الصافر : او الصفار هو بالنطيري .
الطيئوى : هي انثى تبيب .
الطهيوج : هي الدحيرة .
العصفور : هو الزاوش .
العندليب : او الهزار هي الغناية .
الجميل : هي خويدم عرب .
ام عجلان : هي المسيكية .
الفرغر : او اللباد هي السمانة .

4 - يقال اطيوار وطيور وطيور : جمع طائر : اسم لكل حيوان ذى جناحين . ومن حكايات
العوام قولهم ان الطيور عندما صنع الله تعالى لها اجنحة اجتمعت فرحة مسرورة وقالت :
غدا سنطير باجنحتنا ان شاء الله الا الدجاجة فقد ردت على بنى جنسها قائلة : ما دام
عندنا اجنحة فسنطير بمشيتة الله او من غير مشيتة . فعاقبتها الله على كفرانها وجهلها
بان جعلها عاجزة على الطيران رغم جناحيها .

- القطا (5) : او الغضارة او الغطف ، او مارية ، او الهوذة هي القطاية .
- ابو عبادة : او الفرفور هو بو عبية .
- القارية : نوع من بو بشير السابق هو طير المطر .
- القنبرة : او القبرة هي ام اللعل .
- الطواف : او قطوب هي طير الجن .
- القوبعة : ويقال لها ام عروج هي سهاية الرعيان .
- النسر : ويقال له أم قشعم وام الاصبع .
- ابو قير : هي الشعيرية .
- المقوقس : هو النقلاب .
- المكاء : او المطوقة هي المكاة .
- النجام : هو نقيز الرمان .
- النعام : هي بنت الهيق ، والهودع وام ثلاثين .
- أم سوسى : ويقام ام سيسى ويقال الصغيرة هي النقارة .
- الجمام التركي : ويقال له الحمام الخوخى هو النواح .
- زمنج الماء : هو النورس .
- لهامة : ويقال ام الصبيان وام الليل هي ام الذر .
- الكروان : طائر شبيه بالبط .
- فرخ النعام : هو الهقل .
- ابو هارون : ويقال له الغراد والنواح .
- النقاز : لونه كالدباغ هو نقيز دباغى .
- البوم : والبومة نوع من ام الذر . ويسمى غراب الليل ، والضووع . الذكر منه يسمى صدى وفياد ، والانثى تسمى ام الخراب .
- ابو الحسن : ويقال له الحسون ، والخطب وبوزفاية هو سير قراق .
- الاسفع : هو عمير .

5 - قال الشاعر :

بكيت على سرب القطا اذ مررن بى
فقلت ومثل بالبكاء جدير :
اسرب القطا هل من يعير جناحه
لعل الى من قد هويت اطيير

- الانسوق : هو الرخمة .
- الووة : لا فرق فى اسمها اللغوى والمستعمل .
- الببغاء : أو الدرة هو باباغيو . وهذا الطير لا يأتى الى سوف بنفسه وانما يجلبه احيانا بعض اصحاب الحانات .
- الوصع : او الدخل هو بوفسيية .
- الدغناش : هو حميمييرى .
- البلبل : او النغر او الكعيت او والشحرور هو اتنكش بلبل .
- الفرنيق : الغرنوق أو مالك الحزين هو البلارج .
- البيهرمان : هو اتنكش غيطان .
- البوة : او البوهة : صغيرة اليوم هي ام عكسة .
- الحبارة : أو الحبارى هي الحبرج .
- الحجلة : هي دجاجة البر ويقال لها القبيج .
- الابرش : او الملمع او ابن داية هو الغراب الابقع .
- الزراغ : هو الغراب الصغير .
- الغدادف : هو الغراب الاشهب المثلث للسواد .
- ابو القعقاع : او ابو الزاغ او الحائم (6) هو الغراب الاسود (7) .
- اليمام : او السعدان او الحقم هو الحمام البلدى .
- الورقاء : او حمام الصحراء ، او الوحشى ، والدبيسى هو الحمام البرى .
- ذو الاطواق : والفخت ، والصلصل ، والقلقانى هي الحمام القمري .
- الدجاجة : وام حفصة ، ذكرها ديك تسميه العامة سردوكا وصغيرهما عتوقة وهى الشامرك .
- الخطايفة : او زوارة الهند هي الخرطيفة .
- الخفاش : والخشاف ، والوطواط ، والخندع ، ولطمروق هو طوير الليل .
- العقاب : ويقال له الكاسر ، والصومعة ، والخدايرية .

6 - الحائم : اسم من اسماء الغراب : اسم فاعل من حام ، يحوم وذلك لان الغراب يحوم حول ما يريد اكله لا سيما لحم الميتة وقد قيل :

اذا كان الغراب دليل قوم يمر بهم على جيف الكلاب

7 - اما لونه فاسود معروف وليس هناك غراب غير ذلك . ولعل المؤلف يقصد بقوله الغراب الاسود تركيز انتباه القارئ الى هذه الخاصية فى لون الغراب .

الاغشس : هو بوكرومسة .

الاطيش : هو طير الزرع ، واخو الجراد ، هو عويينة الزراع .

ويوجد غير هذا لكنه غير مشهور وتركت خصائص الاطيار مخافة السمامة .

يقصد هذه السمات بالزرع
هذه السمات على ما
يلاحظ

حشرات (8) :

الخنش : نوع من الحيات الزاحفة . اذا طبخ ثوبه مع الزيت وقطر في الاذن خفف وجاعها .

الورل : ويقال له الورن . اذا وضع لحمه في مكان الشوك بالبدن جذبه واخرجه .

الضب : شبيه بالورل : بعره يذهب البرص والكلف طلاء .

بوكشاش : هو سام ابرص ، الاسود منه دمه يورث البرص .

بوبريص : هو ايضا سام ابرص . اكله يوقع السمل وغيره .

الزلقيقة : هي شحمة الارض او الخراطي . رمادها مع الدهن يزيل قرع الراس طلاء .

الزرزومية : ويقال لها الزرمومية . اذا شقت ووضعت على العجوب الدمية اخرجت ما فيها من دم فاسد .

الوزغة : ويقال لها الوزغة : هي نوع سام ابرص .

الشرشمان (9) : وهو نوع من الجرذون . ويقال الجرذون . لحمه ينفع لابندا ، السمل وجلده اذا حرق وطلى به مع العسل منع الم الضرب .

العطاء : ويقال لها الزغدودية والسحلية وهي نوع من الشرشمان المتقدم . ويزعمون انها شئ واحد وانما تكبر فتصير شرشمانا والصواب انها مختلفة .

المعطوط : نوع من الزغدودية لكنه رقيق جدا وهو المسمى ايضا الحلكة والحلكى والحكسه .

الافعى : والذكر افعوان سمه قاتل . ورماده ينفع البواسير طلاء .

العقرب : يستعمل في عرفنا للانثى . والذكر عقربان . وما في اللغة فالعقرب

تشمل الذكر والانثى . ثم ان الانثى يقال لها عقربة او عقرباء وهي كثيرة بارض الصحراء عامة . ومن خصائصها انها اذا رات وزغة ماتت في حينها .

واذا احترقت عقرب في بيت فرت منه العقارب واذا طبخت في زيت ووضع على مكان لدغ العقارب سكن الالم والبعض يطبخها مع سمن البقر ويطل به موضع اللسعة فيسكنها وان دقت عقرب ووضعت على لسعتها ابراتها .

الضفدعة البرية : ويقال لها جرانة الصحراء : تتولد من العفونات وعقيب الامطار لحمها سم قاتل .

البوية : نوع من الحرباء تتلون بلون ما تمشى عليه وتنفخ كثيرا ولها انياب حادة . مولعة بالنظر الى الشمس تدور حيث دارت . لحمها مضر وطبيخها يستعمل للصبغة باللون الاخضر .

السقش : هو نوع من الظربان كرية الرائحة اكل لحمه دواء للوخم والسعال الجفاف .

الشعان : هو الكبير من الحيات الزاحفة ونوع الوزغ وهو عدو الانسان اذا اصابه يلتوى عليه ويقتله .

الجرذ : ويقال له الجرد . اكر اللون وبذنبه سواد ، سريع العدو .

اليربوع : ويقال له الجربوع ، والدرص وذو الرميم .

فار الصحراء : ويقال له فار الغيطان وهو الزبابة .

فار البلد : ويسمى فار البيت وانشاء الفويسقة . سميت بذلك لانها فسقت وخرجت عن الطريق المستقيم بقطعها حبال سفينة سيدنا نوع . والفرق بين فار الصحراء وفار البلد في الصفة ان الاول ابيض واصفر واحمر ، والثاني اسود واشهب .

الصرصار (IO) : او الصرصر او الصرصور هو الجدد ويقال له بوبزير ، والمغشى .

الفراش : ويقال له الاحق (II) هو بوفرططو .

الجندب : ويسمونه كبش خريف ويطلق هذا الاسم أيضا على العزونة .

IO - الصرصار ، او الصرصر ، او الصرصور من اسماء الاصوات اعنى مأخوذة من الصوت الذي تحدثه هذه الحشرة عند غنائها ، مثلما يقال صرير الباب ، ومواء القط ، وعواء الذئب ، وخوار البقرة ، وخريير الماء . الى غير ذلك .

II - سمي الاحق لارتباطه على النار والنور حتى يحترق من كثرة قربه اليهما وتردده عليهما . ويضرب به المثل على الانسان الذي يحوم كثيرا حول المخاطر الغير مفيدة حتى يقع في مآزقها .

8 - ضمن الحشرات تعرض المؤلف الى انواع من الزواحف مثل الخنش والافعى وغيرها مما يزحف على بطنه .

9 - ويقال للشرشمان سمك الرمل لانه يغوص في الرمل كما يغوص السمك في الماء وحركاته في الرمل كحركات السمك في البحر والارض الرملية الشاسعة بالنسبة للشرشمان كالبحر بالنسبة للسمك .

الحنابل : جمع حنبل ، سده وبر ولحمته صوف مصبوغ بالوان مختلفة .
 الاحمال : جمع حمل سده شعر ولحمته صوف وبر به اصباغ عديدة .
 القطايف : جمع قطيفة سداها شعر مخلوط بصوف او وبر ، لحمتها صوف مصبوغ بالوان كثيرة ولها خمل طويل كثير .
 الزرابى : جمع زربية . ويقال لها الطنأفس ، جمع طنفسة وهى كالقטיפه الا ان خملها قصير قليل .

القشابات (2) : جمع قشابة كالفندورة الا ان لها طربوشا وكمين وفى الغالب تكون من صوف وحده بعضه ابيض وبعضه اسود . وقد تكون معلمة بالقطن او تكون من صوف ابيض لا غير .

الوسايد : جمع وسادة تكون من صوف مصبوغ بالوان وفى الغالب لا خمل لها وقد تكون ذات خمل قصير قليل .

لاجندة : جمع جناح : ويقال لها عبانات جمع عبانة ، تكون من صوف ابيض او معلم بسواد او ببر وصوفها غير جيد لانها معدة لنقل الاشياء او تكون فراشا للفقراء .

المحافى : جمع لحفة : وهى ما يديرها الانسان على عنقه زمن البرد تكون من صوف وحده . وقد تكون معلمة بقطن او حرير .

التليسات : جمع تليسة . سداها شعر مخلوط بصوف او وبر ولحمتها شلايق اى خرق الكتان الممزقة . يتخذها الفقراء فراشا وغطاء .

الفرائر : جمع غرارة ، من شعر وبر وصوف معدة لحمل الاشياء .

الافلجة : جمع فليج وهو الذى تتكون منه الخيمة ، شبه الغرارة الا انه مستطيل .

الطرائق : جمع طريقة . سداها شعر ولحمتها وبر وصوف مصبوغ بالوان تجعل وسط الخيمة فى محل رنع العمود .

الكواسر : جمع كاسرة ، وهى كالطريقة الا انها تجعل فى طرفى الخيمة فى مواضع العصى .

2 - يغلب لباس القشابات بالصحراء عند بنى مزاب حتى صارت طابعا خاصا بهم .

الحلزون : ويقال له بوجفلو ، ومزود الغولية ، شديد المسعة . اذا وضع غسل على مكان لسعته ازال الهم .

الحنظب : ويقال خنفوسة البلاد . اذا شقت ووضعت على القرع اخرجت دمه الفاسد وايسته .

الخنفساء : ويقال لها خنفوسة الغيطان اذا احقرت ووضع رمادها على القرع ابراته .

الجعل : ويسمى بوزنة . يطير ويموت بالرائحة الطيبة . اذا طبخ مع الزيت وقطر فى الاذن فتح صممها .

الجعران : يسمى الزعقوق وهو نوع من الجعل المتقدم ذكره الا انه اكبر منه ، وله ستة ارجل وسنام ، يمشى القهقرى ويدحرج ما يجده من ماكل .

الفرجان : ويقال له خنفوس تنغرت ، شبيه الخلفة بخنفوس البلاد يميل الى الحمرة مرتفع الظهر قصير الارجل .

الشبت : او الشبت ويسمى المزينة .

وغير ذلك كثير والله اعلم .

واذهانهم اثقب فى المعارف والادراكات . . . الخ ثم قال : واما العرب فكان عيشهم من لحوم الانعام ولحوم الصيد اذ غالبهم يتخذ الكلاب لذلك ويشربون الالبان ويأتون بالتمر من الجريد ووادي ريغ والحبوب من التلؤل والزاب ولكن الحبوب قليلة جدا يدخرونها للاضياف ثم حين جعلوا النخيل صاورا ياكلون من تمرهم ويجلبون بعض الحبوب من الزاب . والعرب الرحالة منهم يقتصرون على التمر واللبن واللحم .

قال العياشى : اهل سوف كثيرا ما يقتنون الكلاب للصيد اذ هي كثيرة فى بلادهم وجل معيشتهم من الصيد والتمر . وتمرهم من أطيب ما يكون .

واقول : واهل التوسعة منهم كانوا يقتلعون الترتوث والذنون ويخلطونه بشئ من الشعير ويجعلونه كسكسا او كسكسيا وبعضهم كانوا يطبخون الكابو مع الملح والفلفل ويسمونونه هبيته . وبعضهم يجعل على الهبيته المذكورة شيئا من دقيق الشعير او القمح ويسمون ذلك مغبر ظهره . وقد يصنعون من جميع الخضر مثل صنعهم بالكابو .

ثم فى زمن بعده صار غالب القوت فى النهار التمر ومعه الرضخة او الفتوس او الدلاع او والدوبارة وهى ماء الفول او الحمص مع الفلفل والرمان وغير ذلك ويكون الفلفل تارة اخضر وتارة يابساً مبلولاً بالماء منذ ايام معدا لذلك وان لم يوجد الرمان يجعلون بدله الخل او الطماطم .

ومنهم من ياكل مع التمر دشيشة . وهى قمح او شعير يطحن بالرحى حتى تكون الحبة على ثلاثة او اربعة اجزاء ثم يطبخون ذلك بالابازير وتكون جارية اى مائعة .

او ياكلون معه الحساء : وهو قمح او شعير يطحن حتى تكون الحبة على ستة او سبعة اجزاء ويصنعون به مثل صنعهم بالدشيشة .

ومن قوتهم الرغيدة : وهى دقيق القمح او الشعير الناعم يطبخ مع الابازير فى الماء الكثير وهناك غيرنا من يسمى الاول البرغل والثانى السندر والثالث الشرشور . والى الان توجد هذه الانواع .

صفة عيشها

اهل الاولون من اهل الصحراء وسوف فكانت معيشتهم لحوم الانعام (الابل والغنم) والبانها ولحوم الوحوش . والذين بعدهم يقاربونهم فى ذلك الا انهم يكتالون الذرة فى بعض الاحيان من بلاد السودان ونحوها . ثم الذين بعدهم زادوا بكثرة الحبوب من التلؤل حيث كانوا غير قارين بمحل واحد بل ينتقلون (I) من محل الى آخر ، فكلما وصاوا الى محل أخذوا منه عيشهم بحسب ما فيه .

قال ابن خلدون : اهل الاقليم المعتدلة التى لا تنبت الزرع سكانها فى شظف من العيش كالسكاكين بصحراء المغرب واطراف الرمال فيما بين البربر والسودان فان هؤلاء يفقدون الحبوب والادم واغذيتهم واقواتهم الالبان واللحوم ، ومثل العرب الجائلين فى القفار وان كانوا يأخذون الحبوب والادم من التلؤل الا ان ذلك فى بعض الاوقات ويكونون تحت ربة من حاميتها . وهم احسن حالا فى جسامهم واخلاقهم من اهل التلؤل المنغمسين فى العيش ،

I - ولما كثر النخيل وانتشرت الواحات بالصحراء صار غالب سكانها يميلون الى الاستقرار بواحاتهم للمزيد من غرس النخيل والعناية بالاشجار والخضر .

واخيرا قد كشفت الارض الصحراوية عما فى بطنها من ثروات طبيعية بالغة الاهمية مثل النفط والغاز وغيرهما ، الامر الذى جعل اهتمام المسؤولين يتجه اكثر فاكثر نحو هذه المنطقة العزيزة فضاعفوا بها العمران ووفروا لها شتى وسائل الحياة العصرية . حتى اصبح مستوى المعيشة بها لا يقل عن غيرها من المناطق الجزائرية . وبفضل ما انجزوه بها من طرق لم تعد الصحراء وواحتها اليوم كما كانت بالامس منعزلة عن المناطق الجزائرية بل سهل التنقل اليها والتجول فى ارجائها . كما صارت خير مستقر لاهلها وانسب منطقة سياحية يقصدها القاصى والدانى من السواح فيجدون بها امتع اقامة . امتازت بهدوء الطبيعة الباسمة ومنظر الرمال البديع وجمال واحاتها الخلاب ، بالإضافة الى نبل اخلاق اهل المنطقة وطيب معاملتهم وكرم ضيافتهم .

وفى الليل اغلب قوتهم الكسكسى (2) وهو كما قال ابو المحاسن اسم بالمغرب لما يربط من دقيق القمح او شعير او غيرهما بنحو السمن ويقتل مستديرا ثم يعطى فوراً الماء ويمرق بامراق اللحم . واجوده الماخوذ من خالص دقيق الحنطة المجفف بعد تفويره .

وقد يكون بدل الكسكسى بودشيش المطحون بحيث تكون الحبة على جزئين فى الغالب يبل بالماء وبعد ان يراق الماء يعطى الفوار مرتين ثم يربط بزيت ونحوه .

وقد يكون الشرشم : وهو القمح المتقع فى الماء يومين او ثلاثة ثم يطبخ من غير طحن بابازير ويؤكل كذلك .

وقد تكون الهريسة وهى الشعير يرش بالماء ثم يرضخ بالمرضخ (اى المهراس او الهاون) حتى تزول بعض قشوره ثم يرش مرة ثانية ويعاد له الرضخ حتى تزول بقية قشوره ثم يطبخ كذلك بالابازير .

او البركوكش : وهو كالكسكسى فى القتل الا انه اكبر منه حبا . وبعد الفوار مرة واحدة يلقي فى القدر التى فيها الامراق فيكون شبيها بالدشيشة والكسكسى اى كالمركب منها .

والسفة : وهى كالكسكسى فى القتل والفوار الا انه لا تكون معها امراق بل حين تعطى الفوار مرتين تلقى عليها الابازير وتؤكل كذلك او تخلط بالابازير عند الفوار الثانى فيطيب مع الفتول .

وتسمى هذه السفة باسم آخر وهو المحكوك لكنه فيه بدل الابازير تمر مبلول بالماء او غسل التمر المسمى الدبس او السكر .

البزين : وهو دقيق ناعم يعجن بالماء عجناً محكماً ثم يقسم اجزاء كهياة الرمان او اقل ويجعل ماء فى قدر ويوقد تحته النار حتى يغلى فتلقى فيه تلك القطع وقد هياوا لها مرقاً فيضعونها فيه وياكلون .

2 - قيل ان الكسكسى ، وهو اكلة رئيسية عند اهل الجنوب ، اصله اكلة بربرية . وقد نسب للبربر ثلاث ميزات . اكل الكسكسى وليس البرنس وحلق الراس . اما كيفية اعداد الكسكسى وتمريقه ، فتختلف عند البعض عما هو عند الآخر ، فما هو مثلاً بالمناطق الجنوبية يختلف عما هو بالشمال وما عند اهل البدو عما هو عند اهل الحضار .

العصيدة : وهى شبيهة بالبزين والفرق بينهما ان دقيق العصيدة لا يعجن بل حين غليان القدر يذرون فيها ذلك الدقيق ويصحبون ذلك بالتحريك الدائم حتى ينتهى الدقيق ثم بعد قليل ينزلونها ويضعون عليها بدل المرق العسل او السكر او التمر المبروس فى الماء مع السمن او الزيت .

القلية : وهى قمح فقط يقلى فى الطواجن حتى تفوح رائحته ويؤكل كذلك من غير طحن .

الزميتة : وهى قمح او شعير يحمص ثم يطحن ويؤكل .

البسيسة : وهى الزميتة الا ان دقيقها يلت بالتمر والماء او الزيت او السمن او العسل .

الكسرة : اليابسة وهى خبز ينضج فى الطواجن بعد عجنها بالماء والملح فقط .

الرخساس : وهو الكسرة اليابسة الا انه يدهن بالتمر والماء او العسل . الفطير : وهو ما قبله الا انه يدهن بالزيت او السمن .

الملاوى : هى الخبز المعجون بالزيت او السمن .

الرقاق : هو الفطير الا انه يعجن عجناً محكماً ويخبز رقيقاً كالكاغط .

الشحمية : هى الرخساس الذى فى طباقه الشحوم .

المطبقة : هى الرخساس الذى فى طباقه الفلفل والبصل والكرويا والطماطم او الرمان او لحم الفرماس ، والشحم .

السفنح : او الفطائر هى الرقاق الذى ينضج فى الزيت .

كسرة الملة : هى الرخساس الذى يمل فى الجمر او الرماد حتى ينضج . وقد يضعون فى وسطها الشحم والفلفل وغير ذلك .

الرفيس : هو الرخساس المفتت المخلوط بالتمر والسمن او الحليب .

الشخشوخة : هى الرخساس المفتت المرق بالامراق واللحم .

والى الآن توجد هذه الانواع عند عامة الناس وما خاصتهم فقد ارتقوا الى انواع اخرى كما عند اهل المدن .

ولم تكن لهم فى القديم آلات طبخ كافية بل بعضهم يضعون اللحم فى خرقه مبلولة ويوقدون ناراً فى حفرة بالارض ثم يجعلون تلك الخرقه بلحمها داخلها ويردون عليها الجمر والرماد الحار حتى ينضج اللحم وذلك بعد ان يجعلوا

عظما مستطيلا مجوفا او قصبية ويربطون الخرقعة عليها ويكون العظم او القصبية بارزة من الارض ليخرج منها البخار كالمدخن . ثم تعلموا من أهل الجريد فاتخذوا قدورا من طين يطبخون فيها . وفي وقتها هذا ، كثرت الات الطبخ من كل نوع وصارت قريية الشبه مما في المدن المعتبرة . والله له الحكم واليه ترجعون .

تذييب :

كان لباس الاولين جلود الضان للرجال وجلود المعز للنساء بعد دبغها . ثم تعلموا الغزل والنسيج فصار الرجل يلبس لحفة او قندورة صوف ، والمرأة تلبس حوليا او بخنوقا مصبوغين بالحمرة او الصفرة او السواد وهو الغلب . ثم اتخذوا احذية من جلود الابل مربوطة باسيار منه . ثم تنوعوا فصارت اسماهم من جلد الفلالي الاصفر او الاحمر . ثم اتخذوا خرقا من الصوف خاطوها بالشعر او الوبر او الصوف المبروم سموها عفاقين واحدها عفان وهي الى الان كثيرة . ثم صاروا ياتون بالكتان المالمطي من القطر التونسي يلبس منه الرجل ثوبا يسمى سورية ويقال لها قمحة ويقال لها بلوزة وهي القبا والرداء والقميص والشعا . والمرأة تلبس منه ثوبا يسمى ملحفة وهي الملاة والريطة وذات اللفتين . ثم زاد الرجال ثوبا آخر يلبسونه فوق الاول ويسمى قندورة او قدورة وهي الازرة والدثار والحية .

وزادت النساء ثوبا اخر تحت الاول يسمى قدورة .

ومنها كثرت الملابس واختلفت انواعها والوانها وكيفيةها .

قال القدماء : ان البرانس لم تكن في سوف الا في الزمن المتأخر جدا وانما كان بدلها للرجال حوالى الصوف ذات الاعلام بالظن . وكذلك البخانيق للنساء حدثت متأخرة وكان بدلها لهن خرق صغيرة من صوف لا تتجاوز الكتفين من الراس .

وغسل جميع هذه الثياب قبل وجود الصابون كان بالجبس او الطين او الرماد للاسود او الماء وحده ، والله اعلم .

صفة عمرانها

قال الشيخ العدواني (I) : « كانت ارض سوف قفراء فعمرت ، ثم بعد زمن قليل خربت ثم عمرت مرة ثانية ولم يطل ذلك فخربت ، ثم عمرت مرة ثالثة ومكثوا زمانا (اي ساكنوها) ثم خربت ، ثم عمرت مرة رابعة وطال عمرانها وشاع صيتها وتمكن اهلها ، ثم خربت ثم عمرت بعد ذلك بطرود وغيرهم » .

اقول : المقصود من قوله غيرهم هم بنو عدوان ، وبنو هلال وبنو سليم وما زالوا بها الى الان . والمراد بالخراب ولو للبعض دون الكل .

واستبعد كلامه بعضهم قائلين انه لم يبلغنا عن ارض وقع لها مثل ما ذكر .

اقول : ان هذا المعترض لا يسمع كلامه حيث كان بلا حجة والناقل ججة والمثبت مقدم على النافي والاخبار المنقولة عن القدماء تقارب ما ذكره الشيخ وقدرة الله صالحة لتقلب الامور .

ولم يبلغنا عن البرابرة الاولين الذين كانوا بارض سوف قبل الكنعانيين انهم جعلوا فيها بناء بل المفهوم من المنقول كانوا ينتقلون من محل الى محل وذلك يقتضى عدم البناء والتوطن ومنهم من كان يتخذ الكهوف والاغوار وجدوا اناسا بارض الرمل اشبه شيء بالانعام السائمة فخاطبواهم فلم يفهموا بيوتا لهم .

1 - الشيخ العدواني - رحمه الله - شخصية تاريخية من مواليد قرية الزم احدى قري سوف ومن رجالات تلك المنطقة القدامى . كان عالما مولعا بالبحث والتنقيب ادى به ميله هذا الى الكتابة في ميدان التاريخ فالف كتابا في تاريخ سوف قام بترجمته الى الفرنسية السيد ش . فرود Ch. Feraud سنة 1868 م ؛ وكتابا ثانيا يحمل اسم صحراء قسنطينة ترجم سنة 1887 م . ومع الاسف نكاد لا نجد اليوم اثرا لما تركه الشيخ العدواني . ليت شعري ! هل من عزائم تتجه الى بعث هذا التراث الذى هو تراثنا جميعا .

قيل ان فى دولة عاد وبنيه بلغ اقوام ارض المغرب وفى حال مرورهم وجدوا اناسا بأرض الرمل أشبه شئ بالانعام السائمة فخاطبهم فلم يفهموا خطابهم فقتلوا منهم اناسا وفر منهم اناس .

قيل ان الذين فروا منهم دخلوا المغرب بدليل قول ابن خلدون .

واما الكنعانيون والرومان فعمروها عمراناً قويا فى مواضع سوف تذكر ان شاء الله والى الآن آثارهم يوجد منها شئ فى مواضعهم التى كانوا بها .

وأما زناتة (2) فكانت مساكنهم فى زرائب من حلفاء قائمة على أعمدة من خشب الآزال والمرخ والرتم . وتارة يبنون بيوتا من طين الشطوط القريب من الماء الشبيه بالجبس . والمتأخرون منهم بنوا اماكن بالطين والجبس . وقروا قرى من ذلك وبنوا حولها اسوارا الى الان يوجد منها بعض الآثار .

واما طرود فكانت مساكنهم فى ابتداء الحال بالجبس ولم يبلغنا انهم بنوا بالطين . ثم حين صاروا اصحاب نخيل جعلوا بدل زرائب الحلفاء زرائب من جريدة النخيل قائمة على الحطب ثم حين طال النخيل صاروا يقطعون منها الاخشاب ويجعلونها بدل الحطب .

واما الاخلاط الذين كانوا من بنى هلال وبنى سليم المتأخرين فكانت مساكنهم فى خيام من شعر أو وبر أو جلد وبيوت من طين وزرائب من حلفاء او رتم او نحوهما قائمة على خشب الآزال .

قال العياشى : حين وصلنا الى الوادى وجدنا طرودا يسكنون فى زرائب من جريد النخل وبها يخزنون ما يحتاجون اليه .

اقول : كان مرور العياشى بالوادى فى حدود عام 1072 هـ / 1662 م (3) .

وكيفية البناء بالجبس عندهم ان يجمعوا كثيرا من حجر الترشة ويضعونه على صفحة حجر التافزة الذى هو على وجه الارض بعد مسح الغبار عنه ويبسطونه هناك ثم يجعلون فوقه كثيرا من الحطب والحشيش من بوقريبة واللبن وفوق ذلك كوما من الترشة ايضا حتى يصير كالقبة ويتركون جوانب عارية ، ثم يضرمون النار فى تلك الجوانب فيشتعل الحطب وما معه ويخرج

2 - المفهوم من قول المؤلف ان زناتة هم آخر جنس من البربر عمروا ارض سوف على انها كانت من قبل ومنذ عهد قديم عامرة باقوام سواهم من البربر مثل الطوارق . وقد ثبت انهم استوطنوا هذه الارض حيناً من الدهر قبل الزناتيين .

3 - وفى رواية اخرى ان مرور العياشى بأرض سوف كان سنة 1666 م . والعياشى رحالة مغربى مر بسوف اثناء سفره الى المشرق ، وقيل لحج بيت الله الحرام .

الدخان على الترشة ويحترق الاسفل فيصير الجميع جبسا . ويقال لذلك حروق مشتق من الحريق . ودام هذا الحال زمنا طويلا وحتى وقتنا هذا بل الى الان يجعله بعض الذين لا يجدون ثمن غيره او من كان فى غوطة محتاجا الى شئ قليل من الجبس .

ثم صنعوا الافران ، جمع فرن ، ويسمون بها الكوش جمع كوشة وكيفية ذلك ان ياخذوا حجر التافزة ويركبونه فى الكوشة حجرا فوق آخر حتى يصير كالقبة ثم يلقون فوق ذلك الحجارة الصغيرة التى نحتت من الكبيرة ويوقدون النار من فوهة الكوشة تحت الاحجار حتى تصير جبسا فيبنى بجميع ذلك مخلوطا برماده .

ثم صاروا يبنون فى منتصف الكوشة (الفرن) نوعا من القبة المثقوبة ويسمون ذلك كوشة الغربال يضعون فوقها الاحجار كالهية السابقة .

واما الاحجار التى يجعلونها خلال الجبس ليتقوم بها الحائط فكانت فى القديم احجار التافزة ، ثم اذا تهدم بناء يجعلون حجراته عوضا عن التافزة ثم صاروا يبنون بحجارة اللوس الذى له شعاب ويسمونه الكبيشة وهو الكثير فى وقتنا هذا .

وكان علو الجدران لا يتجاوز اربعة اذرع (4) فى الغالب .

قال كتاب رحلة بنى هلال : كان الناس يتعجبون من طول جدران قصر العريش وكان طوله ستة اذرع .

اقول : قصر العريش هذا هو الذى كان فى موضع غوط (5) الصلابة الآن قبلة من الوادى بنحو نصف ميل .

وكانت الحجارة بادية ظاهرة فى الجدران من داخل ومن خارج . لا يسترونها بالجبس الا فى الزمن الاخير ويسمون سترها تلييسا وغيرهم يقول تلييكا . واذا كان الجبس مغربلا يقال تلييكا او تببيضا نسبة الى البياض لان

4 - اربعة اذرع تقدر بمتريين .
فيالنظر الى العمارة العملاقة وناطحات السحاب اليوم ندرك مدى تقدم العقل الانساني عبر هذه المرحلة من تاريخه .

5 - غوط : جمعه غيطان ، يطلق فى اللغة على كل مكان منخفض وفى اصطلاح اهل سوف يطلق على الارض المنخفضة التى غرس بها شجر النخيل .

لونه يصير كذلك ، ونسبة الى اللينة وهى خرقة ممالة بالماء يسوون بها ذلك الجبس حتى يصير معتدلا ملسا من غير انخفاض ولا ارتفاع .

وكانت سقوف بيوتهم من اعواد الحطب يضعون عليها الحلفاء وفوق الجميع الطين أو الجبس . وأبوابهم كانت عصيا مصففة مشدودة باسيار من جلود الابل أو غيرها على عصى تمتد فى الباب عرضا . وتلك العصى اما من المرخ أو الرتم أو الطرفاء . ثم صارت من جريد النخل . وأقفالهم أخشاب فى سارية واقفة حذو منفتح الباب . وفى جدار البيت كوة مسامتة الى تلك الاخشاب يدخل منها الانسان يده فيدفع الخشبة الى الامام فينغلق البيت او الى الوراء فينفتح .

ثم ازداد البناء فى الارتفاع ولكعت الجدران صارت السقوف من اخشاب النخل وعليها اما جريد النخل او عصى طوال منتظمة بحبال رقيقة فى ثقب جعلت فى العصى بعد بلها بالماء او دفنها فى التراب واجراء الماء عليها . ويسمون ذلك سدة والجمع سدد وهى كهياة السرير . وهذه الى الان توجد فى بعض السقوف . ويتخذونها ايضا عوضا عن السرير ينامون عليها فى زمن الحر فيضعونها على خشبات من جذوع النخل ممدودة على خشبيات صغيرة . ويقال للخشبة الكبيرة مرودا وللصغيرة وقافة . بحيث يكون كل مروود على وقافتين . ويجعلون السدة كذلك فى الغوط اما لوضع التمر عليها او لتستقيف الزرائب ونحو ذلك .

وصارت الابواب غالبيتها من اخشاب النخل منشورة مصقولة وغير الغالب من العصى السابق ذكرها . والاقفال من اعواد صغيرة تجعل فى لوحات من خشب صغيرة وعريضة فى كل لوحة اربع ثقب بها اربعة اعواد رأسها عريض واسفلها رقيق ، والعود الذى هو القفل به اربع ثقب ايضا . وفى قرب منفتح الباب سارية مبنية مثقوبة فيها اللوحة السابقة وفى وسط تلك اللوحة القفل . واما فى العصر الاخير فقد ارتفع البناء ايضا عن الحالة التى قبله وحسن رونقه وقلت الزرائب بحيث لا يسكنها الا الفقراء او من كثر فى الغيطان فيمكث فيها زمنا ثم يرحل عنها الى القرى او ما كان عادته الرحيل كاهل البادية الذين لا اغتباط لهم بالاقامة فى المداشر . وغالب هؤلاء يبنون مع الزريبة بيتا أو أكثر لحزينه . وصارت أبواب العصى نادرة جدا وأبواب الحطب قريبة من الدور .

وصارت الان السقوف بالقباب (6) (المدورات) او الادماس (المستطيلات) او التريعات (المربعات) وغير ذلك قليل . واصبحت الابواب من الصنوبر وغيره من الاخشاب النباتية المصقولة بل صارت جميع الاشياء من الطسراز الحديث المتعارف اليوم فى المدن . والله اعلم .

6 - لو نظر الانسان الى مدينة وادى سوف من مكان مرتفع ، من على منارة او طائرة مثلا لناه بصره بين الآلاف من القباب والادماس لذا اطلق على مدينة الوادى اسم « مدينة الالف قبة » .

وعلاوة على ان هذه القباب والادماس اصبحت تشكل طابعا معماريا خاصا بسوف ، فلها مزايا مقصودة املتها طبيعة المنطقة وذلك ان شكل القباب او الادماس يساعد على تبعثر اشعة الشمس المسلطة عليها وتخفيف حدتها وعلى منع تراكم ما تظيره الرياح من تراب فوقها ، كما ان تجويف القبة او الدمسة داخل الجيب لما يوفر مزيدا من الهواء ويحسن درجة الحرارة فيها .

العنكبوت : وهى الكبيرة طويلة الارجل المسماة عندنا السداية تمنع الحمى
بخورا .

الرتيلا : هى الصغيرة وكبيرة البطن قصيرة الارجل . المسماة الورل وهى
سامة اذا وضع الورل رطباً على نهشته جذب سمه . وملسوعه اذا نظر الى آنية
الذهب برىء .

الدود : هو ابن الندى وابن التراب ، وابن العفونة .
دود الغنم : او دود الابل هو النفث .

القرنبي : او نبات الشيوخ ويسمونه قطاع الشكاوى ينفع من عسر البول طلاء .
الدلق : هو ابن مقرض وابن مقروض ويسمونه بوجلج . جلده ينفع للقولنج
والبواسير .

الشبتان : هو كشائر السواقى .
فالية الافاعى : هى خنفوسة الحرمل .
بنات وردان : هى خنفوسة الرجل .
الدنة : هى قراص الاذنين .

الحماط : او الحموذ هو بوقطيفة .
الحرقوص : هو بو نهيق .
الحجروف : هو بودرن .

الطنرج : هو النمل الاسود .
الفازر : هو النمل الكبير .
السمسم : هو النمل الاحمر .
النذر : هو النمل الصغير .

الدخاس : ويسمونه الغيابة ، وهى الدابة الرقيقة الحمراء التى تغطس
فى الرمل .

الدرج : ويسمونه الليطى هو دويبة مبرقشة بحمرة وسواد تكون غالبا على
اوراق القثاء يقال ان اكلها سم .

القمعة : هى الذبابة التى تقرص الابل فتضرها .

الاخضر : هو ذبابة النصارى .

الخشف : هو ذبابة الهند .

مصنوعات أهل سوف

اهم المصنوعات فى الصحراء وسوف البرانييس : جمع برنس . ويقال له
برنوس منها الرفيع والوضيع ، والمتوسط . ولا تكون عندنا الا من الصوف
وحده (I) .

الحياك : جمع حائك وهو الحولى الذى سداه ولحمته حرير او احدهما
فقط او يكون من صوف معلما بالحرير .

الحوالى الحسنية : وهى لا تكون الا مع الصوف وكلها للرجال . ثم الحوالى
التي تكون للنساء عوضا من الملحفة اى الملاة ولا تكون الا من الصوف وكانت
لاهل الحاضرة والبادية واختصت الان بالبادية غالبا .

الحوالى القطنية : اى المصنوعة من الصوف المعلمة بالقطن . وهذه تكون
للرجال والنساء لكن النساء يصبغنها بالسواد او الحمرة . وبعض المترفعات
يصبغن حوالى الحرير وتسمى حينئذ مغاطس ، جمع مغطوس .

القنادر : جمع قندورة ، تكون من صوف وحده او معلمة بالوبر او الحرير .
وقد تكون كلها حريرا والجميع للرجال .

البخانيق : جمع بخنوق ، الكبير لا يكون الا من الصوف والصغير معلما
بالقطن او الحرير وبعضهم يسمى الصغير طبة والجمع طب .

حوالى الفراش : وتكون كلها من الصوف الابيض معلما بالوان من صوف
مصبوغ .

I - انتشر اخيرا بسوف صنع البرانس الوبرية ايضا . ونالت البرانس الوبرية المصنوعة
بسوف سمعة طيبة نظرا لدقتها وجمال منظرها وجودة صنعها . وقد بلغت سمعتها اقصى
مناطق الشمال بالجمهورية الجزائرية فنالت بأسواقها رواجاً كبيراً .

الشبابيح : جمع شباح ، كالكواسر الا انها تكون فى جنبها .

المخالى : جمع مخلاة ، كالغرازة الا انها صغيرة .

المحازم : جمع محزمة تصنع من الشعر ولصوف وقد يكون فيها الوبر .

الحقبان : جمع حقب ، كالحبل الا انه يظفر طية فوق طية ولا يكون الا من الشعر وقد يضاف له وبر او صوف .

المرابر : جمع مريرة ، كالحبل من غير فرق فى الصنعة واجزؤها كالحقب .

البرمات : جمع برمة تتركب من خيوط كثيرة بعضها فوق بعض تجعل على راس المترفعين من العرب . وارفح منها العمائم جمع عميمة اذ هى أكبر منها .

القشطات : جمع قشطة تكون من الوبر وهى اقل من البرمة بقليل .

الخيوط : جمع خيط من الوبر الا انه اقل من القشطة .

اللبدات : جمع لبدة ، كالكبوس . تكون من الصوف الابيض وتجعل عليها البرمة .

العراريق : جمع عراقية ، هى القلنسوة . تكون من قطن مبروم وهى مثقبة .

التقاشير : جمع تقشير (3) وهى الجوارب ويقال لها كلاسطة (4) تكون من صوف او قطن .

القرب : جمع قربة وهى المزادة . تصنع من جلد الماعز .

الركاوى : جمع ركوة وهى العلبة من جلد المعز .

الدلاء : جمع دلو وهو السبجل .

العفافين : جمع عفان وهو حذاء من الصوف والشعر يلبس غالبا فى زمن البرد لدقته .

القرفات : جمع قرفة ، كالغرازة الا انها من الجلد الجملى المدبوغ .

3 - تقشير : تعبير جزائرى .

4 - كلاسطة : تعبير تونسى .

الرقعات : جمع رقعة ، وهى من جلد تتخذ فراشا للانسان او الرحى .

العمائر : جمع عمورة ، كالدلو الا ان فمها مفتوح مبنى على عود مستدير .

القراديش : جمع قرادشة هى التى يندف بها الصوف .

كما تصنع عندنا البلغات ، والجوارب والامسات والجباير والتزدامسات والعلوات والزواويد ، والمزاود والمسروج ، والرواحل ، والحوايه ، والبرادع ، والاحلاس وغراييل الجلد ، وغراييل الحديد وخمر التمر المسمى ماحيسة ، وخمر اللاقمى المسمى قيشم ، وحبال الليف ، وحبال العراجين والقفاف (5) والملايات (6) والعلاقات (7) والاعدال (8) والشواري (9) والزناييل (10) والسجاجيد (11) وغير ذلك .

واما بقية المصنوعات فهى داخله فى جملة الحرف التى شاركوا فيها غيرهم من اهل الجهات الاخرى . والله اعلم .

5 - القفاف : جمع قفة .

6 - الملايات : جمع ملاية .

7 - العلاقات : جمع علاقة .

8 - الاعدال : جمع عديلة .

9 - الشواري : جمع شارية .

10 - الزناييل : جمع زنبيل .

11 - السجاجيد : جمع سجادة : ويسمونها حصيرة الصلاة ، وكل ما ذكر مصنوع من سعف النخيل .

وقيل سمي بذلك لان طرودا حين دخوله وعانقوا التراب تسوقه الريح
متتابعاً قالوا ان تراب هذا المحل كالوادي في الجريان لا ينقطع . والله اعلم .

ويليه من جهة الجنوب سيدي مرغني (2) نسبة للرجل الصالح المقبور
هناك وسمياتي ذكر المنتسبين اليه .

ومنه جنوباً عميش (3) : نسبة لرجل من زناتة اعمش العينين مات هناك .

قال القدماء : كان عميش رجلاً جواداً في قومه طائر الصييت . وكان من
البادية اذا ظعن يتبعه الكثير ممن اقعدهم الفقر . ولا يفارق بيته الدخان في
غالب الاوقات لطبخ العصيدة . وكان قريب العهد بمقدم طرود . مات في
حال رجوعه من الصحراء . يقال ان سيدي الحاج البكري اخبر عنه بان قبره
بازنة . والله اعلم .

ويلي عميش شرقاً جنوباً النخلة (4) سميت بذلك لان اول من ابتدع
نخيلها غرس فيها نخلة واحدة وعجز عن المزيد فكبرت ولما امتد عمران عميش
صار اهله يقولون : نذهب الى النخلة او جئت من النخلة فصارت علماً
للمكان .

وغربيها الرياح (5) سمي بذلك لان الذي سكنه يقال له رياح بن
رياح .

ويلي عميش شرقاً : الخبنة (6) سميت بذلك لانها كانت موضعاً منخفضاً
فكانه مخبون اي مطوى والخبن في اللغة الطي والانخفاض .

ويلي الوادي شرقاً الطريفاي (7) سمي بذلك لانه كان منبت شجر الطرفاء
حيث كان سيح وادي الجبل أولاً هناك ثم صار سيح وادي النازية .

2 - قرية سيدي مرغني هي المعبر عنها بصحن الماصط تبعد عن الوادي بنحو الكيلومترين .

3 - غالباً ما يقصد المؤلف بكلمة عميش قرية البيضاء خاصة . وهي تبعد عن الوادي بستة
كيلومترات .

4 - النخلة : احدى قرى عميش تبعد عن الوادي بنحو 14 كلم .

5 - الرياح : من قرى عميش ايضا تبعد عن الوادي بنحو 10 كلم .

6 - من الوادي الى الخبنة 12 كلم .

7 - من الوادي الى الطريفاي 22 كلم . قيل تأسست الطريفاي سنة 1850 م .

الاماكن المعروفة بسوف

اشهر اماكن سوف : الوادي (1) : وهو قاعدتها . سمي بذلك لانه محل
جريان الوادي بين (وادي الجبل ووادي النازية) لانهما وان كانا يجريان قرب
بعض الاماكن من سوف مثل سيدي عون والبهيمة ، الا ان انتهاءهما بمحل
الوادي ، فاعتبر المنتهى .

قيل ان هذه التسمية حدثت له زمن نزول طرود به وفي ذلك العهد لم
يبق للواديين جريان وانما كان محلها متسعاً مستطيلاً فشبّهوه بالوادي .

أقول : ان في ذلك الزمن وان لم يبق ماء بالواديين الا ان محل الوادي
الاخير باق قائم وبه شيء من الماء بدليل تنازع الزناتيين وطرود على الحفر التي
حفروها في ثماده وعلى هذا فمن الاقرب ان تكون النسبة لوادي الماء لا للمحل
المتسع المستطيل .

ومن مزاعم بعض العامة انه سمي بذلك لان اهله لا يهدؤون ولا يسكنون
بل يتحركون دائماً اما بالسفر او الظعن (الرحيل) فشبهوهم بجريان الماء في
محلّه المسمى وادياً .

وقيل ان هذه التسمية اتت من شخص حين عاين طرودا وكثرتهم وعدم
انقطاعهم في المسير فقال : ما ارى لهؤلاء القوم انقطاعاً ان هم الا كالوادي
كلما اقبل منه موج الا وتلاه موج اخر .

1 - الوادي كان ولا يزال المركز الاداري لمنطقة سوف . وصار يطلق ايضا على مدينة الوادي
مدينة الالف قبة كما تقدم .

ومن الغاز اهل سوف هذا قولهم : واد ما يجريش ، كانون ما يقديش ، قمره ما
تضويش ، بهيمة ما تمشيح . فيقصدون بكلمة واد مدينة الوادي ، وكانون قرية
كويين ، وقمره بلدة قمار ، وبهيمة قرية البهيمة .

وقبلته الازريق (8) سمي بذلك لانه كان به بئر تردى (سقط) فيها حاشى
(جمل صغير) ازرق فهو مصغر ذلك الاسم .

وقبلته شرقا منه الخفى (9) سمي بذلك لخفاء محله عن كثير من الناس
فكانه مخبأ اى مخفى والناس الى الان يسمونه به ولا يعرفون محله .

وشرقية بانحراف الى الجوف (الشمال) المحل المسمى واد وراغ يعنون
ماء الوادى لا يتجاوز ذلك المحل فكانه يغور فيه اى يتسفل وينزل وذلك لكثرة
رملة الذى يشرب ماءه .

ويلى الوادى غربا جنوبا عرعر . سمي ذلك المحل بشجر العرعر الذى كان
نابتا هناك وقيل سمي بذلك لان احد المحتطيين نزل هناك فإواد الشرب من
فقال لمن لحقه لا تشرب من هنا فان البئر قد امتلات بالعرعر (اى بالعرعر الكثير)
بئر فيه وكان معه كثير من العرعر ليخلطه بالدخان فاريق له فى تلك البئر
فقال لمن لحقه لا تشرب من هنا فان البئر قد امتلات بالعرعر (أى بالعرعر الكثير)
وقيل سمي برجل مات فيه كان اذا ذهب الى نواحي بودخان وقدم يسالونه
بما جئت معك يقول أتيت بالعرعر والاكيل والدفلة فيلقبوه عريرا .

ويليه فى الجهة الجوفية واد زيتن (10) وحين كثر الاستعمال صار يقال
لها وزيتن سميت بذلك لموت عبد لزناطة فيها كان ملازم الجلوس عند منعطف
الوادى اى وادى النازية قبل تحوله .

وقيل انه غرق فيه وقيل انه غرق فى مكان اخر من الوادى والقتة الامواج
هناك فوجد بها .

وبغربيها : ام الصحوين (11) سميت بذلك لاتساعها فكانها هى التى ولدت
الاصحن اذ هى اكبر الاصحن التى قربها .

وقبله غربا منها شقامط (12) سميت بذلك لانقباض وتقارب بعضها من
بعض . واهل هذه الارض يسمون المنقبض مشقمطا .

وغربا من الصحوين : وادى العلندى (13) سمي بذلك لشبهه بالوادى فى
الانخفاض والامتداد وبه بدل الماء شجر العلندى . وكان كثيرا هناك لا يستطيع
السالك المرور فيه الا بكلفة خصوصا اذا كانت ابلا موقورة .

ويليه قبلة بانحراف للغرب سحبان (14) سمي بذلك لموت رجل هناك قيل
انه من بنى سليم الذين كانوا هناك . والراجح انه من بنى شباط الذين
كانوا نازلين فى الكتف لسد الثغور .

ويليه فى الجهة القبلىة امية الكلبة (15) : سمي بذلك لموت كلبة فى بئر
هناك . واهل سوف يقولون للماء امة اذا كان مصغرا تحقيرا له .

ويلى وادى العلندى جوف : وادى الترك (16) : الكلمة الاولى تصغير واد
وتقدم انه يطلق على الموضع الفسيح الطويل سمي بذلك الاسم لمروى بعض
من الوادى الى تقرت ونزولهم فيه .

ويلى الوادى جوف (شمالا) سيدى عبد الله (17) : سميت القرية باسم
الرجل الصالح المقبور فيها .

وبقربه جوف غربا القارة (18) سبب تسميتها بهذا الاسم انها كانت بها
ربوة عالية والربوة تسمى قارة ثم أزيلت تلك الربوة وبقي الاسم محلها .

ويتصل بها شمالا تكسبت (19) سميت باسم تكسبت القديمة لان بعض
أهلها الذين اختطوها اتوا من الزاب وعمرها أولا فى النواهب عمرا خفيفا
والثف حولهم لفائف من العرب فلم يسعهم المحل لضيقه فارتحل منهم جمع
ونزل بالوادى والبعض الى قرب كوينين ولم يبق منهم الا النزر القليل
اذ انتقل غالبهم فيما بعد الى الوادى واختلطوا بأناسها وتظاهروا منهم .
ثم ارتحل بعض العائلات ونزلوا بهذا المحل وسموه بما كان يسمع قبل من
اصهارهم فصار ذاك علما .

13 - من الوادى الى وادى العلندى 20 كلم . قيل هذه تأسست سنة 1895 م .

14 - من الوادى الى سحبان 27 كلم .

15 - من الوادى الى امية الكلبة 30 كلم .

16 - من الوادى الى وادى الترك 33 كلم . قيل تأسست هذه سنة 1900 م .

17 - من الوادى الى سيدى عبد الله نصف كيلومتر تقريبا .

18 - من الوادى الى القارة كيلومتر ونصف .

19 - من الوادى الى تكسبت كيلومتران .

8 - من من الوادى الى الازريق 27 كلم .

9 - من الوادى الى الحبي نحو 28 كلم .

10 - من الوادى الى واد زيتن 5 كلم .

11 - من الوادى الى ام الصحوين 15 كلم .

12 - من الوادى الى شقامط 29 كلم .

ويليها جوفاً كوينين (20) : سميت بذلك للعثور على كُفُون من حديد بقربها وكان صغيراً فاطلق على تلك النواحي ذلك الاسم مصغراً كما سميت مدينة فاس بذلك الاسم للعثور على فاس بأساسها حسبما حكاه الوزاني في حاشيته على الزقاق . وقال الشيخ العدواني : سميت كوينين بهذا لأن أول من نزل بمحلها بيت واحد يوقد النار في كل آن من البرد فإذا احتاج أحد للنار وكانت قليلة في ذلك الوقت يجدها عنده . وإنما كانوا يوقدون من القداحة (وهي قطعة من حديد تضرب على حجر جبلي) أو من حك عود على عود مع وضع خرقة مسودة من تراب البارود أو الرماد أو شيء من الطعام وقيل كانت في ابتداء أمرها بها ثلاث بيوت متجاورة هيئتها كالأنافى أى كالأحجار التى يوضع عليها القدر والمسماة عند العامة مناصف فصار يقول الرائي ان هذا الا كالكوينين في الهيئة . وتكرر ذلك فتداولته الالسنه حتى جعل علما عليها ، والله اعلم .

وبقربها شرقاً منها : القوارير (21) قرية صغيرة جداً نسبة الى قرارا (اهل تاغزوت) لانهم من هناك اى جدهم اتى منها ودفن هناك وتقرت عليه القرية من ذويه وكان القرارى المذكور جاء الى سوف قبل عمران كوينين بنحو المائة سنة ونزل أولاً على من وجده فى الهنشير قبل التفرق ثم انقطع عنهم الى محل زاويته الآن يتعبد فيه حتى أدركه به الموت . وبعد ذلك انجلى أنباؤه بانجلاء أهل الهنشير وعند حصول الامن رجع منهم البعض .

ويلي كوينين فى الجهة الغربية الجنوبية أمية باهى (22) ، الكلمة الاولى تقدم مثلها والثانية منحوتة من كلمة ابراهيم يتولونها استلطافاً واستطرافاً للمسمى بذلك لان الذى حفر بها البئر الاولى يسمى ابراهيم ويلقب بالباهى وكان معناه حسن ورجل باهى أى ممدوح على فعالة وحسن اخلاقه . سميت القرية بذلك لان الذى حفر بها البئر الاولى يسمى ابراهيم ويلقب بالباهى وكان هذا الرجل من بنى عدوان حسب احدى الروايات وقيل انه من بنى سليم . وقيل انه من بنى مجور لان بنى مجور هم الذين كانوا تلك الناحية .

ويليه شمالاً ورماس (23) : سمي بذلك لموت رجل مشهور من زناتة هناك يسمى ورماس بن لوا بن مطماط بن فاتن بن تمصيت بن ضريس بن زخيك ابن مادغيس الابتر بن بربر بن كنعان . الخ وقيل انه ورماس بن فاتن

20 - من الوادى الى كوينين خمسة كيلومتر .

21 - من الوادى الى القوارير خمسة كلم .

22 - من الوادى الى أمية باهى تسعة كلم .

23 - من الوادى الى ورماس 20 كلم .

ابن شماس بن ورتوجين بن زناتة بن نوار بن شريد بن لوا بن مطماط الخ . . . وهذا هو الراجح لنسبة الناس اياه لزناتة . قيل جاء من جبل الظاهر الذى بنفزاوة حين تفرقت فى نواحيه البرابرة وعمره زعنا بادين فقتل لهم : ننتقل الى اخواننا الذين ذهبوا الى تقرت فلم يقبلوا منه وكان مسموع الكلمة سابقاً فخرج مع من أطاعه مغتافاً حتى وصل ذلك المحل فأقام فيه مريضاً مدة ثم مات وقبر هناك . وعمل من كان معه بوصيته فذهبوا الى تقرت ، قيل انهم الى الآن بها فى مستاوة .

ويلي كوينين فى الجهة الشمالية تاغزوت (24) : سميت بذلك لانه حل بها حين نزلوا ذلك المكان فقيل له أرض أهل تاغزوت .

بنى سليم الذين نزلوا أرض الزاب . وأصله من قرية فى جبل شتار يقال لها فى ذلك الحين تاغزوت . سميت بما ذكر فى زمن الرومان الذين قدموا الى افريقية . وقيل سميت بجماعة أتوا من تاغزوت المذكورة يعلمون الناس القرآن كانوا نزلوا بمحل جلهمة فاجتمع عليهم القوم وقرروا تلك القرية ونسبوا لها . وقيل ان الرهبان الذين كانوا بجلهمة أصلهم من تاغزوت التى بأرضهم حين نزلوا ذلك المكان فقيل له أرض تازغوت .

وقبلتها بانحراف للغرب بوبياضة (25) : سمي بذلك لكثرة الفار (اليربوع) الأبيض به .

وبقربها شمالاً بانحراف قليل الى الشرق قمار (26) : قيل سبب تسميتها بذلك ان رجلاً من تاغزوت كان يعلم الطرقات أى يضع عليها علامات لحيثه بها وجهل كثير من الناس لها فلعب القمار . . . ثم سمي أبناء القمار . وكانوا كثيرين فنزلوا موضع قمار فقيل له محل أبناء القمار . ثم تداولت الكلمة الالسنه فصار يقال لها قمار . وقيل ان جماعة كانوا ذهبوا الى الحج فاجتمعوا فيه ببعض أهل قمار الهند . وكان احدهم يشبههم كثيراً فى الحلقة فقال جماعة سوف لصاحبهم : كأنك قمارى ، ثم لقبوه بذلك عندما رجعوا من الحج ولما نزل بموضع قمار قيل له محل القمارى وقال : هو أنا قمارى وهذا المحل قمار . وقيل ان رجلاً من أهلها كان يتعاطى كثيراً القمار والمراهنه فاشتهر بذلك ولقب بالقمار . وقيل ان ذلك المكان كان كثير الحمام القمارى يذهب

24 - من الوادى الى تاغزوت 14 كلم . قيل هذه تأسست سنة 1580 م .

25 - من الوادى الى بوبياضة نحو 13 كلم .

26 - من الوادى الى قمار 15 كلم . قيل هذه تأسست سنة 1597 م .

الفتيان. ينصبون به الفخاخ ويسمونه محل القمارى ثم نصرفت الاسم في الكلمة حتى صار يقال قمار . والله أعلم بالحقيقة .

وبلى ذلك في الجهة الغربية الشمالية بورقية (27) ويقال له الرقبة لكثرة الاستعمال سميت بذلك لموت رجل من طرود هناك حين كانوا في الشجر يقال له بورقية لطول رقبته ودقتها أى ان طول عنقه كان متفاحشا ولذلك ظهر اسمه بـ قرأه اذ لا يظهر اسم احد دون ابناء جنسه الا اذا كانت به خاصية لا توجد فيهم أو يندر وقوعها .

وبلى قمار من الشمال الدميثة (28) : لم يذكر لى أحد تعليل اسمها وأظن انها سميت بذلك لكثرة الاوساخ بأرضها فانها كانت في حافة غدير من الماء لا يفارقه الرسخ غالباً وأهل هذه الأرض يسمون الموضع مدمثا ويقولون انسان فيه دمث أى وسخ . واما في اللغة فالمكان المدمث هو السهل اللين . ورجل دمث الاخلاق أى حسن الاخلاق والين الطبيعة وموضع الدميثة الآن سهل اذ السهل عندنا هو الذي لا رمل فيه وان كان صليدا بخلاف اللغة .

وبلى هذه شرقا بانحراف الى الشمال : (29) غمرة وهي من الاماكن المشتركة الاسماء لكن هذه ليست بلدة بل هي بساط من الأرض به قليل من النخيل وسميتها قرية وكانت خرابا وقت التسمية على ما قيل . ويسمى بهذا الاسم أيضا طائفة مسكنهم الزاب الغربى سميت بذلك تشبيها بغمرة التي في تراب تقرب لتقارب صفة أرضهما وقيل انها كانت مغمورة بالماء من سيح الوادى أحيانا الذي كان يمر غربا من البهيمية وبالقرب من هذا المحل فليل لها من أجل ذلك غمرة . وقيل لانها كانت موضع الغمرات أى الشدائد والاهوال اذ وقعت فيها كثير من الحوادث . وواحدة الغمرات غمرة . قال الشاعر :

زعم العواذل اننى فى غمرة صدقوا ولكن غمرتى لا تنجلي

فشددت العامة ميمها وكثيرا ما يسمى المكان باسم ما وقع فيه والعكس . فمن الاول بورقية وورماس وسحبان ونحو ذلك ومن الثاني النادى فانه في الاصل اسم لمحل جلوس الجماعة فصار يطلق على الجماعة نفسها .

ويلصق الوادى جوفاً بانحراف قليل للشرق قرية ضواى روحه : سميت باسم المكان الذى شوهد فيه ضوء كان انسان هياك يوقد الضوء لروحه أى

- 27 - من الوادى الى بورقية 35 كلم . قيل تأسست سنة 1880 م .
28 - من الوادى الى الدميثة : 25 كلم . تأسست القرية منه 1882 .
29 - من الوادى الى غمرة : 20 كلم .

لنفسه من غير أن يجعله له أحد . وبنيت قبيبة (قبة صغيرة جدا) بذلك المحل وتزوره الناس الى الآن للتبرك به . ومكان هذه القرية في حافة محل تسكبت القديمة الشمالية الغربية .

وفى موضع حافتها الغربية الجنوبية وموضع الشرقية بويتان تسمى باسم سأكنيها الآن وهم الماوى وأولاد فرح . ويقال لها انزلة سيدي بلقاسم بن لعجال .

وبازاء الوادى شمالا نزلة أولاد مبروكة .

ويلصق الوادى شرقا نولة سيدي مسطور .

وقبلته نزلة البق وشرقيها العالقة .

وببعد عن الوادى شمالا شرقا بنحو ثلاثة عشر ميلا البهيمية (30) : سبب تسميتها بذلك أن طرودا حين أتوا من وادى الجردانية ونزلوا بذلك المكان وجدوا بئرا كان حفرها زناتة في ممرهم الى عدوان وحيث اشتد العطش بطرود ازدهموا على تلك البئر بحيواناتهم وكان لهم بهيمية (حمارة أو اتان) موقورة بالمتاع سقطت في البئر فما أخرجوها الا ميتة فأخذوا المتاع وأرجعوا البهيمية الى البئر .

وبازائها في الجهة الشرقية الزقم (31) : سبب تسميتها بذلك قيل انه أتاهما أناس من بنى يزقن أى أناس من مزاب فسموها باسم بلدهم بكثرة الاستعمال أبدلت النون ميماً . وهم الحضراويون . وقيل ان بنى عدوان كانوا كثيرا ما يأكلون الثمر النفطى بالزبدة وهذا يسمى الزقم فسمى المحل بذلك . وكانوا ينطقون بالقاف الفارسية (32) المشوبة بالكاف بدل القاف العربية الاولى . وهذا الى الآن يوجد في طرود وبقية عرب سوف . ووقع مثله في العرب

30 - من الوادى الى البهيمية : 14 كلم .

31 - من الوادى الى الزقم : 15 كلم . قيل تأسس مسجد الزقم الاول سنة 1560 والقرية سنة 1580 .

32 - القاف الفارسية التى ينطق بها اهل سوف وغيرهم فى غالب المناطق الجزائرية بدلا من القاف العربية لم يرمز لها بحرف خاص ضمن الحروف الهجائية العربية . غير اننا نجد فى بعض المقاسات من يرمز لها بزيادة نقطة ثالثة على القاف هكذا : (ق) بالفرنسية G وكذا بالنسبة لحرف الفاء الفارسية بوضع ثلاث نقط أسفل الحرف (ف) بالفرنسية V . وبالنسبة للباء الفارسية هكذا (ب) والمؤلف ممن وضع ثلاث نقط على حرف القاف فى الكلمات التالية الواردة بالبيتين : قيل ، الخلق ، قولوا .

ويليه في الجهة الشمالية الدريميني (36) : سمي بذلك لموت رجل من طرود هناك يسمى دريمين لانه كان متقارب الخطوات في المشى لعجزه .

ويليه في الجهة الشرقية الغوط : سمي بذلك لان الذي ابتدع فيه النخيل جعل غوطا واحدا وبقي زما طويلا منفردا ثم قدم عليه جماعة وقالوا ننزل بالغوط . والغوط عبارة على مكان منخفض فيه نخلات متجاورات مغروسات بقرب الماء .

ويليه في الجهة الشرقية الشمالية احسى خليفة (37) : يزعمون ان ذلك المكان حفر فيه خليفة الزناتي بثرا عند مروره بسوف ثم خربت وبقي المحل يسمى بذلك والبئر عندهم يسمى حاسي فاذا صغر قيل له احسى .

وبلى البهيمه شمالا السويهلة (38) : سميت بذلك الانبساط أرضها وعدم وجود الرمل على وجهها فهي مصغرة سهلة .

وبلى ذلك شمالا ايضا بانحراف الى الشرق سيدي غون (39) : سميت القرية باسم الشيخ الذي نزلها اولا وتقرت عليه القرية بابنائها غالبا . وهو سيدي غون بن مهلهل .

ويليه شمالا قطاي : سمي بذلك لوجود كثيب عال من الرمل بقربه . والعرب تسمى الحقف الذي على الارض المعتدلة قطايا ، وقرنا ، وغريبا ، لانه كخصلة الشعر الزائدة على شعر الرأس المسدولة على الكتفين او قريهما . او تشبيها بقرن الشاة الخارج على راسها والله اعلم .

تذييل

قيل أول ما تقرى من قرى سوف ما سوى الوادي تاغزوت ثم الزقم وبعدهما كوينين ومنها قرية قمار وتلتها البهيمه . ثم امتد العمران عميش وما يليه . وبعده عمرت الدبيلة . ثم قرية سيدي عون وبعد ذلك تسلسلت بقية الفروع اغليها من أهالي الوادي .

وقد حكى لي الشيخ نصر المتقدم ذكره عن ينقل عليهم ان ترتيب العمران بسوف كان على خلاف ما تقدم وهو انه اول ما تقرى من القرى الزقم لوجود آل عدوان بالمكان من قديم ومن انضم اليهم من جديد . وبعدها بقليل عمرت تاغزوت ثم قمار ومنها البهيمه فكوينين فالدبيلة فسيدي عون . واما عميش فلم يكن له وقت محدود وانما كان كل من ضاق عنه المجال من طرود ينتقل الى تلك الناحية . فجميع سكان عميش اتوه فرادى كما ان تلك القرى كان تقريها تدريجيا لا دفعة واحدة ولم يكثر بها البناء الا بعد عام الف ومائة هجري والله اعلم بالصواب .

تنبيه :

ليس لنا من الاماكن المشتركة الاسماء في هذه الارض الا اربعة :

الاول : قمار فانه يطلق على القرية التي بارض سوف وعلى بلد بالهند يجلب منه العود القماري . لكن الفرق بينهما ان تلك بفتح القاف وهذه بضمها .

الثاني : تاغزوت ، فانه يطلق على قرية ارضنا وعلى مكان قرية بجبل ششار وعلى مكان بارض الغول (ارض فرنسا) .

36 - من الوادي الى الدريميني 23 كلم .
37 - من الوادي احسى خليفة : 30 كلم .
38 - من الوادي الى السويهلة : 19 كلم .
39 - من الوادي الى سيدي عون 21 كلم . قيل تأسست القرية المذكورة سنة 1740 م تقريبا .

الثالث : القوارير ، يطلق على القرية التي بقرب كوينين وعلى مكان جدتهم
الذى بناحية توات .

الرابع : سوف ، يطلق على هذه الارض بتمامها وعلى مكان بالشام .

حكى لى انسان يقال له عثمان لا اعرف اسم ابيه وهو من البهيمة وجدته
بالجزائر عام 1327/1909 م كان عاملا مع أخيه ابراهيم بمحل تجارة ناطاف
اليهودى ، حكى لى بانه حين اراد الذهاب الى الحجاز وكان لا مال له ، طوخته
الطوائح يسال الناس فدخل أرض سوف بالشام وهى قليلة السكان واهلها
شبيهو الخلقة واللباس بأهل أرضنا فاستطعمهم فاطعموه واكرموه بعد ان
عرفوا نسبته .

اقول : لعل الذين قدموا الى هذه النواحي اولا كانوا من ذلك المحل فسميت
الارض بهم والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب .

الاجناس فى سوف

البربر (1)

كانت ارض البربر الشام ونواحي فلسطين وكان ملكهم جالوت فلما قتل
سادت البرابرة الى المغرب .

قال الطبرى والسهيلي وكما هو فى كتاب تحفة الانجاد ، وكتاب الخلاصة
النقية فى امراء افريقية ان سبب خروج البربر من الشام التى كانوا فيها ان
افريقس استجاشهم لفتح افريقية وسماهم البربر وينشدون من شعره :

بربرت كنعان لما شقتهيا من اراضى الضنك والعيش الحبيب

وقال ابن الكلبي : اختلف الناس فيمن اخرج البربر من الشام ، ف قيل
داود عليه السلام وقيل نبي الله يوشع بن نون عليه السلام ابن اخت سيدنا
موسى عليه السلام . وقيل بعض ملوك التبايع . وعن البكرى ان بنى
اسرائيل اخرجوهم عند قتل جالوت . وعن المسعودى انهم فروا بعد موت
جالوت الى المغرب وارادوا مصر فاجلتهم القبط فسكنوا برقة وافريقية والمغرب
ونزلوا القفار عصورا فى الخيام (2) وانتجاع الامصار من الاسكندرية الى البحر
والى طنجة والسوس حتى جاء الاسلام .

1 - قيل ان كلمة بربر لم تكن موجودة قبل دخول اليونان الى شمال افريقيا . وقيل عندما
دخلوها وجدوا فى السنة اهلها ثقة فاطلقوا عليهم من اجل ذلك اسم بربر .

2 - كان البربر فى هذه المرحلة التاريخية يسكنون الخيام والكهوف ويعتمدون فى معيشتهم
على اصطياد الحيوانات الوحشية وتربية الحيوانات الاهلية ثم انتقلوا بعد ذلك الى مرحلة
الزراعة فحراثوا الارض وزرعوها حبوبا ، فارتفع مستوى معيشتهم . ولم يكن لهم مجتمع
منظم وانما كانوا منقسمين الى جماعات صغيرة تشكل فى مجموعها القبيلة الخاضعة
لسلطة القائد الذى ينتخبونه والمسمى : اقليد .

وكان منهم من تهود ومنهم من تنصر ، وآخرون مجوسا يعبدون الشمس والقمر والاصنام ، ولهم ملوك ورؤساء .

وفى كتاب اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان : ان حام ابن نوح فر الى المغرب وتبعه بنوه من ولده بربر بن كلوجيم فنسل بنوه بالمغرب . ثم قال : وانضاف الى البربر حيان يمينان عند خروجهم من مارب وهما كتامة وصنهاجة .

والحق الذى لا ينبغى التعويل على غيره فى شأنهم انهم من ولد كنعان بن حام بن نوح عليه السلام .

وجاء فى المنهل العذب : بعد ان كانت اليونان بطرابلس تغلبت عليهم البرابرة واستوطنوها الى ان جاء الاسلام . وان هؤلاء البربر شعوب وقبائل اكثر من ان تحصى وكان سبب مسيرهم اليها والى غيرها من المغرب . انهم كانوا بنواحي فلسطين من الشام وكان ملكهم جالوت فلما قتل سارت البرابرة وطلبوا المغرب وانتبهوا الى ليبيا ومراقية فسارت زناتة ومغيلة (قبيلتان) الى المغرب وسكنوا الجبال والصحارى التى قبله من زاب افريقية . ونزلت نفوسة (قبيلة من البربر) مدينة صبرة واجلوا من كان من الروم فى ذلك الوقت واقام الافارق وهم خدمة الروم وبقيتهم على صلح يؤدونه الى ان كان صلح عمرو بن العاص .

ان برابرة زناتة انتقلوا الى الزاب ، وقسطيلة ، ووادي ريغ ، وورقلة ، وسوف متأخرين (3) فقاتلوا من وجدوه هناك واجلوه عن جميع تلك الاراضى وحلوا محلهم .

قال القدماء : ان البرابرة الذين وصلوا الى سوف وما حولها متأخرين هم بنو زناتة وان اكثر الاماكن الموجودة الان بها تسمى بهم .

وجاء فى المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب : ان زناتة (4) من فرق كثيرة منها زوارة ، وزواغة ، ودمر ، وهراطيل ، وبضلتين ، وبنو توجين ، وبنو مغرا ، وبنو يفرن (5) وبنو ورشيفانة وبنو باذين الخ .

3 - يفهم من كلام المؤلف ان ارض سوف كانت عامرة بقوم غير بربر زناتة قبل قدوم هؤلاء اليها .

4 - جميع بربر زناتة تنتسب الى جانا بن يحيى .

5 - يفرن اليه تنتسب الكاهنة بطلة الاوراس الشهيرة .

ولما قدم برابرة زناتة الى سوف بنوا بها اماكن كثيرة منها الجردانية والبليدة . وقيل اصلحوا ما انكسر بهما لوجودهما من قبل (6) وزادوا فيها . والمنقول عن القدماء ان البليدة انهدمت كلها ولم تبق منها بقية . واما الجردانية فزادوا فيها وبنوا اماكن اخرى منها البليدة التى قبله غواط الصلابة الان كانت قرية كبيرة ذات سور عظيم الى الان توجد آثاره فى غوط ابناى حميد بالناحية الشرقية . وآثار مقبرتها (جبانيتها) فى ناحية الغوط الغربية . ومقبرتها الاخرى بغوط بن حريكة . فقد رايت بنفسى جثتا فيهما قبل التاربخ بنحو ثلاث سنوات . وعثر ايضا فى الغوطين المذكورين على قلال وقدرور وأوان من زجاج وخزف ونحو ذلك من الآثار .

ومنها تكسبت التى كانت بمكان ضواى روحه الان . ومنها حزوة (7) التى قرب تراب الجريد كانت عامرة أهلة ذات بناء محكم لا سور لها .

جاء فى كتاب تغريبة بنى هلال : نزلنا فى موضع حزوة فراينا الاثار بها قائمة ولحجارة مفرقة .

اقول : الى الان توجد بعض آثار ذلك وقد شاهدت الكثير منها .

وتاكرارات (8) محلها المعروف الان قرب الميتة وادى دخان وعقلة الطرودى فى الطريق بين الجردانية وعين البيضاء . والى الان اثارها موجودة وجدرانها قائمة وحجارتها مبعثرة ويسمى الشجر النابت هناك عريش تاكرارات او تاقرارات . والناس يسمون الشجر المثلث عريشا كما كانوا يسمون قصر زعيم البليدة السابق ذكرها قصر العريش والقصر هو البرج . واخبرنى من اتق به ان لبليدة نفسها كانت تسمى قصر العريش لان القرية بتمامها كانت تسمى عندهم قصرا وجمعها قصور والنسبة اليها قصرى . وذلك لوجود الاشجار الكثيرة حولها .

وجاء فى تغريبة بنى هلال : ان تاكرارات كانت عامرة عمراناً عظيماً ، كثيرة الابل ، مستحكمة الحضارة والنضارة ، مبنية بالصخر الكبير . . .

وقد عثر فى الزمن القريب عن خشبة ساج حولها لا يدرى هل هى من خشب سقوفها ام اتت بها السيول من مكان اخر .

6 - قيل ايضا ان الجردانية والبليدة القديمة كانتا موجودتين عند قدوم زناتة الى سوف وقد بناهما الفنيقيون من قبل .

7 - حزوة مكان موجود الآن على مسافة 75 كلم من الوادى شرقا فى طريق الجريد . وقد سعى باسم امرأة بربرية زناتية تدعى حزوة .

8 - يقال لها تاكرارات وتاقرارات .

ومنها قريتان متجاورتان بطريق تقرب الان بنواحي سيف سلطان لا ادرى
ما اسمهما . وبموضعهما الآثار الى اليوم .

وفى زمنهم كثر الزرع بالجردانية وتاكرات وما حولهما .

وكانت الرئاسة على هؤلاء البربر الذين بالواسطة للكهنة المشهورة المسماة
دهيا او وهيا ، او واهيا بنت تابثة الجراوية ساكنة جبل اوراس (9) .
اتخذت جموعا عظيمة حولها وتسارعت بهم على سائر القبايل فخضعت لها العباد
وتمكن من البلاد حتى صار لا يذهب الذاهب او ياتى الا بمشورتها . الا
ترنس والقيروان وقابس وما حولها فكانت تحت سلطة جرجير الرومى الذى
تحت هرقل ملك القسطنطينية ، وهو صاحب سبيطة ولم تقدر دهايا على
التسلط عليه لشدة شوكته وحمايته .

وقيل ان دهايا ايضا مع جميع رعاياها كانوا تحت امر جرجير ولكن استفحل
امرها بعد موته كما ان جرجير نبذ طاعة هرقل واستقل بالملك وحده ،
وضرب السكة باسمه اى باسم جرجير الى ان جاء الفتح الاسلامى كما سياتى
ان شاء الله .

الكنعانيون (1)

يتصل نسبهم (2) بنسب البربر المتقدم ذكرهم فى كنعان بن حام بن نوح
عليه السلام . كانت اراضيهم بناحية بلاد الشام (3) فاحترفوا البحارة
والتجارة (4) ويعيشون الايام والشهور فى الاسفار وركوب البحار لبيع
مصنوعاتهم فى البلاد القريبة والبعيدة .

وابتداء من خمسة عشر قرنا قبل الميلاد تقريبا صاروا يقدون فى غالب
الايام على ارض المغرب (5) فيبيعون الى البرابرة ما يحملونه من بضائع عديدة
وحلل ثمينة . ثم انهم بنوا مدينة قرطاجنة (6) (ترشيش) بتونس .

قيل ان امرأة تسمى عليسة (7) احدى اميراتهم تناخضت مع اخيها على
الملك ولما خلعهما عن العرش ضاق بها المجال وصعب عليها الحال فقدمت مع
جمع من حاشيتها الى ترشيش حيث بنت مدينة واسمها قرطاجنة اثارها الى
الان موجودة ومن المزارات المقصودة .

1 - الكنعانيون يعنى بهم الفنيقيين .

2 - الفنيقيون او الكنعانيون هم من حيث النسب ابناءهم البربر والعرب .

3 - كان الكنعانيون يسكنون بلاد فنيقيا الواقعة بين جبال لبنان والبحر الابيض المتوسط .

4 - كانوا فى بادى الامر فلاحين ممتازين غير ان صغر ارضهم الفلاحية دفعتهم الى ان
يصيروا بحارة تجارا .

5 - قاموا برحلات طويلة فى حوض البحر المتوسط حاملين مختلف منتجاتهم الصناعية الى
البلدان الساحلية . واخيرا ارسى بهم الحال الى انشاء مراكز تجارية قارة اصبحت
فيما بعد مدنا هامة مثل قرطاجنة بنزرت ، عنابة ، سكيكدة ، القل ، جبجل ، بجاية ،
الجزائر ، شرشال ، تنيس ، طنجة .

6 - تأسست مدينة قرطاجنة حوالى 814 ق م .

7 - عليسة او اليزة وتسمى ايضا ديدون خلعهما شقيقها عن العرش بعد ان كانت ملكة بمدينة
صور فى لبنان .

9 - تناول حديث المؤلف هنا الفترة الاخيرة من تاريخ البربر اعنى عهد الكاهنة لعلاقة هذه
بالزناتيين فى منطقة سوف قبيل قدوم العرب اذ كانت المنطقة عهدئذ آهلة بالبربر من
بنى زناتة .

وكان لهذه المدينة شأن عظيم الى ان تسلط عليها قوم الرومان عام 146 قبل الميلاد كما سيأتي .

ويزعم برابرة زناتة المغرب انهم من هؤلاء الكنعانيين وليس بصحيح .

والذي ترجحه الاخبار عن الاوائل ان الكنعانيين بلغوا ارض سوف (8) وما حولها . وكانت مساكنهم في وادي الجردانية السالف ذكره ، وفي البليدة القديمة التي بقرب سيف المنادى في الناحية الشمالية من الوادي على مسافة يومين .

الرومان (1)

قال الشيخ العروسي في كناشه : اتى الرومان الى هذه الارض (ارض سوف) منذ دهر طويل لا نعلم اوله ، وقَاتلوا من فيها واخرجوهم منها ففرقوا في افريقية . وسكنوا في مساكنهم (الجردانية والبليدة) (2) وجددوا ما تهدم منها وتعمقوا في أراضيها . الخ . أقول : اتى الرومان الى هذه الارض في القرن الاول المسيحي لانهم في تلك الاوقات تسلطوا على فرنسا وافريقية .

وقد عمروها عمرًا قويًا وبنوا فيها بناء كثيرًا وحسب ظني ان البلدة التي في وادي الجردانية كان محلها قريبًا من موضع عيون النازية الآن وهي بقرب بشر بوزلفة المعروفة في التاريخ بدليل الآثار التي عثر عليها في الازمنة المتأخرة منها خشب ساج وأسلحة . ذكر المؤرخون ان قرطاجنة كان بها مثل ذلك في زمنهم أى في زمن الكنعانيين . وكلام العدواني يفيد ان تلك البلدة كانت تسمى الجردانية وان الوادي الذي يجرى هناك ينسب اليها او الى النازية . فيقال : وادي الجردانية او وادي النازية .

وبعد خراب البلدة واضمحلال الوادي بقي ذلك الاسم على المحل كما ان جميع الاماكن التي في سوف بقي عليها اسم الشيء الذي تسمت به أولا ولو بعد زواله .

وطالت اقامتهم بسوف وكانوا أصحاب أموال وابل وتجارة قياسا على من هم بافريقية . والله أعلم .

1 - رأى الرومان ما بلغه الفنيقيون (الكنعانيون) من عظيم الشأن وقوة السلطان فاجسوا خيفة وذهبوا يكيدون لهم المكائد قصد الوصول الى محاربتهم والحلول محلهم بارض افريقية . وفعلوا قد اشعل الرومانيون نار الحرب ضد الفنيقيين مدة قرن ونيف اظهر فيها اهل قرطاجنة من البطولة ما جعلت انتصار الرومان امرا عسيرا لولا استعانتهم بالبرابرة الذين كانوا يظنون في هزيمة الفنيقيين خلاصا لوطنهم ، الا ان الرومانيين بعد انتصارهم لم يتركوا الارض لاصحابها البرابرة رغم وعودهم بل استولوا على كامل البلاد . واستمر وجود الرومان مع البربر عهدا طويلا تخللته فترات هدوء تارة وتورات من طرف البربر تارة اخرى . ولما جاء المسيح عليه السلام اعتنق الرومانيون دينه وتبعهم في ذلك البرابرة فكانت مدينة قرطاجنة ومدن غيرها قاعدة للربان والقسيسين . وكان من بين هؤلاء من ذهب الى ارض سوف وما حولها من المناطق الجنوبية للتبشير بدين المسيح عليه السلام .

دم حكم الرومان نحو الستة قرون بشمال افريقيا لم يقيموا اثناءها عدلا نحو الرعية وانما كان همهم المتعة الشخصية حتى ضعف حالهم واضمحلت آمالهم وسلط الله عليهم قوم الفندال بجيوشهم الجارة كما حاربهم البربر بشدة وضراوة فهزم الرومان في كل معركة وميدان وخرجوا من الارض تاركين وراءهم آلاف الموتى او من اختار البقاء تحت حكم غيره .

2 - لم يكنف الرومان عند قدومهم الى سوف بالسكن في الجردانية والبليدة بل بنوا قرى عديدة اخرى في مختلف ارض سوف ويوجد اثار ذلك في سندروس ، وقمار ، والرقية ، وغرد الوصيف ، وقرية البليدة الجديدة المسماة قصر العريش على القول بانها من تشييد الرومان .

8 - يذكر بعض المؤرخين انه كانت علاقة تجارية بين الفنيقيين وبلاد السودان عن طريق البر . وكان هذا الطريق هو العرق الشرقي الى الناحية الشرقية من سوف . وهذا مما يرجح وجودهم بها ولعل بعض الآثار التي اكتشفت بعدة مناطق من سوف هي اثار فنيقية نسبت للرومان .

وعن كتاب السيرة السنينة في أخبار ملوك الدولة الفرنسية ان الرومان استولوا على أرض القول (3) أى فرنسا قبل بعثة سيدنا عيسى بخمسين عاما وكان ملك الرومان وقت استيلائهم عليها يسمى جول سيزار . فدفعوهم (اى القوليون) عن أرضهم بالقتال تسعة أعوام فأدركهم الضعف من كثرة الحروب فجئنا اذعنوا للطاعة ودخلوا تحت حكم الرومان ، وأخذوا في تعلم العلوم والصنائع والقوانين فكان لهم في استيلائهم عليهم فوائد كثيرة . واستقر الرومان هناك نحو الخمسمائة سنة وعمروها بالبناء وما زال اثر ذلك في فرنسا من القناطر والابراج وغير ذلك . . . الخ .

وقال في المنهل العذب : من جملة من سكن الأرض طرابلس الرومان وكان وقت اتيانهم لها في اوائل القرن المسيحي .

ونص كلام الاول : ثم ضعف حال الرومان فهجمت عليهم أمم كثيرة من الجرمانية استولت على بعض ارضهم وعمروها بالبناء فمنهم السوييف ، والفندال والاسكلافيون ، والسكسون ، والنورمان والفرنك .

ونص كلام الثانى : ثم بعد الرومان سكنها (اى طرابلس) الوندال وهم جنس من الجرمان . أقول : الوندال فى كلام هذا هم الفندال فى كلام الاول لان الفاء هنا ليست حقيقية بل هى الباء الفارسية التى ينطق بها بين الفاء والباء واذا ضعفت أى شددت كما هنا ينطق بها واوا صريحا .

وكلام المؤنس فى تاريخ افريقية وتونس يفيد ان الرومان بعد حروب وقعت لهم مع صاحب قرطاجنة على وادى مجردة انحازوا الى الجهات الغربية .

وحسب قول القدماء ان تلك الجهات هى الزاب وورقلة وما حولهما وسوف وقسطيلة (الجريد) .

أقول : وفى ذلك الوقت وقبله بقليل مر بهذه الارض سيدي خالد ابن سنان العيسى واستقر قراره بزاب بسكرة الغربى والى الان قبره مشهور بزار هناك .

3 - فى القرن الثانى قبل المسيح كان اليونانيون متمركزين بالمنطقة الجنوبية من ارض القول (فرنسا) وعند ما نشب القتال بين القولين واليونانيين استنجد هؤلاء عند عجزهم بالرومان الذين لم يترددوا فى مساعدتهم غير ان الرومانيين بعد انتصارهم على القولين لم يعودوا الى ارضهم بل تمركزوا بالمنطقة التى سميت فيما بعد منطقة البروفانس بارض فرنسا . وفى سنة 58 قبل المسيح استنجد القوليون القاطنون بالشمال بالرومانيين لمساعدتهم على رد الجرمانيين الذين جاؤوا لغزو ارض القول فتوجه اليهم جول سيزار بجيشه واجبر الجرمانيين على التراجع ، لكن الرومانيين رفضوا هذه المرة ايضا مغادرة المنطقة وبذلك اصبحوا مسيطرين على غالب ارض القول .

جاء فى المؤنس : قال غير واحد ان افريقية دخلها نبي الله خالد بن سنان العيسى وكان فى زمن الفترة ولكن لم يدخلها بدعوة وهو مدفون فى المغرب فى بلد بسكرة (4) وانكر بعض الفقهاء ذلك وصححه آخرون والشيخ التواتى ممن أثبت انه هو . ورأيت بخط والدى رحمة الله عليه قال : حضرت الشيخ المذكور (التواتى) وهو متوجه لزيارة نبي الله خالد ابن سنان العيسى . وله كتاب صنغه الشيخ وثبتت عنده صحته . وفى تلك البلاد يسمونه خالد النبي ويزورونه ويتبركون بمقامه صلى الله عليه وسلم . . . الخ .

وقال الشيخ الدسوقي الراجح انه نبي . قيل بعث لاصحاب الرس وهى بشر كانوا قعودا حولها فانهارت بهم وبمنازلهم . وقيل كان نبيا غير رسول بين سيدنا عيسى وسيدنا محمد عليهما السلام .

وقال الفارابى : كان قريبا لسيدنا محمد عليه السلام .

أقول : وكان السبب فى اتيان الرومان الى افريقية هو عداوتهم وعداوة بعض البربر للكنعانيين وبعد أن وعدوا البربر بتسليم البلاد لهم ان هم تغلبوا على الكنعانيين لكن حدث منهم كما قال الشاعر :

قلت انجزى الوعد سيدتى قالت كلام الليل يمحوه النهار

ولم يزل الرومان هنا نحو الستمائة عام الى أن تسلط عليهم الفندال سنة 427 م . ولله عاقبة الامور .

4 - المكان الذى به قبر خالد بن سنان اصبح بلدة معروفة باسم خالد ، بنواحي بسكرة .

وذهب كثير منهم الى أرض سوف (5) فاستقروا في سحبان (6) وجهلمة (7) وغيرهم .

وكانت افعال الفندال في افريقية أفعالا شنيعة فأضمروا لهم البربر الكراهية والبغضاء وتربصوا بهم الدوائر الى ان هلك جنسريق فثاروا ضدهم وقتلوهم قتالا شديدا سنة 530 م تقريبا . وبعد حرب دامت نحو ثلاث سنوات انجلى قوم الفندال عن افريقية ، وتلك سنة الله في الذين ظلموا ولن تجد لسنة الله تبديلا . وعاد البربر الى افريقية ، وذلك في عهد قسطنطين .

الفندال (1)

الفندال ويقال الوندال وقد تقدم ذكر ذلك .

كانوا في أرض الاسبان فضاق عليهم المجال في العيش لكثرة عددهم فأرادوا الخروج منها ومزاحمة الرومان والبربر فيما هم عليه من الحصب والرفاهية .

وكان ملكهم يسمى جنسريق (2) ومعه من رعيته نحو المائة ألف بين رجال ونساء . وله من العسكر خمسة عشر ألفا قدموا جميعا الى افريقية عن طريق المغرب الاقصى (3) سنة 427 متوجهين الى مدينة قرطاجنة فأحرقوا في طريقهم المدن والقرى وقتلوا السكان وعضدوا لشجر (4) . ولما وصلوا الى قرطاجنة قاتلوا من وجدوه فيها من الرومان . وهدموا الصوامع والكنائس وأجلوا أصحابها من الرهبان الى جهة الجنوب حيث نزلوا بالزاب وورقلة والجريد .

1 - الفندال جنس سلافى كان بشمال ألمانيا ثم انتشر في سواها من البلاد بغية العيش .
2 - كان ملك الفندال ال جنسريق رجلا اعرج قصير القامة الا انه كان صاحب طموح وارادة قوية .

3 - كان الفندال قبل دخولهم الى افريقية قد بلغوا في غزوهم ارض اسبانيا وتمركزوا بشمالها واشتهرت هذه الناحية باسمهم فاندولسيا التي سماها العرب فيما بعد : الاندلس . وكان الجيش الروماني بافريقيا اذاك تحت قيادة الكونت بونيفاس الذى ساءت علاقته مع السلطة المركزية بروما فعرض بونيفاس على الملك جنسريق ان يقتسما فيما بينهما ارض افريقيا الرومانية على ان يأخذ جنسريق القسم الغربى وبونيفاس القسم الشرقى . وعلى هذا الاساس قدم الفندال ونزلوا بالمغرب الاقصى . الا ان جنسريق تراجع فيما بعد ورفض التقسيم وبالتالي واصل غزوه نحو الشرق الى ان استحوذ على قرطاجنة وبذلك اكتمل نفوذ الفندال على سائر شمال افريقيا .

4 - ورد في كتاب تاريخ الجزائر المصور عند ذكر افعال الفندال بافريقيا ما يلى :
.. وخاضوا حربا ضارية ، فأحرقوا المدن وذبحوا الوف السكان لا فرق عندهم في ذلك بين طفل وشيخ ذكر وانثى وبلغوا في توحشهم درجة حزن اعناق اسراهم حول اسوار المدن ليفسدوا هواءها وقطعوا الاشجار بكل انواعها واستولوا على هيبتون (عناة) بعد حصار دام طويلا وقد غدت قاعا صفصفا كما ذكر بروكوب ..

5 - ابعد الفندال رجال الدين المسيحي الى المناطق الجنوبية لان هذه المناطق لم يكن بها الفندال ولم يستوطنوها اذ ان اقصى نقطة بلغها الفندال جنوبا لا تتجاوز خط مارا بين باتنة وتوزر .

6 - سحبان : جنوب غربى الوادى بنحو 20 كلم .

7 - لم يبق اليوم ذكر لاسم جهلمة وقيل انها كانت مكان قمار الآن او قرية .

تنبيه :

كان كثير من الافارقة (5) مختلطين بالروم تحت رعايتهم وبعض صار منهم بالمصاهرة والتوالد اذ كل جنس يتزوج من الآخر ويتدين بدينه وانتشروا في جميع افريقية والسودان بحيث لا تجد محلا مما ذكر ليسوا فيه . والله أعلم .

الروم (1)

بسط الروم سلطانهم على غالب الجهات الشرقية (2) من افريقية . وكان في نيتهم الاستحواذ على النواحي الغربية منها لكن البربر منعوهم من ذلك لعدم رضاهم بحكمهم (3) لان اخلاق الروم كانت مثل اخلاق سابقهم فدبت النفرة والجفوة بين الجانبين وساء بسبب ذلك حال الروم .

ثم ان المسمى جرجير (4) أحد البطارقة خرج عن طاعة الملك هرقل واستقل بالملك فزاد ذلك في هوانهم وضعف سلطانهم .

وتربص البربر بهم الدوائر كما تربصوا بمن تقدمهم الى أن بعث الله للانام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم هدى وبشرى للعباد . وقدم العرب المسلمون الى افريقية لرفع راية الاسلام ونشر العدل والسلام .

ومن الروم ذهب جماعة من الرهبان الى جهة الجنوب ومنها أرض سوف فنزلوا عند من سبقوهم من الرومان بجهلمة وسجبان وبنوا امكنة سواها للعزلة والعبادة والاستيطان .

1 - قيل أن الروم جنس مزيج بين رومان ويونان . وكانوا يقطنون الامبراطورية الشرقية . ويقال للروم بيزنطيين نسبة الى مدينة بيزنطة عاصمة مملكتهم .

2 - استولى الروم على الجهات الشرقية من افريقية بينما زعماء البربر بالجهات الاخرى رفضوا احتلال الروم فكانت لهم سوى حمايتهم .

3 - لم تتحسن حالة البربر في عهد الروم عما كانت عليه من قبل بل ازدادت سوءا بسبب الضرائب الفادحة المسلطة على الاهالي وسوء معاملتهم من طرف الموظفين ورجال السلطة البيزنطيين .

4 - جرجير البطريق البيزنطي كانت عاصمة مملكته سبيطلة وهو الذي قتله عبد الله بن الزبير في اول غزوة للمسلمين لافريقية كما سيأتي ذكر ذلك .

5 - يقصد بقوله الافارقة البربر وغيرهم من سكان افريقيا اذ بلغ رجال الدين المسيحي وغيرهم من الروم كثيرا من مناطق افريقيا الوسطى منذ ذلك العهد .

والتعمم القتال فتغلب جيش العرب على جيش جرجير . وقتل هذا ، قتله
عبد الله بن الزبير وأخذ ابنته (3) ودخل المسلمون المدينة وكان ذاك هو عام
فتح افريقية .

وفى عام 46 من الهجرة الموافق لسنة 667 مسيحية ولى عقبه بن نافع أمر افريقية واختط القيروان عام 49 هـ / سنة 670 م ثم عزله يزيد أبو المهاجر سنة 55 هـ / سنة 676 م وقبض عليه ، ثم كتب اليه الامير وأعلمه واليا على افريقية ولم يزل فى الفتح بمن معه الى أن قتله هو وبعض أصحابه كسيلة ملك البرانس من البربر ، وذلك فى تهودة (4) من أرض الزاب .

قال الامام ابن خلدون : « أجِدْتُ الصحابة رضى الله عنهم أولئك الشهداء (يعنى عقبه وأصحابه) بمكانهم من أرض الزاب لهذا العهد وقد جعل على قبورهم اسمنة ثم حصصت واتخذ على المكان مسجد عرف باسم عقبه وهو فى عدد المزارات ومطان البركات بل هو أشرف مزار من الاجداث فى بقاع الارض لما توفى فيه من عدد الصحابة والتابعين الذين لا يبلغ أحد مداحهم ولا نصيفه » •

أقول : قصد الامام ابن خلدون من قوله « اشرف مزار » من امثاله الذين
بافريقية .

وجاء في كتاب المؤنس في تاريخ افريقية وتونس وكذا في كتاب الخلاصة النقية في امراء افريقية : « ان غدامس ايضا فتحت في ايام عقبة ولكن في ولايته الاولى عام 46 هـ . بئس له ميولى ٤٦٠ سنة ١٠٦٠ ثم ذكر الافرنجيين »

فقتل وسبى وبلغ فى غزوته عامة بلاد البربر . وفتح فزان ، وودان ، وقفصة ، وقسطيلة وما حولها فتحا ثانيا لانها فتحت قبله وارتدوا فأعادهم بغزوته هذه حتى أذعنوا له ، وكذلك نفطة وتقيوس والحامة .

3 - جاء في بيان المغرب ذكر الشياخ من اهل افريقية ان ابنة جريج لما قتل ابوها سمعت الناس يتساءلون عن قاتله فقالت لهم لقد رايت الذى ادرك ابى وقتله . فقال لها الامير عبد الجله بن ابنى سرح : هل تعرفينه اذا رايتة ؟ قالت نعم . فمر الناس بين يديها الواحد بعد الآخر حتى مر عبد الله بن الزبير . فقالت : هذا هو قاتل ابى . فسأله عبد الله بن ابنى سرح : لا كتمتنا قتلك اياه ؟ قال ابن الزبير : قد علمه ائذنى من اجله قتلته . فقال : لك ابنته . فنقله ابن ابنى سرح ابنة الملك .

4 - تهودة مدينة قديمة بارض الزاب على مقربة من مدينة بسكرة ، لها أسواق كثيرة وبها جامع جليل يعرف بجامع سيدي عقبة وكان يسكنها قوم من البربر . وصارت الآن تسمى سيدي عقبة لوت الصحابي المذكور بها سنة 683 م .

الفتح العربي لأفريقية

في حدود عام 24 من الهجرة الموافق لسنة 646 مسيحية ، كانت الخلافة لسيدنا عثمان بن عفّٰن (I) فأرسل أخاه من الرضاعة عبد الله بن أبي سرح (2) الى افريقية ووجه معه جيشه حتى نازل قابس في طريقه ورحل عنها وبث سراياه في افريقية .

وعن كتاب المؤنس فى تـاريخ فـريقية وتونس : « ان هذا الجند كان عدده عشرين ألفا وما زال يسير الى ان وصل سبيطلة • وكان الملك فى ذلك الوقت جرجير • وذكر ايضا انه كان اعظم ملك بافريقية وانه قبل ذلك كان عاملا لهرقل ثم خلع طاعته واستقل بالملك وضرب الديثار باسم نفسه •

وكان سلطانه من برقة الى طنجة ودار ملكه سبيطله وكانت بينه وبين عبد الله بن ابي سرح مراسلات فابى جرجير طلبات عبد الله وتاهب للحرب وجعل ابنته على ديدبان عال واقسم بدينه ليزوجن ابنته بمن يقتل أمير العرب . وبلغ الخبر الى عبد الله فأقسم بالذى جاء به محمد ما من أحد يقتل جرجير الا ونفله ابنته أى ابنة جرجير .

I - في عهد خلافة عمر بن الخطاب توقفت الفتوحات الإسلامية عند أرض مصر والجزء الشرقي من ليبيا . وقد سبق القول بأنه لما تولى الخلافة عثمان بن عفان سمع للمسلمين بالتوجه نحو المغرب فأرسل ابتداء من سنة 646 م . حملة لفتح إفريقية بقيادة أخيه من الرضاة عبد الله بن سعد بن أبي سرح .

2 - هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري . كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ارتد عن الاسلام والتحق بالمشركين في مكة وكان معاوية بن أبي سفيان قد اسلم فاقبضه الرسول كاتباً للوحي بدلا من عبد الله بن أبي سرح . ولما فتح المسلمون مكة استجار عبد الله بدار عثمان بن عفان فاخذ له عثمان الايمان من الرسول عليه الصلاة والسلام فحسن اسلامه بعد ذلك . وفي خلافة عثمان ولاء علي مصر وحندها .

وهذا يفيد أن عقبة أو قومه وصلوا الى سوف وفتحوا قراها (5) .

ثم ان حسان بن النعمان الغساني عامل عبد الملك مروان حين دخل افريقية سأل هل بقي أحد اذا قتل خافت البربر والنصارى ؟ ف قيل له امرأة يقال لها الكاهنة وهى بجبل أوراس تخافها النصارى والبربر . فتوجه الى لقائها . وعلمت الكاهنة بأمره فقدمت اليه فى عسكر عظيم من البربر والروم .

فالتقى الجمعان واقتتلوا قتالا شديدا فر اثره حسان مغلوبا وقتل من قومه خلق كثير وأسرت الكاهنة منهم ثمانين رجلا . ثم تبعت حسانا حتى خرج من قايس ونزل فى برقة بمكان يعرف الى اليوم يقال له قصور حسان وذلك عام 78 هـ .

وكتب حسان الى عبد الملك يخبره بما لقي من الكاهنة فوافاه الجواب يأمره بالمقام حيث أدركه كتاب أمير المؤمنين - فأقام هناك خمسة أعوام .

وملكت الكاهنة افريقية خمس سنوات على الصحيح منذ أن انصرف حسان عنها .

ولما سبرت أحوال العرب قالت لقومها : يا قوم ان العرب يطلبون من افريقية المدائن والذهب والفضة ونحن انما نطلب منها المزارع والمراعى فالراى عندى تخريب مدنها وحصونها وأشجارها حتى نقطع اطماع العرب فأرسلت قومها الى كل ناحية فخربوا ديارها ، وعضدوا (6) أشجارها ومحووا جمالها ، وجالوا بالفساد (7) خلالها ، وكانت كلها قرى متصلة .

وفى كتاب سرح العيون وايضا فى كتاب اتحاف اهل الزمان : حكى بعض المؤرخين عن عبد الرحمن بن زياد بن انعم انه قال : كانت افريقية من طنجة

5 - قيل ان عقبة قد عين حسانا بن النعمان على راس جيش وامره بالتوغل فى المنطقة ما بين بسكرة وورقلة وفى ضمنها منطقة سوف وكان ضمن سرايا المسلمين التى بقيت تلقن تعاليم الاسلام بالمنطقة البعض من بنى عدوان كانوا الهواة الاولى لوجود قبيلة عدوان بارض سوف .

6 - عضد الشجرة عضدا معناه قطعها بالمعصد . والمعصد جمعه معاضد : آلة مثل المنجل لقطع الاشجار والحصيد جمعه عضدان هو ما قطع من الشجر .

7 - ان سياسة التخريب التى سلكتها الكاهنة قد تسببت فى ايجاد موجة من الاستنكار سواء من طرف البربر او من طرف الروم الذين كانوا معها ولعل هذا الاستنكار احدث جوا مساعدا للعرب على التقدم اكثر . وقد بلغت سياسة التخريب هذه منطقة الصحراء وسوف ايضا فعمد بربر المنطقة بدورهم الى عضد الشجر وهدم المباني .

الى طرابلس ظلا واحدا وقرى متصلة عامرة فخربت جميع ذلك الكاهنة . . . الخ .

أقول : ومن ذلك الوقت بقيت سوف كغيرها خرابا لا بناء فيها الا ما تهدم .

ثم رجع حسان الى الكاهنة . ومن انضم اليه وفى ذلك الحين قد اطلقت الاسارى الا واحدا اسمه خالد فأخت (8) بينه وبين ولديها وقالت لهم انى لا شك مقتولة وذلك لانها رأت فى المنام كأنها تنظر الى رأسها يركض به الى ناحية المشرق . ثم أمرت ابنها وخالدا بأن يمضوا الى حسان ويستأمنوه فتوجهوا الى حسان وأعلموه بالخبر .

ثم تقدم حسان حتى التقى بها واقتتلا قتالا عظيما حتى انهزمت الكاهنة وتبعها حسان وقتلها بمكان يعرف ببئر الكاهنة الآن (9) وبعث برأسها الى عبد الملك .

وعقد حسان لولدى الكاهنة على اثنى عشر الفا من البربر الذين أسلموا وبعثهم الى المغرب يجاهدن فى سبيل الله وذلك عام 84 هـ / سنة 703 م .

وبقى البربر مع بعض الروم المختلطين بهم جولة فى الآفاق لا يرتعون فى محل معين ولا ينسبون الى بلدة خاصة .

ثم تجدد عمران قسطنطية والزاب وغيرهما وبقيت أغلب أماكن سوف على حالتها السالفة من الخراب والاضمحلال . والله أعلم .

8 - اعجبت الكاهنة بشجاعة خالد بن يزيد وطيب اخلاقه فعملت الى عملية المؤاخاة بينه وبين ولديها الاثنى وذلك بان حلت كمية من دقيق الشعير فى الزيت ووضعت على نديها ثم دعت خالدا ولديها لاكله معا من على الشدين وبذلك اصبحوا الثلاثة اخوة من الرضاع حسب تقاليد البربر فى ذلك العهد .

9 - يسمى المكان بئر الكاهنة وشهر الآن ببئر العاطر او العاتر . ويقال له ايضا بئر حسان .

مرور العرب بسوف (1)

فى حدود عام 88 هـ/سنة 708 م ، سمع البربر ومن معهم بتولية موسى ابن نصير (2) وكان ولاء عبد الملك بن مروان عاملا على افريقية ففروا الى المغرب فتبعهم حتى بلغ السوس الادنى فاستأمنه البربر فأمنهم وولى عليهم واليا واستعمل على بلاد طنجة طارق بن زياد وبه سمى جبل طارق . وترك معه سبعة عشر الف فارس من العرب والبربر ثم رجع الى افريقية .

قال صاحب فتوح افريقية : « ثم استثقلت بعض الاعراب بالمغرب الحكم فرجعوا الى افريقية بعد ان كانوا عازمين على التعمق فى الصحارى حتى لا يراهم احد . فدخلوا قسطنطية بعد ما اطالوا الإقامة دونها (فى ارض سوف) يترددون بين الاقدام والاحجام . »

وحسب قول القدماء وعلى ما اظن ان هؤلاء العرب هم الذين بلغنا عنهم انهم نزلوا بنواحي سندرؤس قبلة عميش ووقعت لهم مناوشات خفيفة مع البربر الذين كانوا بادية رحالة لا يستقر لهم قرار بمحل معين . والله اعلم .

I - المقصود بقوله العرب هنا هم الذين قدموا افريقية مع الجنود الفاتحين او المهاجرين الفرديين .

2 - ولى موسى بن نصير عاملا على افريقية خلفا لحسان بن النعمان فبعد ان كان هذا الاخير عاملا على افريقية اثر انتصاره وقتله للكاظمة عمه السى عزله عبد العزيز ابن مروان والى مصر واخوه الخليفة عبد الملك بن مروان . وذلك ان عبد العزيز المذكور كان يرغب كثيرا فى تولية موسى بن نصير على افريقية بدلا من حسان وقد سم له ما اراد رغم مشيئة اخيه الخليفة عبد الملك وذلك سنة 86 هـ / سنة 706 م . وحينما قدم موسى بن نصير الى افريقية وجه اهتمامه الى اخضاع البربر فحارب قبائلهم وفتح بلدانهم من القيروان الى المغرب .

وفى السنة المذكورة توفى الخليفة عبد الملك بن مروان . وفى سنة 92 هـ/سنة 711 م اتجه طارق بن زياد بجيش من العرب والبربر الى فتح الاندلس فافتتحها . وفى سنة 98 هـ/سنة 716 م ، كانت وفاة موسى بن نصير وخلفه على افريقية محمد ابن يزيد .

انتقال العرب من الحجاز الى مصر

كانت العرب (I) فى مساقط رؤوسها بالمشرق اى بجزيرة العرب فضاء عليهم المجال لكثرة التناسل . فاراد بعضهم الخروج منها والعيش مع القبط والبربر وغيرهم بارض مصر .

فاول من انتقل من هناك بعض طرود وبقى معظمهم بالحجاز والشام واليمن . وكان ذلك الانتقال حوالى عام 90 هـ / سنة 709 م . ولا زالوا سائرين حتى وصلوا مصر فنزلوها واعجبته ارضها فاستوطنوها وتغلبوا على من كان بها من القبط والبربر فصارت الرئاسة لهم . ولم يلحقهم غيرهم من بقية العرب حتى افضت الرئاسة الى الوليد بن رفاعة الفهمى الطرودى فبعث الى كثير من بنى عمه عدوان فاتوا واستوطنوا معهم هناك .

ورد فى تاريخ ابن خلكان والمقرئزى فى تاريخ المخطوط : قال الكندى : وفى ولاية الوليد بن رفاعة الفهمى بفتح الفاء وسكون الهماء اى الطرودى على

I - يقصد بقوله العرب هنا القبائل التى هاجرت الى مصر بعد فتحها من طرف المسلمين . وهذه القبائل هى طرود وعدوان وبنو هلال وسليم الذين قدموا فيما بعد من مصر الى افريقية ثم الى ارض سوف ونواحيها . اما العرب الفاتحون فقد كانوا بمصر منذ خلافة عمر بن الخطاب الذى اذن لعمر بن العاص بفتح مصر ففتحها سنة 19 هـ/سنة 641 م . كان اصل تلك القبائل من معد بن عدنان . ومقرهم بين الحجاز ونجد . وكانوا بعد الفتح الاسلامى لارض مصر يتوافدون عليها قصد استيطانها ولما ظهرت حركة القرامطة المنتهين للشيعة الاسماعيلية بالجزيرة العربية انضمت قبائل منها الى هذه الحركة وناصروها . وفى عهد الخليفة الفاطمى العزيز بالله ، وجه الخليفة المذكور حملة ضد هذه القبائل العربية واجبرها على مغادرة وطنها الاصلى والهجرة الى مصر . فانزلوا بارض الصعيد الى ان استعملهم الخليفة المستنصر سنة 1050 م اداة انتقام من امراء صنهاجة بافريقية كما سيأتى . نستخلص مما ذكر ان هذه القبائل العربية بدأت تتوافد على ارض مصر غداة الفتح الاسلامى لها فوجا اثر فوج ، ومعظمها لم يستقر بل يرتحل عن مصر تارة ويعود اليها تارة اخرى ، حتى كانت سنة 980 م فاضطروا للهجرة الى مصر بصفة جماعية والبقاء بها .

مصر فى عام 109 هـ . ولم يكن بها احد من العرب قبل ذلك الا ما كان من فهم وعدوان فوفد ابن الجحباب على هشام بن عبد الملك فسأله ان ينقل الى مصر منهم اى من العرب ابياتا فاذن له هشام فى لحاق ثلاثة الاف منهم وتحويل ديوانهم الى مصر وان لا ينزلهم بالفسطاط . فاستقدمهم ابن الجحباب وانزلهم الحرف الشرقى .

ويقال ان عبيد الله بن الجحباب قال لمولاه هشام : ما ارى لقيس فيها حظ (اى فى مصر) الا لاناس من جديلة (وهم فهم وعدوان) فكتب الى هشام : « ان امير المؤمنين اطال الله بقاءه قد شرف هذا الحى من قيس ونعشهم ورفع ذكرهم وانى قد قدمت مصر ولم ار لهم حظا الا ابياتا من فهم وفيها كور ليس فيها احد وليس يضر باهلها نزولهم معهم ولا يكسر ذلك خراجا فان راى امير المؤمنين ان ينزلها هذا الحى (اى بلييس) من قيس فليفعل » . فكتب اليه هشام : « انت وذاك » .

فبعث الى البادية افقدم عليه مائة اهل بيت من بنى مضر بن كنانة بن خزيمه بن مدركة بن اليااس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ومائة اهل بيت من بنى سليم فانزلهم بلييس وامرهم بالزرع واعطاهم نصيبا من اموال الزكاة فاشترؤا ابلًا وصاروا يحملون البضائع والمؤن الى القلزم فكان الرجل منهم يصيب فى الشهر العشرة دنائير واكثره ثم صاروا يشترون المهور فلا يملك المهر اكثر من شهر حتى يكون صالحا للركوب . وليس عليهم مؤونة فى علف ابلهم واخلهم لجودة مرعاهم .

فلما بلغ ذلك بقية قومهم تحاملوا اليهم والتحقوا بهم فوصل اليهم خمسمائة اهل بيت من البادية فكانوا مثل ذلك وبعد سنة اتاهم نحو الخمسمائة اهل بيت ايضا فصار فى بلييس نحو الف وخمسمائة اهل بيت من قيس حتى اذا كان زمن مروان وبها ثلاثة الاف اهل بيت . ثم توالدوا وقدم عليهم من البادية من قدم .

ثم خرجوا من مصر الى نواحيها حوالى عام 129 هـ / سنة 747 م . ثم رجعوا الى مصر ولازموها الى ان قدموا الى المغرب كما سيأتى ان شاء الله . وكان رجوعهم الى مصر حوالى عام 369 هـ / سنة 980 م . والله اعلم .

مرور العلويين بسوف

من العرب الاوائل الذين انتقلوا من المشرق الى المغرب العلويون ومن تشيع لهم . وذلك ان الرشيد وقعت له عداوة عظيمة مع العلويين يطول تفصيلها بسبب ما وقع لهم مع ابيه محمد الهادى حين اراد ان يملك بهم وارسل جماعة خفية ليقتلوا اشرافهم فتفطن العلويون لذلك وقتلوا من اراد خديعتهم فتكاثر عليهم اقوام بنى العباس ووقع القتل فى الفريقين فصارت تلك الواقعة تسمى معركة فح لانه اسم من اضرم النار بين الجميع او اسم الموضع الذى وقعت فيه المعركة .

قال صاحب الخلاصة النقية فى امراء افريقية : « وكان للرشيد عمال بافريقية وكان جميع هؤلاء العمال يبغضون العلويين تبعا لبنى العباس الا

1 - عن كتاب البيان المغرب فى اخبار المغرب ، ذكر العزرى وغيره ان ادريس وسليمان ابني عبد الله بن حسن بن علي بن ابي طالب رضى الله عنهم فروا من الواقعة التى كانت فى ايام جعفر المنصور وهى وقعة فح وكانوا سبعة اخوة : ادريس ، وسليمان ، ومحمد ، وابراهيم ، وعيسى ، ويحيى . اما محمد فخرج الى الحجاز وقتل ، واما ابراهيم فقام بالبصرة من العراق فقتل فى ايام المنصور ، واما يحيى فقام فى الديلم فى خلافة الرشيد وهبط على الامان ثم سم ومات ، واما ادريس ففر الى المغرب ودخل اليه من الطالبيين فى ايامه اخوة سليمان فاحتل بتلمسان ، وداود بن القاسم بن اسحاق بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب ، ثم رجع داود الى المشرق وبقيت ذريته بالمغرب ، واحتل ادريس بن عبد الله بالمغرب سنة 170 هـ واستوطن ولبى وكانت اذلية وكان وصوله مع مولاه راشد ثم نزل على اسحاق بن عبد الحميد سنة 172 هـ فقدمه قبائل البربر واطاعوه وبلغ خبره هارون الرشيد ، فدى اليه من سمه وكان المدسوس اليه رجل يقال له السماخ فسمه وهرب الى المشرق . ومات ادريس فى سنة 175 فقام بامر البربر مولاه راشد وترك ادريس جارية بربرية اسمها كنزة فولدت له غلاما سمي باسم ابيه ، فولى ادريس بن ادريس سنة 187 هـ وهو ابن احدى عشرة سنة ، وقيل اكثر من ذلك .

عامل الاسكندرية فانه كان محبا لهم ويراسلهم بالمكاتيب خفية ويطلعهم على اخبار العباسيين بقدر الطاقة والامكان » .

ثم كثر الهرج والنزاع ، فخرج ادريس الاكبر بمن معه من الشام والحجاز ومصر وقصد بعضهم طبرستان واستوطنها وقصد بعضهم الآخر المغرب وهم الذين معهم ادريس .

قال ابن خلدون : كانت لادريس الاكبر عدوة مع بنى العباس بالشام وبنى الاغلب عمالهم بافريقية وولاتهم وذلك لما فر ادريس من واقعة فسخ ، أوعز الرشيد الى الاغلبة ان يقدوا له بالمرصاد ويذكوا عليه العيون فلم يظفروا به ، وخلص الى المغرب الاقصى فتم امره وظهرت دعوته .

واطلع الرشيد بعد ذلك على ما كان من واضح مولاهم وعاملهم على الاسكندرية من دسيسة التشجيع للعلويين ومساعدته على نجاة ادريس الى المغرب ودس (بعث خفية) الشماخ من موالى الهادي ابيه للتحويل على قتل ادريس فاطهر الشماخ اللحاق به والبراءة من بنى العباس مواليه فقربه ادريس وصيره من جملة خواصه المقربين حتى ناوله الشماخ فى بعض خلواته سما استهلكه به فمات رحمة الله عليه وترك زوجته حاملا فولدت ادريس الاصغر ومنه ذريته الذين بفاس الان ، ووقع خبر مهلكته من بنى العباس احسن المواقع وذلك لما رجوه من قطع اسباب الدعوة العلوية بالمغرب . ثم ان الدعوة قد ظهرت ودولة البربر فى المغرب بادريس بن ادريس قد تجددت وكان الفشل قد نزل بدولة المغرب الى القاصية فلم يكن منتهى قدرة الرشيد على ادريس الاكبر بمكانه من قاصية المغرب واشتمال البربر عليه «لا التحيل فى اهلاكه بالسم فعند ذلك فزعوا الى اواليائهم من الاغلبة بافريقية لسد تلك الفرجة من ناحيتهم يخاطبهم بذلك المامون ومن بعده من خلفائهم فكان الاغلبة على برابرة المغرب الاقصى اعجز ، فخشى هؤلاء الامراء الاغلبة بوادر السعيات وتلوا بالعاذير ، فطورا باحتقار المغرب واهله وطورا بالارهاب بشأن ادريس الخارج به ومن قام مقامه من اعقابيه ، يخاطبونهم بجهة حدود التجوم من عمله ان يتجاوزها وينفذون سكتة فى تحفهم وهداياهم ومرتفع جباياتهم تعريضا باستفحالته وتهويلا باشتداد شوكته وتعظيما لما دفعوا اليه من مطالبه ومراضه وتهديدا بقلب الدعوة ان الجؤوا اليه ، الخ ...

قال القدماء : فى حال مرور العلويين من المشرق الى المغرب اتوا على طرابلس كما فى تاريخها وذلك فى عام 190 هـ / 807 م .

اقول وهذا خطأ (2) من قائله الا ان يكون ذلك تاريخ جماعة آخرين لحقوا بالاولين ويرجع هذا ما نقل ان المتشيعين للعلويين تلاحقوا فى مرات عديدة لكن لم يظهر مروزهم على ابي محل والمظنون ان بعضهم مر بتراب سوف القبلى لما حكى انهم مروا بورقلة فان صبح ذلك نتيقن بمروزهم هنا ، واما الجماعة الذين خرجوا مع ادريس فكانوا قبل ذلك التاريخ بكثير ويذكر بعض اوائلنا ان العلويين حين مروا بهذه الارض نزلوا بنواحي سندروس لحسن ارضها وكثرة اشجارها ثم بعد زمن لحق بهم جماعة اخرون واتحلوا جميعا ، وكانت الارض يتردد عليها بعض البربر ومن معهم من الاحلاف والموالى فالتقوا بالعلويين المتخلفين فنازعوهم .

اقول : وفى ذلك الزمن نصب ماء وادى الجبل (3) لتفלתه فى مواضع عديدة حتى لازم الجريان مشرقا بانحراف الى القبلة ، والى الان اصله موجود يسمى وادى تاقراوت لانه يمر بعريش تاقراوت ثم يلتفت شرقا قبله اذا كثرت المياه واذا قلت قد يتشتت هناك كما ان وادى النازية اختلط اسفله بوادى الجبل فصار يجرى فى مجراه وترك محل جريانه الاول . والله اعلم .

2 - كان يعترض المؤلف فى محله ابي الا ان يكون ذلك التاريخ تاريخ جماعة آخرين كما قال لان وصول ادريس ومن معه الى المغرب كان سنة 170 هـ / سنة 787 م .

3 - كان المؤلف يتحدث عن العلويين طبقا للموضوع فانقل اخيرا الى الكلام عن وادى الجبل ووادى النازية فقد يلزم القارئ هذه الخاصية عند المؤلف فى كتابته اذ يجده يستطرده قليلا او كثيرا كلما واتته المناسبة لاقحام ما يروق له اقحامه من مسائل علمية او اجتماعية او ادبية او غيرها قد تحول القارئ نوعا ما عن صميم الموضوع .

وقال صاحب المؤنس فى تاريخ افريقية وتونس : « انتشر صيت صالح المذكور وعمت شعورته غلب افريقية واكثر متبعيه من القيروان الى بنى غواطة الاغواط وكانت تلك الدعوة عام 122 هـ / سنة 740 م » .

اقول ان فى الكلام الاول وهو لابى العباس خطا من وجهين : الاول ان السنة التى ذكرها كان مات فيها ابراهيم المزبور .

الثانى ان ابراهيم بن الاغلب قبل موته لم يكن عاملا على الزاب فقط بل صار على افريقية تماما ومسكنه فى قصره الذى بناه على ثلاثة اميال من القيروان وسماه العباسية . وان تلك الوقائع كانت فى السنة التى قبل ذلك كما هو فى الخلاصة النقية فى امراء افريقية وغيره .

ثم قام بعد ابراهيم ابنه عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب بن سالم بن عقلا ابن خفاجة بن سودة التميمى عام 196 هـ / سنة 812 م . وفعل كاييه أو شد ففر البرابرة منه واكثرهم سكن الرمال القبلية وبعضهم جنح الى المهادنة والمداينة والمصانة ظاهرا مع اخفاء دينهم اى دين صالح . والله اعلم بذلك ثم صفا الدين وتمكن منهم الاسلام .

قال ابن خلدون : « وفى ايام داود بن يزيد بن حاتم المهلبى وروح بن حاتم انخضت شوكة البربر والاباضية واستكانوا للغلب واطاعوا للدين فضرب الاسلام بحراجه والقت الدولة المضرية على البربر ومن معهم بكلكلها الى أن انقرضت عام 296 هـ ست وتسعين ومائتين على يد الصنعاني الداعي للشيعة وذلك سنة 909 م » .

اقول : ومن ذلك الوقت سلا واستفحل مذهب الشيعة وعم سائر افريقية الى ان كانت دولة المعز بن باديس المتولى عام 406 هـ / سنة 1016 م .

قال صاحب الخلاصة النقية : « فمحا (اى المعز بن باديس) شعائر الشيعة وعطل مذهبهم الذى بثه داعيهم عام 196 هـ جرى واطهر مذهب أهل السنة والاقتصار على مذهب الامام مالك » .

قيل : ان ذلك كان فى المدن الخاضعة اتم خضوع للسلطان والحكم اها الجانحون عن ذلك البعيدون عن الاحكام فلم يتمكن منهم غاية التمكن . والله اعلم .

تذييل (1)

قال ابو العباس : « فى عام 196 هـ / سنة 812 م ، كان ابراهيم بن الاغلب عاملا على الزاب لبنى العباس ووقعت له وقائع مع البربر ومن بعضهم الذين بتراب سوف وقسطيلة وقفصة وغيرها ، وفر اكثر اصحاب تلك النواحي الى الصحراء القبلية اختفاء عنه . وكان اكثرهم متدينا بدين الروم الذين خالطوهم . وبعضهم متدين بدين صالح بن طريف المدعى النبوة زمن هشام بن عبد الملك والذى شرع لهم ديناً خبيثاً وسنناً سخيفة » .

1 - قدم المؤلف هذا التذييل بمناسبة موضوع العلويين وفرار ادريس الاول ومن معه الى المغرب الاقصى لان هذا الحادث كان فى عهد الخلافة امير المؤمنين هارون الرشيد العباسى وقد برزت فى نفس العهد مرة اخرى الحركة الدينية التى تتنافى والاسلام وقام بمحاربها ابراهيم بن الاغلب عامل هارون الرشيد بافريقية . وحركة الارتداد عن الاسلام هذه كان قد تزعمها فى عهد هشام بن عبد الملك ما بين 740 م و 742 م شخص يدعى طريف ، قيل : انه يهودى الاصل من سلالة شمعون بن اسحاق . فقد قام طريف المذكور يدعو الى نفسه فى بعض بلاد البربر فبايعوه .

وشرع لهم ديناً جديداً فآمنوا به . وبعد موته خلفه فى ذلك ابنه صالح بن طريف ، ثم الياس بن صالح حتى كانت سنة 790 م ، زمن الدولة العباسية وخلفه الرشيد حيث جرت وقائع بين عامله بافريقية ابراهيم بن الاغلب والمتمسكين بدين صالح بن طريف المذكور . اما ابراهيم بن الاغلب فقد كان فى بادئ الامر عاملاً للدولة العباسية بالزاب وقسطيلة (الجريد) وما والاها بينما كان الوالى على سائر افريقية هو المسمى ابن المكي . ثم عزل هذا الاخير وعين الرشيد مكانه ابراهيم بن الاغلب حوالى سنة 800 م . ومنها اتفق ابراهيم المذكور مع الخليفة العباسى على تأسيس الدولة الاغلبية بافريقية تحت وصاية الخلافة العباسية لحمايتها من العلويين (الدارسة) فدخل ابراهيم بن الاغلب مدينة القيروان سنة 184 هـ / سنة 800 م . وبنى قصره الذى هو على ثلاثة اميال من القيروان سنة 185 هـ سنة 801 م . والذى صار فيما بعد دار الامراء بنى الاغلب . وهكذا بتأسيس الدولة الاغلبية بافريقية اصبح ببلاد المغرب ثلاث دول متجاورة (دولة الاغلبية بتونس والرسنمية بالجزائر والادريسية بالمغرب الاقصى) . الى ان قامت الدعوة الفاطمية التى تزعمها ابو محمد عبيد الله بن محمد ويوع بالامامة سنة 297 هـ / سنة 910 م . وبذلك تأسست الدولة الفاطمية .

ولما خلع طاعة بنى عبيد وجاءته الخلعة من بغداد اشار الوزير على المستنصر العبيدي بارسال العرب (بنى هلال وسليم) .

قال ابن خلدون : « كانت بطون هلال وسليم من مضر لم يزلوا بهادين ناجعة ففى دولة العباسيين كان بعضهم محلاتهم من بعد الحجاز بنجد فبنو سليم مما يلي المدينة وبنو هلال فى جبل غزوان عند الطائف وربما كانوا يطوفون رحلة الصيف والشتاء اطراف العراق والشام ... الخ » .

ثم تجيز (3) بنو سليم والكثير من ربيعة بن عامر الى القرامطة عند ظهورهم وصاروا جندا بالبحرين وعمان . ولما تغلبت شيعة ابن عبيد الله المهدي على مصر والشام وكان القرامطة قد تغلبوا على مصر والشام فانتزعها العزيز منهم وغلبهم عليها وردهم على أعقابهم الى قرارهم بالبحرين . ونقل أشياعهم من العرب من بنى هلال وسليم فانزلهم بالصعيد وفى العدو الشرقية من بحر النيل فاقاموا هناك وكان لهم اضرار بالبلاد . وكان احياء هلال من هؤلاء من جشم والاثير ورغبة ورياح وربيعة وعدى فى محلاتهم بالصعيد كما ذكرنا وقد عم ضررهم فاشار الوزير ابو محمد الحسن بن على اليازورى باصطناعهم والتقدم لمشائخهم وتولييتهم اعمال افريقية وتقليد هم امرها ليكونوا عند نصره الشيعة فى الدفاع عن الدولة والوطن .

فبعث المنتصر وزيره الى هؤلاء الاحياء عام 442 هـ / سنة 1048 م . وارضخ لامرائهم فى العطاء ووصل علمتهم بعيرا ودينارا لكل واحد منهم واباحهم اجازة النيل وقال لهم : « قد اعطيتكم المغرب والمعز بن بلكين الصنهاجي . فلا تفتقروا » .

وكتب اليازورى الى المغرب : « اما بعد فقد انفذنا اليكم خيولا فحولا وارسلنا عليها رجالا كهولا ليقضى الله امرنا كان مفعولا » .

فطمعت العرب اذاك واجازوا النيل الى برقة ونزلوا بها وافتتحوا امصارها وكتبوا لاخونهم الذين شرقي النيل يرغبونهم فى البلاد (4) .

- 3 - اتمتخزون من هلال وسليم الى الحركة المذكورة هم الذين لم يزلوا اذاك منهم بالجزيرة العربية ولم يهاجروا بعد الى ارض مصر مثل غيرهم من اخوانهم لكن اضطروا اخيرا بامر من العزيز بالله الفاطمي لمغادرة الجزيرة العربية والالتحاق بمن سبقوهم الى الصعيد المصرى . حتى كانت سنة 1050 م ، تاريخ حملتهم على افريقية .
- 4 - ذكر بعض المؤرخين ان كثيرا من بنى هلال وسليم لم يغادروا مصر عند هذه الحملة على افريقية بل منهم من آثر البقاء بالصعيد ومنهم من انتقل الى سوا من المناطق المصرية ومنهم غادروا مؤخرا للالتحاق بالسابقين الى ليبيا وافريقية . كما ان بنى سليم تآخروا بطرابلس اى لم يدخلوا افريقية صحبة الحملة الهلالية بل تآخروا حينما من الزمن .

دخول بنى هلال وسليم الى افريقية

قال صاحب المؤنس فى تاريخ افريقية وتونس : « فى ايام المعز بن باديس خرج غالب البلاد عن طاعته وكثر عليه المخالفون وخالفت سدوسة وقفصة وصفاقس وباجة وخرج جل البلاد الغربية وفى ايامه كان ظهور لمتونة ببلاد المغرب واستولوا على جميعها . وفى ايامه جاءت العرب من المشرق وسكنوا بافريقية » .

وسبب دخول العرب (I) الى افريقية ان المعز بن باديس لما قطع (2) خطبة صاحب مصر وهو المستنصر بالله كان يسب بنى عبيد سرا الى ان صرح بذلك على المنابر . وكان يكاتب وزير المستنصر ويستميله ويعرض له بالتحريف عليهم وانما يكتب له تلويحا لا تصريحاً . وكتب اليه قطعة بخط يده وتمثل فيها ببيت من الشعر وهو :

وفيك صاحبت قوما لا خلاق لهم لولاك ما كنت ادري انهم خلقوا

فقال لبعض أصحابه : « ألا تعجبون من صبي بربرى يحب أن يخدع شيخا عربيا وانما أراد المعز أن يوقع بين الوزير وخليفته الشر » .

1 - مقصوده من العرب هنا بنو هلال وسليم .

2 - ورد فى كتاب البيان المغرب ما يلى (لما رحل بنو عبيد الى مصر لم تزل ملوك صنهاجة يخطبون لهم بافريقية ويذكرون اسماءهم على المنابر . وتمادى الامر على ذلك حتى قطع اهل القيروان صلاة الجمعة فرارا من دعوتهم وتبديعا لاقامتها باسمائهم فكان بعضهم اذا بلغ الى المسجد قال سرا : « اللهم اشهد . اللهم اشهد » ثم ينصرف يصلى ظهرا اربعا الى ان تنهى الحال حتى لم يحضر الجمعة من اهل القيروان احدا فتعطلت الجمعة دهرا . واقام ذلك مدة الى ان رأى المعز بن باديس قطع دعوتهم (اى دعوة بنى عبيد) فكان بالقيروان لذلك سرور عظيم) .

فطلبوا من الخليفة اللحاق بمن تقدمهم فمنعهم من ذلك الا اذا أعطوه شيئا من اموالهم فاعطى كل منهم دينارين فاخذ الخليفة منهم اضعاف ما اخذوه .

وتقارعوا البلاد فحصل لسليم الشرق ولهلل الغرب .

وخربوا المدينة الحمراء وجدابية وسمرا وسرت .

وأمامه لهب من سليم واحلافها راحة وناصره وعمرة بارض برقة .

وسارت قبائل ذياب وعوف وزغب وجميع بطون اهلال الى افريقية كالجراد المنتشر حتى وصلوها عام 444هـ / سنة 1050 م .

وكان أول من وصل أمير رياح موسى (5) بن يحيى الصنبري . فاستماله المعز واستخلصه لنفسه واصهر اليه والزمه على استدعاء العرب من قاصية وطنه للاستغلاظ على بنى عمه (6) فاستنفر القرى واتى عليهم فاستدعاهم لكنهم ابوا فعاتوا في البلاد واطهروا الفساد ونادوا بشعار الخليفة المستنصر .

فتمخط المعز بكبره واشاط بغضبه وتقيض على اخي موسى وعسكر بظاهر القيروان وبعث بالتصريح الى ابن عمه صاحب القلعة القائد ابن حامد بن بلكين فكتب اليه كتيبة من الف فارس وسرحهم اليه واستفزع قوم زناتة فوصل اليه المستنصر بن خروار المعزاي في الف فارس من قومه وكانوا بالبدو من افريقية مع النازعة من زناتة . وارتحل المقر في اولئك نفر ومن معهم من الاتباع والحشم والاولياء ومن اياتهم من بقايا عرب الفتح وحشد زناتة والبربر وصمد بهم نحوهم في امم لا تخصي يقال ان عددهم ثلاثون الفا . ولما تزاحف

5 - قيل : يسمى موسى بن يحيى وقيل مؤنس بن يحيى .

6 - ورد في كتاب البيان المغرب ما نصه : ثم قدم منهم مؤنس بن يحيى الرياحي على المغرب . وكان المعز كارها لاخوانه صنهاجة محبا للاستبدال بهم حاقدا عليهم ولم يكن يظهر ذلك لهم فلطف عنده محل مؤنس هذا . وكان سيدا في قومه شجاعا عاقلا فشاوره المعز في اتخاذ بنى عمه رياح جندا . فاشار عليه بان لا يفعل ذلك وعرفه بقلة اجتماع القوم على الكلمة وعدم انقيادهم الى الطاعة فالح عليه في ذلك الى ان قال له لمعز : انما تريد انفرادك حسدا منك لقومك فعزم مؤنس على الخروج اليهم بعدما قدم العذر واشهد بعض رجال السلطان ثم رحل متوجها نحوهم فنادى في القوم وحشدهم ووعدهم وغبطهم ووصف لهم كرامة السلطان والاحسان لهم . ثم قدم فيركب منهم لم يعهدوا نعمة ولا طالعوا حضارة فلما انتهوا الى قرية تنادوا : هذه القيروان ونهبوها من حينها . ثم ذكر مانصه « فلما ورد الخبر على القيروان عظم الامر على المعز بن باديس وقال : انما فعل مؤنس هذا ليصح قوله ويظهر نصحه فامر بثقاف اولاده وعياله وختم على داره حتى يعلم ما يكون امره . فلما بلغ مؤنسا ما فعل باهله وولده اشتدت نكايته وعظم بلاؤه . الخ »

الفريقان انخذل بتيمة عرب الفتح وتميزوا الى الهلالين للعصبية القديمة . وخائنه زناتة صنهاجة .

قال صاحب كتاب المؤنس : « حتى لم يبق معه الا عبيده وكان عدد العبيد عشرين الفا وثبت المعز ثباتا لم يثبتته امير هزم جيشه » .

واخر الحال انهزم ورجع الى المنصورية . واقبل العرب حتى نزلوا بازاء القيروان واقتتلوا بين رقادة والقيروان ومات بين الفريقين خلق عظيم .

قال ابن خلدون : « وفر المعز بنفسه وخاصته الى القيروان وانتهدت العرب جميع محله من المال والمتاع والذخيرة والفساطيط والرايات » (7) .

ويروى ان الذين قتلوا من صنهاجة ثلاثة الاف وثلاثمائة . وفي ذلك يقول ابن رزق الرياحي كلمته ويقال انها لابن شداد الفهمي الطرودي :

لقد زار وهنا أميم خيال وآيدى المطايا بالزميم عجال
وان ابن باديس لافضل حازم لعمري ولكن ما لديه رجال
ثلاثون الفا منهم هزمتهمو ثلاثة آلاف وذاك ضلال

قال صاحب المؤنس : « ولما رأى المعز ما حل به ركن الى الصلح ورفع الحرب بينه وبين العرب وباحهم دخول القيروان ليشثروا منها ما يحتاجون اليه . وظن انهم يرجعون الى بلادهم فلم يغن عنه ذلك وملكوا البلاد باسرها واقتسموا برابرها وافسدوا حواضرها وكان الخطب جليلا فلما رأى المعز كثرة ضررههم وعجزه عن دفع آذاهم رحل الى المهدي وبها حشمه وكان ولده تميم واليا عليها » .

7 - من المؤرخين من نراهم عند تعرضهم لغزو بنى هلال كثيرا ما ينددون بفعل هؤلاء القوم المتمثلة في القتل والتخريب وما الى ذلك دون التعرض مقابل ذلك الى محاسنهم حتى أصبح الانسان لا يتصور في شخص بنى هلال سوى الوحشية في ايشع صورها في حين ان ما سبقهم به الفندال من فعال لا تقل بشاعة ورغم ذلك نرى بعض المؤرخين الاجانب مثل الدكتور مارشان والاستاذ بونفان يحاولان في كتابهما « تاريخ الجزائر وفرنسا » التخفيف مما نسب للفندال . ولم يهمل الاستاذ توفيق المندى هذا الجانب بالنسبة لبنى هلال ففى كتابه القيم : « كتاب الجزائر » حيث يقول ما نصه : وهكذا توافدت جموع هلال بن عامر وسليم بن منصور . فكان قدمهم نعمة في طيها نعمة لان قدمهم اوقع في بادى الامر اضطرابا في البلاد كان يقع مثله واشنع منه مئات العرات ففى كل بلاد الدنيا عندما تقع هذه المهاجرات الشعبية الكبيرة الا انه قد وطد توطيدا ابديا قدم الاسلام والعربية في هذه الاوطان وجعل من بلاد الشمال الافريقى موطننا جديدا للثقافة العربية يزدهر مع ازدهار العام ويركد مع ركودها . اما العرب الذين قدموا قبل ذلك سواء اكانوا من الجند الفاتح المستوطن او من المهاجرين الفرديين فقد كان عددهم ضئيلا جدا لا يكفى لصيغ البلاد صبغة عربية تامة ..

قال ابن خلدون : « وكانت قسمة افريقية بين العرب • فكان لزغبة طرابلس وما يليها ولمرداس بن رياح باجة وما يليها » .

ثم اقتسموا البلاد ثانيا فكان لهلال من تونس الى المغرب وهم : رياح وزغبة والمعلل وجشم وقرّة والاثبج والخلط وسفيان » .

قال صاحب المؤنس : « وخرج المعز في شهر رمضان عام 449 هـ ونهبت العرب القيروان وكان ذلك سبب خرابها وجلاء أهلها عنها » .

وقال ابن خلدون : « ثم حاربوا زناتة بعد صنهاجة وغلبوهم على الضواحي واتصلت الفتنة بينهم واغزاهم صاحب تلمسان فهزموه وقتلوه بعد حروب طويلة » .

وكانت رئاسة الضواحي من زناتة والبربر لبنى يفرق ومغراوة وبني صاند وبني تلويمان أو تلمين .

ولم يزل هذا داب العرب وزناتة حتى غلبوهم على الضواحي أى ضواحي افريقية والزاب وما حوله .

وكان فى هؤلاء العرب عند دخولهم افريقية رجالات المذكورون منهم حسن ابن سرحان وأخوه بدر وفاضل بن زاهض وينسبون هؤلاء الى دريد بن الاثبج .

ومتهم شاذة بن الاحيمر وأخوه صلصيل ونسبوهم الى بنى عطية بن كرفة بن الاثبج .

وزياد بن غانم وينسبونه الى بنى ثور .

وموسى بن يحيى وينسبونه فى مرداس رياح لامرداس سليم وهو من بنى صفيير بطن مرداس رياح .

وزيد بن زيدان وينسبونه الى الضحك .

ومليح بن عباس وينسبونه الى حمير .

وزيد السجاج بن فاضل ويزعمون انه مات بالحجاز قبل دخول العرب الى افريقية .

وفارس بن ابي الغيث وعامر أخوه والفضل بن ابي على ونسبهم أهل الاخبار منهم الى مرداس وكل هؤلاء يذكرون فى أشعارهم .

وكان زياد بن عامر رائدهم أى دليلهم ، وتسميه العامة خيرا اذ الرائد هو الخبير عندهم وذلك وقت دخولهم افريقية وكانوا يسمونه أبا مخير (أو مخير) • قل القدماء انه من طرود وهذا متواتر عندهم •

قال ابن خلدون : « وشعوبهم لذلك العهد كما نقلناهم لك سابقا كلهم من هلال بن عامر • وربما ذكر فيهم بنو عدى ولا نعرفهم » .

أقول : مراده أنه لا يعرفهم : دخلوا مع هؤلاء وليس المراد عدم معرفته لنسبهم اذ مثله لا يجهل ذلك • وهم بنو عدى بن اد بن طابخة بن الياس ابن مضر •

ثم قال ابن خلدون : « وكذلك ذكر فيهم ربيعة ولم نعرفهم الا ان يكونوا هم المعلل اذ مثله لا يجهل ذلك • وهم بنو عدى بن اد بن طابخة بن الياس ابن مضر » .

أقول : أما فزارة فهو ابن بغيض وقيل ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان •

وأما أشجع فهو ابن ريث بن غطفان المذكور •

وزاد ابن خلدون : « وجشم بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر ، وسلول بن مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن » • الخ •

والمعلل من بطون اليمنية (القطحانية) ويقال للمعلل ربيعة بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان •

وعمرة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان •

وبنو ثور بن معاوية بن عبادة بن ربيعة البكاء بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان •

وعدوان (8) بن عمر بن قيس عيلان •

وطرود بن فهم (9) بن عمر بن قيس عيلان •

8 - يعنى بقوله عدوان قبيلة عدوان •

9 - يعنى بقوله طرود قبيلة طرود •

• وكان أمير رباح فيهم محرز بن زناد بن بادح احدى بطون علي بن رباح •
 وطلبوا من الخليفة ببغداد تجديد العهد لهم وأوفدوا عليه كاتبهم عبد البر بن
 فرسان فعقد الولاية لابن غانية وأذن له بحرب الموحدين واجتمعت اليه قبائل
 بني سليم بن منصور وكانوا جاؤوا على اثر الهلاليين عند اجازتهم الى افريقية •
 والله أعلم •

الا ان كلهم مندرجون في هلال وفي الاثبيح منهم خاصة لان الرئاسة كانت
 عند دخولهم للاثبيح وهلال فادخلوا فيهم وصاروا مندرجين في جملتهم •

وهناك فرق من هؤلاء الهلاليين لم يكونوا من الذين أجازوا النيل في عهد
 اليازوي أو الجرجاني وانما كانوا من قبل ذلك ببرقة أيام الحاكم العبيدي •

ومع الهلاليين الشريف بن هاشم وهو شكر بن ابي الفتوح الحسن بن
 ابي جعفر بن هاشم بن محمد بن موسى بن عبد الله ابي الكرام بن موسى
 الجون •

وقد مات ابو الفتوح حوالي عام 431 هـ / سنة 1037 م •

ومات شكر حوالي عام 454 هـ / سنة 1060 م وولى ابنه محمد الذي يذكر
 هؤلاء الهلاليون انه من الجازية (الزازية) ابنة سرحان •

وقال ابن سعيد انه من السليمانيين من ولد محمد بن سليمان بن داود بن
 حسن بن الحسن السبط والذي بايع له أبو الزاب الشيباني بعد ابن طباطبا •

ومن مزاعم الهلاليين ان الجازية لما أتت الى افريقية وفارقت الشريف خلفه
 عليها منهم ماضى من مقرب من رجالات دريد •

وكان المستنصر لما بعثهم الى افريقية عقد لرجالاتهم على امصارها وثغورها
 وقلدهم أعمالها • فعقد لموسى بن يحيى المرداسى على القيروان وباجة وعقد
 لزغبة على طرابلس ولحسن بن سرحان على قسنطينة •

ولما غلبوا صنهاجة اجتهدت زناتة في مدافعتهم وجهز لهم صاحب تلمسان
 من بني خزر قائده ابا سعيد الفتري فكانت بينهم وبينه حروب الى ان قتلوه
 بنواحي الزاب •

وجاء في كتاب « تغريبة بني هلال » انه مات في الصحراء التي قبله الزاب
 (هي أرض سوف) وتغلبوا على الضواحي في كل وجه وعجزت زناتة عن
 مدافعتهم بافريقية والزاب وصار الملتحم بينهم في الضواحي بجبل راشد
 ومصاب من بلاد المغرب الاوسط •

وإدرب الخلق برقص الحيل وخوض أحشاء الفلا والليل
بنى مريـن سادة القبائل فى قطرنا بواضح الدلائل
قاموا وقد بان اختلال الطاعة بمذهب السنة والجماعة

قال صاحب المؤنس : بنو مريـن فخذ من زناتة والنسابون مختلفون فى
نسبهم ولكن يجتمع نسبهم فى قيس عيلان وتناكحوا فى البربر .

أقول : حيث كان نسبهم يتصل بقيس عيلان فليسوا من البربر بل هم عرب
وانما انتسبوا للبربر لمصاهرة بهم .

قال القدماء : اتى الى سوف قوم من البربر باهاليهم واستوطنوا الموضع
المسمى الآن ضواى روجه (لانه كان يرى فيه ضوء من غير فعل فاعل) . وكان
وقت نزولهم تقريبا عام 522 هـ / سنة 1129 م .

أقول : يعنون بوقت نزولهم وقت ملازمتهم لمحل واحد والا فهم نازلون بأرض
سوف من قبل هذا الوقت (2) ولكن أكثرهم ينتقلون من محل الى محل وجعلوا
بيوتا من الشعر ومساكن من حطب وحلفاء ثم اقروا القرى .

وكان فى اولئك القوم امرأة صالحة اصيلة الراى والنسب تسمى تك بنت
سبت اتفق رايهم على ان يجعلوها ملكة عليهم تحكم بينهم لما راوا من رشدها
وصلاحها فرضيت بذلك .

فلما طال مكثهم ببناء قرية ليتمكنوا من الحضارة والتمدن ولما تسامح بهم
اخوانهم الذين بجوارهم اتواهم فتعاونوا جميعا فى ذلك وجعلوا قرية محكمة
مبنية بالطين واحاطوها بسور عال مخافة من العدو .

وقد اختاروا هذا الموضع لبعده عن طرق الشر لان العساكر كانت تمر من
افريقية الى المغرب على طريق الزاب .

كان بناء هذه البلدة على الجانب الغربى من الوادى الاتى من الجبل
والنازية المنتهى فى الموضع المسمى وادى وراغ .

2 - اما اغلبية نزوح الزناتيين الى الصحراء وسوف فكان فى عهد انحطاط دولة المرابطين
فيما بين 1120 - 1160 م ، عندما انتشرت بها الاقطاعيات وتفاقت المظالم الاجتماعية
بالمدين والقرى .

وكان من بين النازحين الى سوف فى تلك الظروف قوم من البربر تنزعهم امرأة
صالحة تدعى تنك بنت سبت كانت صاحبة الامر ببناء بلدة سميت باسمها .

تجدد عمران سوف

بعدها دخل عرب بنى هلال وسليم الى افريقية (1) انحاز كثير من زناتة
الى تراب سوف لبعده فى ذلك الوقت عن القلاقل وتسلط الاحكام ولوجود
الماء (وادى الجردانية) .

أقول : زناتة هم بنو جانا بن بربر بن تمصيت بن ضريس بن زحيك بن
مادغيس الابتر بن بربر بن كسلوجيم أو مزيج بن كنعان بن حال بن نوح
عليه السلام .

والذين كانوا بأرض سوف منهم طوائف من بنى مريـن .

قال صاحب المؤنس : كان بنو مريـن يسكنون بلاد القبلة من زاب افريقية
وينتقلون من مكان الى مكان وجل أموالهم الابل والحيل وطعامهم اللحم والتمر .

وجاء فى كتاب رحلة بنى هلال : لم يكن قوم إدرب من بنى مريـن فى ركض
الحيل وتعليمها وكانوا فى بادىء الامر بالصحراء . (صحراء سوف) كما تقدم .

وبعد أن ذكر كلاما لبنى مريـن ، ساق الابيات الآتية :

1 - لم يستقر اعراب بنى هلال وسليم بالبلاد الا بعد مشقة وعناء شديدين اذ تصدت
لمحاربتهم فى بادىء الامر الدولة الصنهاجية بتونس ، ثم الدولة الحمادية بالجزائر وقد
استطاع هؤلاء الاعراب فرض وجودهم على كلتا الدولتين بعد معارك عديدة . وظل
الصراع بين الجانبين من ناحية وفيما بين انفسهم من ناحية اخرى حتى كان عهد اضطراب
احوال العالم الاسلامى شرقا وغربا فتولد عن هذه الظروف انشاء الدولة الموحدية .
فاجل الموحدون عرب هلال وسليم الى المغرب .

ثم غلب اسم الملكة على تلك القرية فصارت تسمى تكسبت (بناءً مثناة فوق مكسورة ، فكاف ساكنة فسين مهملة مكسورة ، فباء موحدة مكسورة ، فقاء مثناة فوق ساكنة) .

وفى ابن خلدون ما يفيد ان بلدة بتلك النواحي يقال لها بتكست (بباء موحدة ، ثم تاء مثناة فوق ، ثم كاف ، ثم سين مهملة ، ثم تاء مثناة فوق ، وذلك من غير ضبط) فالعلها هى وانما وقع ذلك تحريفاً من الناسخ أو المطبعة فان كثيراً ما توجد بها الفأط محرفة خصوصاً النسخة التى بين ايدينا أو لعل من نقل له اسمها نقله محرفاً فان هذا يقع كثيراً فقد سمعت بنفسى من يسميها بهذا الاسم اى بتكست وآخر يسميها تكسبت (بناءً ، فكاف فباء فسين فتاء) كما سمعت رجلاً من ذوى العلم بتونس يسمى دقاش التى قرب توزر باسم قدش . وكررتها له صحيحة مرات فلم ينقلها وهذا بسوف من يسمى تاغزوت تاغزوت ، وورماس فرماس الى غير ذلك (3) .

واذا صح ذلك فقد قال عنها ابن خلدون ان سكانها اى تكسبت من البربر وتاريخها يقرب من ذلك الوقت ، والله اعلم بالحقيقة .

ثم عام 530 هـ / تقريباً سنة 1036 م كثر الوافدون على ارض سوف من قسطلية (الجريد) والزاب وورقلة ووادي ريغ فاجتمع رأى جماعة من البربر على بناء قرية بالجردانية عند راس الماء (اى عيون الذازية) فاسسوها فى ذلك الحين وصيروها الى حالتها التى كانت عليها أو احسن واكثروا فيها الزرع والضرع والاشجار . وشاع امرها فى تلك الجهات وتسابقت لها الناس من كل فج لحسن مائها وهوائها وكثرة خيراتها وامنها من المخاوف السائدة فى تلك الجهات والاقوات .

ثم بعد ذلك بزمان اتى جماعة يقال انهم من بنى ابنى العافية ونزلوا قرب سندروس وانضمت لهم عصابات من الاخلاط فحاربوا اهل تكسبت (4) واخرجوهم من ديارهم ، فاستعان اهل تكسبت عليهم باهل الجردانية وحاربوهم مرات كان آخرها انهزام اهل سندروس وقتل اكثرهم وفرار الباقين الى المغرب .

3 - تشويش حروف الكلمة أو بعبارة أخرى تغيير أماكنها يسمى فى اللغة القلب المكاني وهو كثيراً ما يجرى على اللسان وغير مقتصر على الاميين ، وغالباً ما يكون القلب المكاني وليد السماع الخاطئ وتعود اللسان على النطق بالكلمة محرفة .

4 - المقصود بها تكسبت القديمة التى كانت آهلة بالبربر الزناتيين .

ثم لفق الفارون جماعات من قطاع السابلة وذوى الخروج عن السلطان واهل الطمع فى الاحسان حتى صار الجميع جيشاً عظيماً هجموا به على اهل تكسبت بغتة وقتلوا منهم خلقاً وسبوا كثيراً من النساء والصبيان ونهبوا اموالاً جزيلة واثاثاً باهضاً .

وفر الناجون الى الجردانية والجريد والزاب يستغيثون بذوى المحالفة معهم . ورجع المهاجمون الى المغرب بعد ان تركوا القرية خاوية على عروشها لا انيس بها الا البوم والغربان .

ثم رجع بعض من اهل تكسبت بجموع جرارة فلم يجدوا احداً من المغيرين بسوف فلتحتوا باثرهم الى نواحي تقرت فعارضهم اهل قراها ومنعوهم من الذهاب للعدو لاحتمالهم بهم . فاجتمع رأى اهل تكسبت على ترك سبيلهم والرجوع الى قريتهم .

وعندما رجعوا اصلى بعضهم ما تهدم من القرية وسكنها وبنى بعضهم موضعاً آخر بقرب تكسبت الموجودة الان فى المكان المسمى المغيبة فى الناحية الشمالية بنحو نصف ميل . والله اعلم .

وفى كتاب الشريشي الكبير جاء ما نصه : قال الاصمعي : نزلت عدوان
ماء فأحصى عليه سبعون ألف غلام اعزل (2) سوى ما كان مختونا (مطهرا)
لكثرتهم .

الامام ابي

وكانت الاجازة فى خزاعة فغلبتهم عليها عدوان والذي كان يجيز الناس
رجل يسمى ابا سيارة . اجاز الناس على حماله من المزدلفة الى منى اربعين
عاملا . فليل فى المثل السائر : أصبح من غير ابي سيارة . وكانت اجازته
ان يقول : اللهم حبب بين نساءنا ، وبغض بين رعاينا ، واجعل المال فى
سمحائنا ، واوفوا بعهديكم ، واكرموا جاركم واقروا ضيفكم ثم يدفع فيقول :

خلوا الطريق عن ابي سيارة وعن مواليه بنى فزارة
حتى يجيز سالما حماره

وقال ذو الاصبع العدوانى ابياتا فى شأنهم أى شأن بنى عدوان استحضر
الآن بيتين وهما :

ومنهم من يجيز الناس بالسنة والفرض
ومنهم حكم يقضى ولا ينكر ما يقضى

والحكم الذى ذكره ذو الاصبع هو عامر بن الظرب المتقدم الذكر والمشهور
بذى الاعواد (الكبرى) وفيه يقول الاسود بن يعفر :

ولقد علمت لو ان علمى نافع أى السبيل سبيل ذى الاعواد

جاء فى كتاب « سرح العيون » انه (أى ذا الاعواد) أول من قضى (حكم)
فى الخنثى المشكل (3) على الصحيح . وذلك انه اختصم اليه فى رجل له
ما للمرأة (فرج) وما للرجل (ذكر) ايجعل رجلا أم امرأة ؟ فقال لهم انصرفوا
عنى حتى أنظر فى الامر فما نزل بى مثله فانصرفوا . وبأت ليلته ساهرا .
وكانت له جارية ترعى غنمه يقال لها سخيلة كلن يقول لها اذا سرحت عنه
بكركة ضحييت يا سخيلة لانها كانت تؤخر واذا راحت يقول لها : مسيت

2 - الاعزل : هو الصبي الذى لم يختن .

3 - اغنم المؤلف كعادته مناسبة الحديث عن عدوان ورجالاتهم ليقدم حكما شرعيا نادرا
يتعلق بالخنثى المشكل ضمن قصة لطيفة وكان الحكم مبنيا على الاستدلال بالعلامات .
ثم انه اتخذ الحكم المذكور مطية لبسط ظاهرة محلية لها مساس كبير بمجتمع اهل
الصحراء وسوف وهى قضية آثار الاقدام المسماة الجرة كما سيأتى ذلك .

انتقال عدوان الى الجردانية

بعد ان كان آل عدوان مع بنى هلال وسليم بنواحي الكاف والقيروان
ضاقت عنهم المجالات لكثرة عددهم ، وكانوا امة عظيمة لا تقاوى ولا تجارى .
فانتقل بعضهم يرتدون الفلوات من موضع الى آخر حتى وصلوا الجردانية
فأعجبهم فارادوا سكناها مع من فيها من البربر فمانعهم ووقع بين الفريقين
عدة مناوشات كان النصر فيها حليف عدوان . وانجلي ساكنوها وتفرقوا ايدى
سبا فى الافاق وذلك فى حدود عام 600 هـ/سنة 1204 م (I) .

قال الشيخ العدوانى : اتى عدوان الى الجردانية فحاربوا الزناتية وخرجوهم
منها ونزلوا منزلهم .

وقال ابن خلدون : عدوان بطن متسع كانت منازلهم القديمة بالطائف من
ارض نجد . ثم غلبتهم عليها ثقيف فخرجوا الى تهامة .

وكان منهم عالم بن الظرب بن عمر بن عباد بن يشكر بن عدوان، حكم العرب
فى الماهلية . وكان منهم أيضا أبو سيارة الذى يدفع الناس فى الموسم . ومنهم
بافريقية لهذا العهد احياء بادية بالقفر يظعنون مع بنى سليم تارة ومع رباح
ابن هلال بن عامر اخرى .

1 - كان ذلك فى عهد بدات فيه بوادر انحطاط الدولة الموحدية انثى تلاها تدهور الخلافة
وسقوطها وانتهى الامر بانقسام المغرب العربى الى ثلاث دول : دولة بنى مرين فى المغرب
الاقصى ودولة بنى عبد الوادى فى الجزائر ، ودولة بنى حفص فى تونس . وقد احدث
هذا الانقسام نوعا من الصراع المستمر بين هذه الدول فاستغل الاسبان هذه الفرصة
لشن غاراتهم على ثغور الجزائر تمهيدا لاحتلالها فاستنجد اهل الجزائر بالأتراك لدفع
خطر الاحتلال الاسبانى . وبعد معارك استطاع بابا عروج ان يجلى الاسبان عن الثغور
الجزائرية سنة 1516 م .

يا سخيلة . ففي تلك الليلة راحت مؤخرة ولم يقل لها شيئا . ورأت سميره وتفكيره فقالت له : ما عراك ؟ (اي ما أصابك) . فقال لها : دعيني وشأني . فأعادت عليه ، فقال لها : ويلك قد اختصم الى في خنثي له ما للذكر وما للانثى أيجعل في ميراثه رجلا أم امرأة . فقالت له : لا اباك أفعده يبول فان بال من حيث يبول الرجل فهو رجل وان بال من حيث تبول المرأة فهو امرأة . فقال لها : مسي سخيل بعدها أو ضحي . فصار هذا مثلا . ثم خرج فقضى بالذي أشارت عليه (4) .

أقول : وهكذا الحكم به في الشرع فان بال من احد السيلين يعطى حكمة او بال من حدهما اكثر من الآخر فالحكم للاكثر او بال من احدهما قبل الآخر فالحكم للاسبق او نبئت له لحية معتادة او خرج منه منى فيحكم له بالرجولة . او طلع له ثدى او خرج منه دم حيض فيحكم بأنوثته .

قال السهيلي : وهذا من باب الاستدلال بالعلامات وله مثل في الشريعة قول الله تعالى : « وجأؤوا على قميصه بدم كذب » .

قال عبد المنعم بن الفرس : روى ان اخوة يوسف عليه السلام لما اتوا بقميص يوسف الى ابيهم يعقوب تأمله فلم يجد فيه خرقا ولا اثر انياب فاستدل بذلك على كذبهم وقال لهم : متى كان الذئب حليما يأكل يوسف ولا يخرق قميصه ؟ اذ لا يمكن افتراس الذئب ليوسف وهو لا يمس القميص ويسلم القميص .

واجتمعت العلماء على ان سيدنا يعقوب عليه السلام استدل على كذبهم بصحة القميص . فاستدل الفقهاء بهذه الآية على اعمال الامارات في مسائل كثيرة من الفقه . وقال الله تعالى : « وشهد شاهد من اهله ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم » .

قال ابن الفرس : هذه الآية يحتج بها من العلماء من يرى الحكم بالعلامات والامارات فيما لا تحضره البينات .

4 - يبدو حسب القصة ان الجارية سحيلة هي التي اوحى بالحكم المذكور فانتج به ذو الاعواد وقضى به .

أقول : ومن باب الاستدلال بالعلامات ما هو جار عندنا بسوف في معرفة الاثر (الجرة) (5) اذ من الارجل : الطويلة ، والقصيرة والعريضة والرقيقة والحميصة والمساء وذات التجاعيد وذات العروق البارزة وذات الشقوق والمعتدلة ومنفرجة الاصابع وملتصقتها وطويلة الاصابع وقصيرتها وزائدة الاصابع وناقصتها والحنفاء (القبحاء) والشبيطاء (الطرقاء) والى غير ذلك من أوصافها .

وأرضنا رمال وامرها مهمل خصوصا حال العرب الرحالة الساكنين حول البلاد وبعميش فانها لولا معرفة الاثر لكثرت السرقات وتعطلت المنافع ولوجد كل مفسد مراده منها . ولذلك حكم الشيخ سيدي خليفة بن الحسن القمارى ناظم سيدي خليل رضى الله عنهما حكم على ابن خليل القمارى حين سرق وعرف أهل الخبرة اثره . ثم ان ابن خليل ذهب الى أشياخ الحنقة واستفتاهم في ذلك فافتوه بعدم التعويل على الاثر .

5 - بما ان بصمات الاصابع (اثر الاصابع) وهي من قبيل الاستدلال بالعلامات تعتمد عليها العدالة في احكامها وتعمل بها في تحقيقاتها ، فكيف لا يصح بانثار الاقدام (الجرة) . وقديما قال العرب في استدلالهم : البعرة تدل على البعير وآثار الاقدام تدل على المسير . وقد يقصدون بذلك ايضا الدلالة على صاحب المسير . وبين اهل الصحراء وسوف بلغ الكثير منهم مستوى كبير في براعة تحليل آثار الاقدام والتوصل من خلالها الى التعرف على صاحبها جعلهم خبراء ذوي اختصاص في هذا الميدان ويطلق عليهم اسم عرافي الجرة .

ومما يدعو الى التعجب والاعجاب ان عراف الجرة علاوه على اكتشافه للمعتدى اعتمادا على شكل قدميه (جرته) قد يتوصل بفضل فراسته الى استنتاجات اخرى مثل اوصاف المعتدى : طول قامته ، قصرها ، ان كان اعرج ، او اعور ، او يدينا ، او ضعيف الجسم وغير ذلك . ومثل زمن الاعتداء : ليلا ام نهارا ، قبل الزوال ام بعده الخ . وتحاشيا للاطالة هنا اكتفى بتقديم نموذج واحد في ذلك .

سألت مرة رجلا من عرافي الجرة على الادلة التي اعتمدها في الحكم بان سرقة التمور من غوط فلان جرت ليلة البارحة لا نهار الامس فكأن بعض ما اذكره من جوابه هو : اولا : كان على جرة السارق آثار مشى الفئران وهي غالبا لا تخرج من جحورها وتنقل بحرية الا اثناء الليل .

ثانيا : على الجرة آثار قطرات الندى والندى لا ينزل الا ليلا .
ثالثا : كانت الجرة واضحة المعالم سليمة لم تصادفها ريح نهار الامس التي لم تهدأ سوى اول الليل الماضي .

ومما يحكى عن الاستدلال بالجرة ان ضابطا فرنسيا عندما عين رئيسا للإدارة بساواي اراد ان يتأكد من صحة هذا العمل العرفي ليعتمده بدوره في احكامه . ففي ذات ليلة خلع حذاه وذهب منفردا مستترا الى احد البساتين القريبة وقطع عرجون تمر من نخلة صغيرة ثم عاد الى منزله . وفي صباح الغد ذهب صاحب البستان الى الادارة يخبرها بالاعتداء على بستانه حتى تتخذ الاجراءات للكشف عن المعتدى . فارسل الضابط من يحضر الحير (عراف الجرة) كمادة اهل البلد في مثل هذا الحالت . ولما حلل عراف الجرة الآثار توصل نهائيا الى اكتشاف صاحبها الذي هو الضابط . قيل قد اعجب الضابط المذكور بفراصة الحير واتخذ من ذلك اليوم خبيرا رسميا في هذا الميدان .

فخطابهم سيدى خليفة رادا عليهم فتواهم بمنظومته الشهيرة وهى :

سلام له فى الصلوات أصول
الى السرج الاثبات من أهل خنقة
رؤوس سراة صالحون أجلة
عفا الله عنكم حكمكم كيف وجهه
تمسكنمو بالاصل والحق واضح
ففى القلب شىء يعتريه وعبرة
ولكن اذا عم السداد لحادث
كنضمين سمسار وتغريم صانع
وترخيص تاخير الكراء مكتنر
ومن ذاك ما قد جوزوا فى سفاتج
ففى كلبها خلف الاصول لانها
ومن ادب المسؤول قبل جوابه
تعرف عرف السائلين بارضهم
وما أنتم مما باعلم بالذى
ففى الاخذ بالاثار اصلاح أهرنا
وما الاثر الا كالحطوط شهادة
فعر فانك الخطأ الذى مات ربه
وأغرب منه ما تحراه قائف
وفى ولدى عفراء لما تنازعا
بأثر طعان السيف كان نبينا
وعب انكم خالفتمو ما بدا لنا
فملا حكمتكم بالذى هو واجب
من الضرب والتنكيل بالسجن طائعا
وهذا وان القلب بالود لم يزل
ومنا لكم عذر الذى هو قاصر
فان وافق الانصاف ما قد رسمته
فما الفضل الا للكرام وان تروا
وان تروا الاعراض منكم تزهدا
وسيدنا المقبول فى موقف الجزا
واختم نظمى بالصلاة على الذى

محمد المقبول والآل ما جرت ببطحاء من وبيل الغمام سيول
وصانع أبيات الطويل خليفة عليكم سلام من لدنه يطول

اقول : انتهت المنظومة بحمد الله تعالى . وله الحق فى جميع ما قال قرب
الدار أدري فيها .

وكان سيدى خليفة المذكور صاحب باع طويل فى الفقه لا يجارى فى
زمانه (6) وخصوصاً فى جمع النظائر والاشباه . وكان خالص العقل ، محرر
النقل ، مسلم له ما يدعيه من غير مطالبة بحجة لما عرف من ورعه . وله
القدم الراسخ فى التصوف ومعرفة كلام القوم واحوالهم ودرجاتهم . وكان
صاحب اعتقاد فى الفقراء يخدمهم بنفسه ويبدل لهم ما يجده . تتلمذ على
سيدى ابراهيم بن سعد ، وسيدى ابراهيم بن شريط التماريين رحمهما
الله تعالى .

قال الشيخ العدواني : بعد ان تمكنت عدوان من الجردانية اتاهم اقوام من
النصارى كانوا فى الزاب وورقلة وفيهم رهبان فبنوا بازاء الجردانية صوامع
للتعبد سمرها قصورا وكانوا فى ذلك الوقت ثلاثة والصحيح ان كل صومعة
تقرت حولها قرية وهى تسمى قصرا . وطالت العشرة بين اولئك النصارى
والعدوانيين .

وفى زمن قريب لحق بعض العدوانيين (7) الذين كانوا بالقيروان فلم
يرضوا بالصلة التى بين اخوانهم والروم فاخرجوا جميع الروم وتوجه هؤلاء
الى موضع القدائم الآن الذى بقرب تاغزوت ونزوله وكان ذلك الموضع يسمى
جلهمة سمى باسم رجل صياد من زناتة الاولين مات هناك .

ثم لحق بعض العدوانيين بالروم الذين بجلهمة وبنوا جميعا قرية واسس
الروم بها صومعة (8) وبنى المسلمون مسجدا . فلم يطل ذلك حتى قدم عليهم

6 - بلغ العلامة المرحوم سيدى خليفة بن الحسن مكانة علمية يشهد له بها العام والخاص
لا سيما فى الفقه الاسلامى . ومن تأليفه فى ذلك نظم سيدى خليل .
يقول الدكتور ناجح احمد فى كتابه سوف الواحات ما ترجمته : استغرق الشيخ خليفة
عشر سنوات لاتمام تأليفه الذى نشر سنة 1798 م .

7 - كان توافد العدوانيين اناء فترات متعددة وقيل اول وفد منهم بلغ سوف كان منذ
بداية الفتح الاسلامى لافريقية فى اواسط القرن السابع ثم التحق الباكون فيما بين
الحادى عشر والثانى عشر .

8 - كان وجود الرهبان بالصحراء وسوف منذ العهد الرومانى كما تقدم ذكر ذلك .

جماعة من الاخلاط وجماعة من اتباع ابن ابي العافية السابق ذكره ونزلوا بجلهمة
فهرب الروم الذين كانوا فيها الى الجردانية مظهربن ان الارض لم تساعد
لقلّة مائها فقبلهم اهل الجردانية وفرحوا بهم واعانواهم على بناء صوامعهم
وبيوتهم . قيل انه اجتمع من الرهبان هناك سبعة . ثلاثة منهم جئوا من
وغلانة واثنان قدما مع اهل جلهمة وواحد من بادس ، وواحد من تهودة .
ثم كثر البناء في الجردانية حتى صار كل قصر راهب حوله بيوت متعددة
كالقرية . والجميع تسمى قصور عدوان (أى قرى عدوان) او مدامر
عدوان . وتسمى ايضا قصور الرهبان ، وقصور النازية وتقدم ان القرية
باكملها تسمى قصرا .

انتقال طرود الى عقله الطرودي

وما ضاقت الاماكن الافريقية بالعرب (I) وقويت شركة الاثبيج وخصوصا
دريد منهم انتقلوا الى صفاقس . وكانوا فى عدد كثير فلم تحملهم الارض
لقلّة ما بها من العيش فانتقلوا الى قفصة .

قال الشيخ العدواني : ان طرودا كانوا حين دخلت العرب افريقية بنواحي
طرابلس ثم فى هذا الوقت قتلوا رجلا فطلبت منهم الدية فامتنعوا من
اعطائها وفروا ليلا ونزلوا على قرية من عمل طرابلس على شاطئ البحر ،
فارسل اليهم عاملها : اما ان تعطوا الدية او تنتقلوا من هنا . فابوا ولم
يخرجوا ثم اؤدهم ، فقالوا له : ان كانت لك قوة فات بها فلسنا خارجين .
فجمع جيوشا من غدامس وفزان وغيرهما تبلغ عشرة الاف فارس . وانضم
لطرود بعض الاعراب الذين هناك . وكن رئيسهم يقال له مسروق (2)
وتألف جيشهم من ستة الاف فارس . والتقى الفريقان بموضع يقال له ابن
فرحات . وما زال القتال بينهما من طلوع الشمس الى غروبها . ثم افترقا
وقد مات من قوم مسروق اربعمائة رجل ومن قوم عدوه الف رجل . ثم نزل
مسروق وقومه بموضع آخر يقال له جرجر بساحل البحر ومكثوا هناك ثلاثة
اشهر . فسمع بهم صاحب قابس فرحب بهم وطلب منهم النزول فى بلاده
ولهم فيها ما يريدون فنزلوا فيها واصلحوا شؤونهم ثم بعد مدة ذهب رجل
من جماعة مسروق يقال له ضرار بن عمر يطوف فى بعض السوانى يقتطف
العنب فنهاء صاحب السانية وزجره . فاخذ ضرار سيفه وضربه على راسه
فقتله وحمله الى ساحل البحر ورماه . فتفقده اهله (اى صاحب السانية)

وحيث كان بنو مريّن انتقلوا من تكسبت وصحرائها عام 610 هـ / سنة
1214 م (9) . وكانت لهم ألفة وصحبة مع بعض العدوانيين الذين نزلوا
بالجردانية اولا وصاروا فى جلهمة وضيق عليهم بنو ابي العافية والاخلاط
ففروا الى المغرب تاركين منازلهم باختيارهم والتحقوا بهم . وعند انتقالهم قل
الساكنون بجلهمة فحاربهم بنو عدوان الى ان فروا واخلوا القرية والى الان
توجد آثار بنائها . وكان ذلك فى حدود عام 655 هـ / سنة 1258 م .

قال الامم ابن خلدون : بنو ابي العافية هم الذين تفرقوا فى المغرب
الاوسط ثم اجتمعوا فى المغرب الاقصى وملكوه .

اقول : وابو العافية الذى ينتسبون اليه هو ابن آبى باسل بن ابي
الضحك بن ابي يزول بن تافرسين او تافرجين بن فراديس بن
مكناس بن وراستيف بن يحيى بن تمصيت بن ضريس بن زحيك بن
مادغيس الابتر بن بربر بن كسلوجيم بن كنعان بن حام بن نوع عليه السلام .

9 - فى هذا الظرف التاريخي كان بنو مريّن قد نزحوا الى المناطق الجنوبية الغربية بعد ما
كانوا بنواحي الزاب وسوف وما والاها وبعد ان ردهم بنو هلال نحو المغرب والتجؤوا الى
المناطق الصحراوية فرارا من سلطة الموحديين . وقد سبق لبني مريّن ان اشتبكوا فى
ثورات عديدة ضدهم . وحوالى سنة 1215 م . حاولوا الاستيلاء على بعض المناطق
التلية حيث الزرع والمرعى فردهم الموحدون عن ذلك فرجعوا واستولوا فى بعض سنين
على الكثير من مدن المغرب مثل فاس والرباط ومكناس .

وتحالف بنو مريّن مع سلطان تونس على محاربة كل من دولة بنو عبد الوادى بتلمسان
والنصارى الاسبان . وفى آخر الامر دب الخلاف بين سلاطين بنو مريّن فكان منهم
مؤيدى لبعث دولة موحدية من جديد ومنهم معارضون فتتج عن ذلك نشوب قتال بينهم
وانفصال بعض القبائل مثل قبائل جرجرة ودخولها تحت حكم بلقاسى وانفصال اهل
الزاب وانضمامهم تحت حكم الذواودة . وزال حكم الدولة نهائيا حوالى سنة 1465 م .

- 1 - يعنى بالعرب من قدموا افريقية ابتداء من الحملة الهلالية .
- 2 - قيل فى رواية اخرى : هو مسروق بن عندله كان قد قتل ابن عمه واثّر ذلك فى
بقيته طرود .

فلم يجدوه . فأتهموا جماعة مسروق به فاخرجهم عامل قابس من تلك الارض ، فسار مسروق وجماعته الى القيروان فصعب عليهم النزول هناك . فرحلوا ونزلوا على المهديّة ومكنوا فيها ثلاث سنين فسمع بخبرهم صاحب ترشيش (من اسماء تونس) فبعث اليهم ثلاثين رجلا من خواصه يرغبونهم في التقدم الى نواحي تونس . فتشاور طرود في ذلك فاختلف رأيهم . فآشار عليهم بعضهم بعدم الذهاب اليه وقال لهم : نحن قوم لا ولاية لاحد علينا ونريد اتساع المكان فلا تضيقوا علينا ما وسعه الله . فرجع قوم ترشيش من غير فائدة . ثم رجعوا لطرود مرة ثانية قائلين لهم : ان الامير ضمن لكم جميع ما تطلبونه منه ان أتيتموه لتكونوا عوناً له على بعض الثائرين . وتكونوا من المقربين عنده المحظوظين بفوائده وموائده . فذهب اليه منهم وفد مؤلف من اربعمائة رجل . فلما وصلوه قام لهم اجلالا وعظم منزلتهم واکرمهم اكراما واسعا . فاقاموا هناك ثلاثة ايام فلما ارادوا الانصراف والرجوع لآخوانهم اعطى كل واحد منهم كسوة تليق به وقال لهم : غدا يلحق بكم بعض عمالي فيعطىكم الاضا واسعة وينزل كل قبيلة منكم على حدتها ويفرض لحيولكم المؤونة ومن مات له فرس يعطيه عوضها وكونوا معي في كل حال ، ويجعل لكم سوقا تجتمعون فيه كل اسبوع باسمكم . فافترقوا على هذا الامر واخذ عنهم البيعة .

قال القدماء : فلما رجعوا الى اهاليهم وآخوانهم اخبروهم بما كان من صاحب ترشيش فقالوا : ان هذا الرجل قد عزم على استئصالكم وقطع دابرکم من الارض وذلك انه اراد ان يجعل كل قبيلة منكم في محل وحدها لتتفرقوا وتتفرق كلمتكم ويقل عددکم فيهلكکم شيئا فشيئا .

وفي رواية اخرى انه حين بعث لهم صاحب ترشيش ورغبهم بما تقدم يخبرهم بذلك رسله على لسانه تحيروا وتحيلوا لما يعلمونه من الصداقة بينه وبين عامل قابس وقد اضروا برعيته وتجاسروا على عامله . ثم حين رغبهم ثانيا انخدعوا وظنوا انه برىء الساحة من ذلك الامر . فآشار عليهم مسروق بعدم الذهاب فآخالفوه وحينئذ اى حين عزموا على المسير اليه ارسل معهم ابنا له نجيبا فطنا واوصاه بان يحفظ ما يقوله لهم عند الانصراف ولا يحفظ ما بين ذلك ولو طالقت اقامتهم عنده . فلما قدموا عليه قال لهم : مرحبا بكم ايها المنافقون (اى الخارجون عن الطاعة) ثم اكرمهم وضافهم ثلاثة ايام . وعند الانصراف اعطاهم حلا وقال لهم : في آى محل تركتم اهليكم حين جئتم ؟ فقالوا بنواحي المهديّة فقال لهم : وهل به الى الان او انتقلوا عنه الى غيره ؟ فقالوا انهم به الى هذا الوقت . فلما وصلوا فرحت الاعراب بسرور الامير بهم

واكرامهم اياهم وصفاء قلبه عليهم . واعاد الابن على ابيه مسروق ما سمعه . فقال لهم مسروق : انتقلوا الان وان بقيتم الى غد تصبح عندكم خيل الامير فلا يبقى منكم أحد فانه حاقد عليكم بسبب فعالكم السابقة مع عامله وكلامه معكم يدل على ما في صدره من اجلکم فايالکم والاقامة هنا . ثم رحل مسروق ومن اطاعه وهم الكثير وتوجهوا الى صفاقس ثم منها الى قفصة وقمودة . وبقي اصحاب الطمع في محلهم وبعد يومين هاجمتهم عساكر عامل ترشيش ولم يتركوا منهم الا من اعاد الخبر . وقال شاعر الذين نجوا وقطعوا تلك الفياض ليلا بعد ان بلغه خبر المخلفين : عند الصباح يحمد القوم السرى .

ثم بعد حين انتقل بعض طرود وهم القليلون ونزلوا بباجة طانين ان صاحب ترشيش يقربهم لبراءتهم من المشاركة في القتل والنزاع وانتقل الباقون الى عقلة الطرودي وبودخان والمينة وسرحوا مواشيهم باطراف الجبل وقطنوا هناك بادين بخيامهم من غير ان يجعلوا قرية وكان نزولهم في هذه الارض تقريبا في حدود عام 690 هـ / 1292 م .

ثم ان الذين بباجة تضرروا بالوخم وجاءهم النذير ان الامير عاقد العزم على استئصالهم فاجتمعوا على الخروج منها والذهاب الى غيرها فارسل رايهم على الدقاق باخوانهم فارتحلوا وبقي منهم بنو ابي يزيد وبنو علي بباجة .

وما زالوا سائرين حتى وصلوا عقلة الطرودي ونزلوا بها وصارت اماكن الجميع في نواحي افرکان ونقرين واطراف الزاب الشرقي والصحراء التي بين نفطة والجردانية .

وبقي الغيظ كاهنا في صدورهم من الولاة الذين بافريقية بحيث كلما سمعوا بمن ينتقض عليهم أو يحاربهم الا ويتعصبون معه ويعينونه عليهم حتى كانت ولاية الامير خالد بن ابي زكريا الذي اساء الفعل مع الرعية . وممرت بعض التمايل التابعة له في حال مروره الى قسنطينة في المرة الثانية والتقت بعرب طرود وتحاربوا ولما التحقوا بالامير اخبروه بما كان من طرود . وكان مفتاظا منهم من زمن ابي عصيد وآبى حفص . فعزم على الانتقام منهم في عودته ، فلما سمعت طرود بذلك فروا الى الصحراء القبلية ونزلوا على ماء يقال له المنقوب يبعد على نفطة بنحو يوم في الجهة الغربية . وفي حال رجوع خالد الى تونس بعث العيون (الجواسيس) الى منازل طرود فوجدوها كما قال شاعرهم :

وبلدة ليس بها انيس والا اليعافير والا العيس

ثم بعد ذهابه رجعوا الى منازلهم فمكثوا برهة فبلغهم ان ابا بكر بن ابي زكريا أخا الامير خالد الذي كان خلفه بعده واليا على قسنطينة قد انتقض على أخيه خالد . وجمع جموعا من العرب يريد التوجه بها الى تونس . فكانت طرود في مقدمتها ولما دخلوا افريقية اتتهم النجدات من طرابلس والنواحي القبلية . ولما سمع خالد بذلك خرج بجموعه في ظنه انه يفتك بالقائمين عليه . وبعث الطلائع لترصدهم فاخبروه بأنه لا طاقة له على الجيوش المقبلة التي سدت جميع النواحي والضواحي فلم يصدق حتى عاين ذلك بنفسه . وحاول الرجوع مختفيا يطلب الصلح فلم يستطع واستشار ارباب دولته فشحجوه على القتال واوهموه بضعف جانب العدو ، واطمعوه فيه وحذروه من الرجوع . فحارب متمثلا بقول القائل : « مكره أخاك لا بطل » . فأول من بدر الى لقائه طرود . وقامت الاقوام في اثرهم وقووا شوكتهم فقاوم خالد غير طويل ثم رجع منهزما يطلب النجاة لنفسه . فلحقه طرود يريدون قتله دون رعيته فسبقهم الى أحد ابواب المدينة واغلقه دونهم فضربه احدهم برمح فثقبه . والى الان يقول طرود مفتخرين : « دقتنا في باب خالد » . يعنون الباب الذي أغلقه خالد لا بابا يسمى بهذا الاسم . ثم ان الامير خالدا حين حصل الامن لنفسه خلع نفسه بنفسه وكان ذلك في حوالى عام 711 هـ / سنة 1312 م .

ثم افضت الدولة الى زكريا اللحياني وبنيه . وكانوا يكرمون طرودا ويرفعون منزلتهم فسكنوا باجة حيث كانت محلا لبنى ابي زيد وبنى على من اخوانهم واطالوا فيها الاقامة . والله اعلم .

دخول بنى مرداس الى سوف

قال الشيخ العدواني : ثم اتى اليهم (اي الى عدوان ومن معهم والى زناتة الذين بتكسبت) قوم مرداس (I) واقاموا معهم اربعين عاما .

وقال صاحب المؤنس : مرداس بن رباح بن ابي ربيعة بن نهيك بن هلال ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . . . الخ .

قال القدماء : ان الذى نقلناه عن اوائلنا ان بنى مرداس لم يكثروا الاقامة بسوف لقلقهم من الاحكام والضغط ، وانما حين دخلوا ألفتهم الناس ولم يأنفوا منهم وصاروا بين الزاب وتاقرارت والجردانية وتكسبت والصحراء القبلية . وتارة يذهبون الى الجبل وتارة الى وادى ريخ ، واختلطت منهم اناس باهل تكسبت وتصاهروا وصاروا منهم .

قل ابن خلدون : بنو مرداس انتقلوا الى القفر وهم اليوم به من جهة بادية الاعراب اهل الفلاة ينزعون الى الرمل ويمتازون من أطراف التلول . وهم تحت احكام سليم ورياح ويختصون بالتغلب على ضواحي قسنطينة ايام مرابع الكعوب . ومصائفهم بالتلول . فاذا انحدروا الى مشاتيهم بالقفر اجفلت احياء مرداس الى القفر البعيد ويخالطونهم على حلف . ولهم على توزر ونفطة اتاوة يؤدونها اليهم . . . وقال : ولمرداس بطون كثيرة وهم : ذواد بن مرداس

1 - جاء في المنجد صفحة 490 قوله : بنو مرداس سلالة عرب سوريين ينتمون الى صالح بن مرداس الكلابى حاكم حلب (1023 م) منعوا الشمال السورى عن هجمات البيزنطيين والقبوادر الترك .

وضنبر بن جواز بن عقيد بن مرداس واخراهم مسلم بن عقيل . ومن اولاده
عامر بن يزيد بن مرداس . . . الخ .

اقول : ومنهم الذواودة المشهورين بالكرم والشجاعة ونزاهة النفس وهم
أبناء ذواد بن مرداس المتقدم الذكر . وبطون رياح كلها تبعا للذواودة في القوة
والمناعة . ومسكنهم الزاب الغربى وقاعدته بسكرة وطولقة . ومعهم اخوانهم
رحمان من بنى يزيد بن مرداس . وبالزاب الشرقى اخوتهم الخضر وهم أبناء
حضر بن عامر بن يزيد بن مرداس . ومنهم سيدي عبد الرحمان الاخضرى
صاحب التأليف المباركة والكثيرة ، وهو دفين الزاب الغربى .

وان سيدي عبد الرحمان المذكور من ذرية العباس بن مرداس السلمى لا
مرداس الرياحى كما ذكر ذلك بنفسه فى شرحه على السلم .

قال القدماء : ومنهم اولاد ثابت بن مرداس واكثر مواطنهم بادس واوлад
على ، واوлад عمر أبناء رياح المذكور . ومن اولاد على اولاد فادع واوлад دهمان
واوлад صولة . ومن اخوانهم حيان (قبيلتان) بورقلة وهما سعيد ، وعتبة
أبناء مالك بن رياح وغير هؤلاء كثيرون ولكن المقلم لا يسعنا .

ثم بعد حين من مصاهرة زناتة لبعضهم اشتدت الرابطة معهم وصاروا
كألبد الواحدة على من عاداهم او حاربهم .

وكان بين الحين والآخر يحدث خصام بين عدوان وزناتة اهل تكسبت .
ففى احدى الحوادث استنصر الاخرون بحلفائهم بنى مرداس الذى تسلطوا
على بنى عدوان خاصة دون من معهم من الاخلاط . فعزم بنو عدوان على الانتقال
من المكان بعد ما عطلوا عيون النازية لئلا ينتفع بمائها خصومهم . قيل برمى
الصخر فيها ، وقيل بهدم كيفانها . ثم ارتحلوا ناورين افريقية فنزلوا بصحراء
نفزاة . ولما قل الماء بعيون النازية خرج بنو مرداس من تلك النواحي
وتفرقوا فى الزاب ونواحيه فسمع عدوان بخروجهم فرجعوا .

قال الشيخ الورتلانى : واهل الرمل من بقايا الروم الذين كانوا بافريقية
قبل الفتح وكذا اكثر اهل قسطنطية . ومنهم من العرب الذين سكنوها عند
افتتاحها . ومنهم من البربر الذين دخلوها فى قديم الزمان . . .

اقول : كلام الشيخ الورتلانى يفيدنا بان البعض من بنى عدوان قدموا الى
سوف عند الفتح وسبقوا غيرهم من العرب اليها .

وعند رجوعهم لم يتمكن بنو عدوان من البناء كتمكنهم الاول فجعلوا مساكن
خشبية واخرجوا الرهبان من مساكنهم وحلوا محلهم واجلوهم الى الزاب
ووادى ريغ وورقلة والجريد .

ويمكن ان تكون تلك الوقائع فى نحو عام 766 هـ / سنة 1365 م وذلك ان
المرداسيين خرجوا من سوف حين بلغهم ايضا ان بجاية اخذت من يد بنى
مرين متأسفين للود القديم الذى بينهم ، وكان اخذ بجاية عام 761 هـ / سنة
1360 م . وفى مدة خمس سنين ونحوها تمت تلك الامور المتقدمة . والله
اعلم .

وانتقل طرود من ذلك المحل سائرين الى ان وصلوا عقلة الطرودي ، وكان ذلك في حدود عام 797 هـ / 1395 م .

وكان استقاء طرود في المرة الاولى من وادي بودخان ومن وادي تاقرارات الذي كان يأتي الى سوف وصار يجري في تلك النواحي خاصة وفي هذه المرة احتفروا في الموضع المسمى الآن عقلة الطرودي سبعة آبار وفي الاخيرة منها مات رجل منهم يقال له شداد بن حارث الطرودي فسميت به . والعرب يسمون الآبار الكثيرة المتقاربة عقلة .

وكان لهم من المواشي (الابل ، والغنم ، والخيل ، والبغال ، والحمر) شيء كثير عم تلك الارض . ولهم من الذخائر العربية والاموال والحلي والاسلحة ما لا يحصى عددها . واضطروا من اجل مواشيهم الدخول في أطراف الجبل مع كثرة برده ومطره وثارة يقصدون أهل الزاب وثارة يذهبون الى الصحراء القبلية فيتعمقون فيها واذا اشتد الحر يرجعون من أجل قلة الماء لهم ولمواشيهم . والله أعلم .

رجوع طرود الى عقلة الطرودي

لما طال مكث طرود بباجة والسلوقية وتستور ونواحيها اكثر اهلها التشكي منهم وطلبوا من العمال اخراجهم من تلك البقاع .

وافضت الولاية الى الامير احمد بن محمد بن ابي ابكر فاستشار خواصه في امرهم فاشاروا عليه بالثقل عليهم في المغرم لينفروا من غير مدافعة فاستصوب رايهم وضيّق عليهم ورصدهم بالعيون لثلا يقع منهم حادث .

وكانت له حروب طوع فيها الجريد والزاب وجميع بقاع افريقية . وفي حال رجوعه الى تونس خشيت طرود بطشه . فاشتوروا واتفقوا على الرحيل الى محلهم الذي كانوا به سابقا وهو عقلة الطرودي وما حولها .

وما زالوا سائرين حتى نزلوا بقرب نفطة .

قال الشيخ العدواني : فدخلها (اي نفطة) رجلا من منهم يسالان عن اخبارها وحالها . ثم اخبرا عن رخاء اسعارها وكثرة تمورها . فاعجبتهما (I) واقاموا فيها سبعة ايام يبحثون عن سرها وعلايتها فليل لهم : هذه بلاد ظلم فارحلوا ارض الله واسعة الفضاء واسكنوا حيث شئتم غيرها . ثم مرض الرجلان بالوخم فماتا ودفنا بالدحداح .

قيل : اللذان ماتا قبرهما بقرب افركان والى الآن يعرف المسافرين موضعهما بجانب ربوة حمراء .

I - انتقل المؤلف من ضمير التثنية العائد على الرجلين (يسالان ، اخبرا) الى ضمير الجمع (فاعجبتهما ، واقاموا ... الخ) يقصد بضمير الجمع هذا قوم طرود بما فيهم الرجلان اذ الإقامة مدة سبعة ايام بنفطة كانت لجميع طرود الذين سبقهم الرجلان الى نفطة يسالان عن اخبارها .

لما كان البعض يلتبس عليه الامر فى حال من أحوال الماضين ويقص خبر زمن فى زمان آخر . الزمنا أن ننبه على ذلك ازالة للخطا حيث كنت ملتزما به من قبل السائلين ونصيحة للقارئى .

فمن ذلك ما حكى ان بنى هلال حين دخلوا افريقية مكثوا فيها طويلا ثم انتقلوا حتى وصلوا أرض سوف فوجدوا بها الزناتية ومن جملتهم خليفة الزناتى المشهور فتحاربوا هناك وحفر خليفة المذكور بئرا بقرب الغوط الآن تسمى باسمه الى هذا الوقت يقال لها احسى خليفة . ثم طرد الهلاليون الزناتيين وأجلوهم الى وادى الزناتى ونواحيه .

ويحكى فى هذا الشأن ان رجلا سأل رجلا آخر عن زناته وبنى هلال كيف كانت الفتنة بينهم وما سببها ؟ فأجابه بقوله : انى كنت ذات يوم جالسا فى خلوتى فحدثتنى نفسى بزيارة الشيخ البكرى فى الشام ، فأخذت عكازى وسرت فى البرية حتى وصلت موضعا يقال له ابن قردان بقرب أرض طرابلس . فنظرت فاذا بخيول قد أقبلت على فلما رأونى وعرفونى قال بعضهم لبعض : لا تؤذوه فإنه رجل صالح عليه سمات الخير تلوح . فنزلوا بساحتى واذا بخيول اخرى تتزايد والسواد والنساء لاحثات فى اثرهم ، فعرضونى للاكل فتمتعت من طعامهم واكلت من سويق عندى ونمت هناك الى الصباح . واذا بخيل اخرى قد خرجت من الزاوية التى بطرابلس فلما رأتهم زناته أسرعوا نحوهم . فسالت رجلا عاقلا كان معهم عن هذه الخيل الاخرى . فقال : أولئك بنو هلال ونحن زناته نريد القتال . قلت له : وما الحامل لكم على ذلك من غير موجب ولا سبب . قال لى : يا شيخ البركة ، هؤلاء يقاتلوننا عن أرضنا من غير شيء فعلناه معهم والصائل لا بد من دفعه . وكان مع بنى هلال امرأة جميلة قد خطبها بنو عمها فلم تقبل منهم أحدا . وكان فى قومنا رجل يقال له خليفة بن عمر ذو شجاعة وفروسية ، جميل الصورة ، صاحب اشعار كثيرة وكلام بليغ خرج يفتش على نيق أذهبها الغيم والريح فالتقى بتلك المرأة وكان حولها عشرون بكرا من بنات عمها يجللن عقاصها . فتقدم اليهن خليفة وتأمل فيهن فلما رأيته قلن له : ما شأنك يا فارس . قال لهن : جئت ابحث على ضالة من الابل والآن عثرت على خير منها فلا أذهب من هنا . قالت له تلك المرأة : انك لا تقدر على زمام الناقة وعقالها (كناية عن شروطها) قال لها : أقدر على ذلك ان شاء الله . فان لم تكونى تعرفيننى فأنا خليفة الزناتى الشائع الصيت

فى جميع الآفاق . فقلت له : انطلق الآن وارجع غدا الى هذه الشجرة (شجرة كانت بقربها) وكان اسم تلك المرأة الجازية الهلالية .

ثم من الغد رجع الى ذلك المكان فوجد الجازية واقفة مع صاحباتها وجميع خطابها مختفون قرب الشجرة آخذون أسيافهم بأيديهم ينتظرون قدومه . فأقبلت الجازية وسلمت على خليفة ورحبت به ودعته للنزول لتستريح فرسه فامتنع قائلا لها : لا أنزل ان ظهرها عز والنزول عنه ذل وما من امرأة مثلك فى الحسب والجمال الا ويكثر تابعوها وعدوانها وأظن أن منهم من هو وراء ظهري الآن فيلزمنى الخذر لان قلبى يحدثنى بذلك . فقلت له : اعمل على حسب ما سبق اليه حديث قلبك . فما تم كلامهما حتى أتت اليهما الخيل من كل جانب ومكن فتلقاهم خليفة ، والجازية واقفة تقول له : ان الذين أتوك كلهم خطبوني ولم أقبل احدا منهم وكن حازما فان العمر أيام معدودة لا تزيد ولا تنقص والجبن عار . وعليك بلباس الاحمر فانه ابن عمى وهو رئيسهم فاذا قتلته أو جرحته بقى العدو بلا رأس وتفرقوا . فتقدم اليه خليفة وطعنه فى صدره برمح أخرجه من ظهره فمات . ثم مازال يخرج اليه الواحد بعد الآخر فيقتله حتى بلغ اثنى عشر فارسا . ثم أخذت الجازية فرسا من خيل القتلى وذهب معها خليفة الى بيت أبيها ونزلا بها .

وبلغ الخبر الى الناس فى ذلك الحين . وفى الغد ركب بنو هلال وهجموا على الزناتية وهم هؤلاء كما ترى . . . انتهى كلامه .

أقول : قد نسبوا هذه الحوادث الى عام 797 هـ / سنة 1395 م ولم يوجد فى ذلك التاريخ بسوف من اسمه خليفة تنسب اليه تلك الوقائع . ثم ان خليفة الذى نسبت اليه الحكاية ليس هو خليفة بن عمار وانما هو خليفة بن وروا الزناتى (I) رئيس بنى خزرون صاحب الولاية على طرابلس الغرب عام 417 هـ / سنة 1027 م .

I - ورد فى كتاب « البيان المغرب » ما ملخصه :

وفى سنة 400 هـ . توفى بطرابلس بعلة اصابته وولى مكانه وروا . واطاعته زناته . وفيها رحل ابومناد نصير الدولة بعساكر عظيمة الى طرابلس فى طلب زناته . ودخل نصير الدولة الى قصر فلغل وجاءت رسل وروا بن سعيد اخى فلغل رغبة فى الامان والعفو .

وفى سنة 401 كان موت غرم بن زيرى بن مناد بالقيروان وفيها توفى القائد جعفر بن حبيب .

وفى سنة 402 هـ . قدم خزرون بن سعيد بن خزرون الزناتى اخة فلغل المتقدم ذكره . وكان سبب وصوله اختلاف جرى بينه وبين اخيه وروا ، فقصده الى نصير الدولة ، فقبله احسن قبول ، وكان معه نحو سبعين فارسا من زناته ، فانزلهم واحسن اليهم ثم بعد ذلك بايام اعطاه مدينة فخرج اليها بالبندود والطبول .

ففى المنهل العذب قوله : اتصلت ولاية خليفة بن وروا وقومه من بنى خزرون بطرابلس . وخاطب الخليفة بالقاهرة الظاهر بن الحكم عام 417 هـ / سنة 1027 م ، فاجابه الى ذلك واوفد فى هذه السنة اخاه حمادا على المعز بن باديس بهدية فتقبلها وكافاه عنها . واتصل ملك خليفة بن وروا وقومه من بنى خزرون الزناتيين بطرابلس الى ان وصل العرب (اي بنو هلال وبنو سليم) .

وكان خليفة المذكور فى الحكاية والشيخ البكرى الذى ذهب يزوره الشيخ المدعى بانه رآى حروبهم بعينيه . كان فى حدود عام 1180 هـ / سنة 1767 م . وهب ان خليفة غير هذا فان المكان لا يناسبه لانه ادعى ان ذلك كان قرب طرابلس كما تقدم فى كلامه .

وايضا فما نسبه للجازية من التحيز الى خليفة الزناتى واشارتها عليه بقتل بنى عمها غير معقول لانها كانت من النساء الذكيات العاقلات صاحبات الادراك ، وانما اشترط ابوها ان لا يزوجها الا لمن ظهرت شجاعته وقهر اقرانه فافتتن من اجلها الرجال وتبارزوا عليها فى وقائع عديدة كان الفوز فيها لذباب الهلالى السابق خبره . وقتل خليفة الذى نازعه عليها وكذلك قتل ابا خريبة ومكحولا اخوى خليفة كما جاء ذلك فى كتاب « تغريبة بنى هلال » والمحل الذى وقعت به الحروب كان بنواحي تونس بعد ذلك التاريخ حين تاخر خليفة عن طرابلس وسكن بقومه تونس وما حولها كما قيل .

وقد يؤيد هذا شعر خليفة المذكور الذى بالجزء الثانى عشر من كتاب « تغريبة بنى هلال » ، ونصه :

قال الزناتى والزناتى خليفة تونس مدينتنا ونحن كبارها
من نسل حمير واهل تبع نسبتي نتلو كتاب الله فى اسوارها

وفى سنة 403 وصل الى المهدي مركب فيه هدية جليلة من الحاكم الى نصير الدولة . فتلقاها المنصور مع اهل القيروان على قصر الماء بالبندوط والطبول . ووصلت سجلات منه الى نصير الدولة باضافة برقة واعمالها اليه .

وفى سنة 406 فى صدر المحرم وصل عزم ولفل ابناء حسون بن سنون وماكسن بن بلقين وعدنان بن معصم فى عدة من الفرسان من عسكر حماد فخلع عليهم واحسن اليهم . وفى هذه السنة مات وروا ابن سعيد فى شةال ، فاختلفت كلمة الزناتيين ومالت فرقة مع خزرون ابن عمه ، ووقع الله فيهم الشتات .

وفى رواية اخرى :

قال الزناتى والزناتى خليفة تونس مدينتنا ونحن رجالها
من نسل حمير واهل تبع نسبتي نتلو كتاب الله فى امجالها
قال القدماء : ومن ذلك المحل خرج بنو هلال وبنو زناتة وطافوا اكثر انحاء افريقية وآخر العهد بهم كان فى بحيرة نينى التى بقرب عين البيضاء الان . فقتل ذياب خليفة هناك وجرح فرسه جرحا بليغا حتى صارت تثن منه . فقال لها قائدها : نينى يا البيضاء نينى . ثم ماتت فى العين التى بشمال الجبل بانحراف الى الشرق فسمى ذلك المكان : عين البيضاء . وبنيت فيه قرية تسمى بذلك المحل هى الان أهلة عامرة .

ويؤيد ما تقدم ما هو مذكور فى اول الجزء العاشر من كتاب « تغريبة بنى هلال » ، وما هو فى كتاب « رحلة بنى هلال » من ان الهلاليين وصلوا الى وادى رشاش وانتقلوا منه الى ما وراءه ، وبعد زمن تفرقوا فى الزاب وما يليه . ومنهم بالجريد عائلات وبتقرت وبسوف مع طرود كثير ومع غيرهم اكثر .

والله اعلم بحقائق الامور .

فقال الرجلان لبعضهما : حيث ظهر لنا هذا الخبر من الشيخ المبارك وقد اعجبتنا هذه الارض الواسعة (ى ارض سوف) فعليتنا ان نرجع الى قومنا ونخبرهم فرجعا واخبراهم بجميع ما رايا وسمعا .

ثم ان بعض طرود وهم اولاد احمد اتوا الى محل الوادى الان ونزلوا قرب سيدي مسطور . وفى ذلك الوقت كان سيدي مسطور قد سبق وقد اتى من المغرب ونزل بقرب اهل تكسبت فلم يأنفوا منه ثم انقطع وحده للعبادة بمحل زاويته المشهورة الان بالوادى وكان عند قدمه جعل عريشا (زربية) من حطب وحلفاء يبعد عن تكسبت (تكسبت القديمة) بنحو ميل من الجهة الجنوبية .

والصحيح انه اتى من القيروان كما سيذكر ان شاء الله .

ثم بعد زمن قليل تلاحقت الناس ونزلوا قرب مكان اولاد احمد الان . ففرح بهم سيدي مسطور غاية الفرح واكرمهم . وكان صاحب ماشية كثيرة قل من كان له مثلها فى ذلك الحين . وكان وقت دخولهم الى الوادى عام 800 هـ سنة 1398 م .

وخافهم اهل تكسبت وانتشرت طرود قطعاً قطعاً من محل الوادى الان الى سندروس ووادى العلندى ونواحي الفولية وبورقية . فظفروا بالحجر على وجه الارض واخبروا به زعماءهم فعزموا على بناء قرية هناك او قرب محل تاغزوت الان وهو القداثم . فاشار عليهم زعماءهم بعدم بنائها هناك واوصوهم بجعلها فى مكان قرب تكسبت .

وفى ذلك الحين قدم ايضا من المغرب رجل صالح من اشياخ العلويين (اي المتمسكين بسنتهم) يسمى عبد الله بن احمد ومعه عبد يخدمه . فنزلا على اهل تكسبت ففرحوا بهما واكرموهما لظنهم ان لا معرفة لهما بطرود والحال ان الرجل المذكور (اي الشيخ عبد الله) كان بنقطة وانتقل منها فمر على طرود عندما كانوا بعقلة الطرودى فاکرموه ، وعرف منهم اناسا ثم ذهب من عندهم الى المغرب فاتصل باحلاف العلويين وتمسك بشعائهم وانتقل للعبادة ونبت الدنيا وراء ظهره وترك التزوج . وبعد نحو سنتين وقعت له احنة مع بعض المجاورين فهاجرهم واتى الى سوف . وعند دخوله اليها لم يجد من كان قد عرفه من طرود لتفرقهم فقصد بلدة تكسبت ونزل بها ففعلوا معه ما ذكر من الاكرام . ويذكر البعض ان اهل تكسبت ألحوا عليه بالتزوج فتزوج منهم واختلط بهم وكان قلبه يميل الى طرود ويسأل عن محبيه منهم حتى التقى فاوصوه بكنم ذلك عن اهل تكسبت مخافة ان يفعلوا به شيئا .

انتقال طرود الى الوادى

قال الشيخ العدواني : بعد ان كانت طرود بعقلة الطرودى وابلهم ترعى فى الميتة وابى دخان وكانت لهم سطوة عظيمة وصيت عال وقوة فيخيمة بعثوا منهم رجلين وهما عمارة بن سالم والاسود بن سارية يطوفان فى الارض لعلهما يجدان متسعا يرفع مواشيهم حيث كانت تلك الارض لا تسعهم . فوصلا العجيلة فالتقيا ببعض الرعاة هناك من بنى عدوان فسألاهم عن أرضهم وكلثهم (حشيشهم) وعيشهم فذكروا لهما خيرا . فتقدما الى قصور عدوان فوجدوا بها امة اسمها شحمة وعبدا اسمه شكر وشيخا كبيرا قد عمر مائة وعشرين سنة قد علم اخبار الاولين ونبغ فى الكهانة . وكانت الامة فوق كتيب عال من الرمل وبيدها طبل من نحاس يسمع من بعيد فاذا رات من لا تخشاه ضربته ضربة واحدة واذا رات من تخافه ضربته ضربتين ...

قال القدماء : اذا اتاها عدو ضربته بعنف وقوة واذا اتاها صديق ضربته بلين ورفق .

فلما وصل الرجلان الى العجوز انكرتهما وظننتهما اعداء فضربت الطبل بقوة فخرج قوم بنى عدوان باسلحتهم فلما التقوا بهما راوهما غير متأهين للقتال فلم يقتلوهما وفرحوا بهما . قال لهما شكر زوج الامة : ان كنتما فى حاجة الى الاكل فسأنى لكما بالخبز والماء وان كنتما تسألان عن شيء فاقصدا الشيخ الكبير الذى بالقصر (البلد) . فذهبا اليه وسلما عليه ثم سألهما الشيخ عن قبيلتهما وما يريدن منه فاخبراه بما كان . فقال لهما الشيخ : ان قبيلتكما طرود ستملك فى ارض سوف وستبقى بها ابدا .

ثم وقع خلاف خفيف بين طرود واهل تكسبت بسبب الماء لقلته في ذلك الوقت لانه كان من الغدر ومن حفر في مجرى الوادى (وادى النازية) .

قال الشيخ العدواني : بعد ان اقام طرود في النازية نحو العشرين سنة ومات كبيرهم هناك اوصاهم بوصايا كثيرة منها : اكرموا موتاكم فانكم ان اهنتموهم تهانوا واذا اردتم البقاء في سوف فانزلوا قرب تكسبت فذلك محل بلادكم الى الابد ، واذا اصابتكم نائبة فاستشيروا العقلاء الكبار منكم ثم اذا اشاروا عليكم فلا تخالفوهم فانكم ان خالفتموهم بعد ذلك تهلكوا . . .

قال الشاعر :

لا تستشير غير ندب حازم فطن قد استوث منه اسرار واعلان
فللتدابير فرسان اذا ركبوا فيها ابروا كما للحرب فرسان

وقال حساني بن ثابت رئيس الشعراء :

اذا كنت في حاجة مرسل فارسل لييبا ولا توصه
وان باب امر عليك التوى فشاور حكيما ولا تعصه
ونص الحديث الى اهله فان الامانة في نصه

ثم قال كبير طرود في وصيته : ولا تختلفوا في شيء فان العدو يدخلكم من جهة الاختلاف ويضركم ، واحسنوا لبنى عدوان ليكونوا لكم عوناً على من تعادونه ، واذا نزلتم بالغدر فلتكن كل قبيلة منكم حول غدير ، ولا تضيقوا على بعضكم في المنازل والماء وان نضب عليكم ماء الغدر فاحترفوا في الشماذ بطريق جرى الوادى فان الماء فيه قريب وقد يكون عذبا ، واذا لم تجدوا ذاك فاجعلوا الابار في جميع المواضع التي تحتاجونها زمن الرحلة او الإقامة .

تبييه :

يزعم بعضهم ان طرودا جاؤوا متاخرين الى سوف وان دخولهم كان في حدود عام 1000 هـ / سنة 1592 . وهو غير صحيح بل الحق ما قلناه والصدق ما نقلناه . ففي آخر كراس من تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ما نصه : اخر دولة بنى مرين بوبع الشريف على رضى من الناس واستقل بالخلافة ، وعادت الخلافة في فاس ادرسية كما كانت وانقضت دولة بنى مرين . وفي ثاني عشر لذي الحجة من عام 869 هـ . خرج السلطان بمحلته وذلك في خامس عشر اغشت (اوت) . ونزل بالزعترية وسار الى بلاد ريغ (وادى

ريغ) ومهدم سور بلد تقرت لاجل مخالفتهم لقواده . والزمهم مالا عقوبة لهم فدفعوه ثم سار الى قرب ورقلة فقدم فيها عاملا واخذ منها ومن بلد مزاب مالا جليلا وانصرف قافلا الى حضرية . فوفد عليه في اثناء قفوله حفيده الامير ابو عبد الله محمد المستنصر صاحب قسنطينة وانصرف اليها . وفي اثناء قفول الخليفة من بلاد ريغ فر من المحلة محمد بن سعيد المسكينى ولحق بطرود وطلب منهم اجارته فخشوا وامتنعوا من ذلك الا طائفة يسيرة منهم اجاروه الى ان لحق بمحمد بن سباع بن ابى يونس شيخ الذواودة فاجاروه ومنعوه . . .

فهذا دليل واضح على ان طرودا كانوا بسوف في تلك الاوقات من غير شك . وفي « الخلاصة النقية » ما يؤيد تلك الحكاية وانها وقعت في ذلك التاريخ قطعاً . والله اعلم .

فاخبر سيدي عبد الله طرودا بذلك وعين الزمان والمكان الذي تريد زناتة الهجوم منه فأخذ طرود أسلحتهم وباتوا وقوا ينتظرون وإذا بقوم زناتة من كل حدب ينسلون فتلقاهم طرود بحزم متاهبين . وكان المكان الذي التقوا فيه هو صحن القارة قرب تكسبت الموجودة في وقتنا هذا .

وكان أصحاب الرأي من كل فريق يوعظونهم وينادون بالامساك عن القتال (2) والكف عن الحصار فتأخر كل فريق الى ناحيته .

قيل : قتل أفراد من طرود من بينهم سيدي يوسف صاحب الضريح المعلوم والمقبرة المشهورة (وجد نور على قبره بعد زمان فجعل عليه كوم من خشب كنن بقربه ثم في الازمنة الاخيرة جعلت عليه قبة ثم سقطت الاولى ووجدت) . والصحيح ان سيدي يوسف المذكور لم يكن من أهل ذلك الزمن وانما كان من المتأخرين جدا القريبين من وقتنا . فقد أخبرني شيخ كبير يقال له علي البهلي بأنه عاين ابن سيدي يوسف في الحنقة مجنوبا انتقل بعد موت أبيه بقليل ، والعلم لله .

ثم التقى طرود وزناتة مرة ثانية قصد القتال بمحل ارض القارة الان اعنى بارض القارة الجوفية (الشمالية) لا الارض القبلية التي بحض الماسط شرقا منه .

وقد انداز الى طرود كثير من فريق عدوان وخرجوا في عدة تامة وعدد كبير . ولما رأته زناتة على هذه الحال سرى في قلوبهم الخوف فتراجعوا منهزمين .

ورجع طرود وانصارهم ظافرين غانمين الاسلحة والدروع والثياب عازمين على انهم بعدما يصلحون شؤونهم يرجعون الى قوم زناتة ليخرجوهم من ديارهم ويأخذوها منهم رغما . ولله أعلم .

2 - يقول النبي صلى الله عليه وسلم : اذا التقى المسلمان بسيفهما فالتقاتل والمقتول للنار ، قيل له يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ، قال : انه كان حريصا على قتل صاحبه .

تنازع طرود وزناتة

بعد ان وقع الخلاف بين طرود وزناتة تكسبت من اجل الماء تخوف الاخيريون منهم فنشط بعضهم بعضا واجتمع رأي كبارهم على تدبير مكيدة لطرود ولم يظهروا ذلك لسفهاءهم مخافة التحدث وفشاء الخبر .

فبعث سيدي عبد الله بن احمد الى طرود يخبرهم بما عزمتم عليه زناتة فسرى فيهم ذلك الخبر ونشط القوى الضعيف وان الغنى الفقير لاجل الذرة على رد اعتداء زناتة .

وصار قوم زناتة يتطلعون الفرصة للغدر بطرود ويتجسسون على اخبارهم وعصبيتهم بعد تفرقهم في منازل متعددة . وصار يصعد منهم في الليل جماعة للحراسة فوق كتيب من الرمل يترقبون منه ما يصنع اهل طرود . فسمى ذلك المكان الرقوبة : وهو مكان غوط سيدي سالم العايب (I) الان شرقا من زاويته بنحو ثلث ميل .

فلم يجد جماعة زناتة منفذا لمباغطة طرود لتحصنهم بالعسس في نواحيهم واجتماع أكثر الناس قريتهم . فاشتوزوا على ما يصنعون واتفق رأيهم على مهاجمتهم بغتة في ثلث الليل الاخير من الناحية الغربية لقلة ساكنيها .

1 - سيدي سالم العايب شيخ الطريقة الرحمانية ومؤسسها بسوف ، مقبور بزاويته الشهيرة بالوادي . ومن رجالات هذه الزاوية ايضا المشهود لهم بالخير والصلاح الشيخ سيدي محمد الصالح . فقد وجدت بمكتبتنا نسخة من كتاب قديم اسمه « البحر الطافح » من تأليف والدي تعرض فيه الى فضائل الشيخ المذكور لا سيما الناحية النصوفية . هذا وان الزاوية الرحمانية بالوادي لها فضل يذكر فيذكر في المحافظة على القرآن الكريم وارتفاع عدد حفاظه بالمنطقة .

قيل كان ميلاد الطريقة المذكورة حوالى سنة 1180 م / سنة 575 هـ . اما الطريقة القادرية التي اسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني ببغداد فكانت حوالى سنة 1107 م / سنة 500 هـ .

كانت نتيجة تلك الجلسة طلب الصلح من طرود واطهار الغلبة لهم حتى يطمئنون اليهم فاذا طال الحال وسارت الهدايا من الجهتين تتمكن زناة من خدع طرود وقتلهم بوجه اخر .

فوق الامر كما ذكر واهدى الزناتيون هدايا لطرود وطلبوا منهم العفو عما سلف قائلين لهم انهم يودون قوما ذوى باس شديد يحمونهم ويؤدون عنهم وانهم ما لازموا هذه الارض الا فرارا من اصحاب الظلم الذين كانوا متسلطين على الجريد واستصفوا امواله واذلوا رجاله وخرّبوا مساكنه الرفيعة .

فقبل طرود تلك الهدايا وتركوا ما كانوا عزموا عليه وسكن غيظهم وكثر التردد على كل قبيلة من الاخرى . واتفقوا على ان من يذكر الوقائع القديمة التى كانت بينهم ولو تعريضا يقتل ولو كان سيد قومه وان القبيلة التى تبدأ بالشر يتسلط عليها اصحابها وغيرهم ويخرجونها من الارض رغما .

فدام الحال كذلك نحو السنتين حتى نسيت طرود ما فات واقبلت على اصلاح شؤونها وكان سيدى مسطور يقول لطرود : اياكم والغفلة عن زناة فانهم اذا تمكنوا منكم يقتلونكم واذا لم يقدرؤا على ذلك يكيدونكم بمكيده يهلكونكم بها . فلم يعبؤوا بقوله طانين ان زناة متمسكين بالعهد ويخشون من نقضه كما انه كان يرشدهم فى امور دينهم ودنياهم كما فعل سيدى عبد الله مع اهل تكسبت حتى تركهم واشتغل مع عبده بالتعب فى مكانهم الآن .

وكان سيدى مسطور يقول لطرود : لا تمنعوا احدا اجنبيا اقاكم من السكنى معكم بل اكرموا وزوجوه لتكثروا فتهاكم الناس وايضا فان الولد الذى ياتى لكم من الاجانب يكون اشد بطشا واشجع ممن ياتى لكم من بعضكم لحرارة الاول وبرودة الثانى كما قيل .

اقول : والمراد بالاجنبى العربى لا غيره . وقد اصاب سيدى مسطور فى ذلك القول حيث انه موافق للمعقول والمنقول (4) . فاما الاول فان الانسان اذا تزوج بابنة عمه لا يكون له فيها كبير اغتباط فيأتى مأؤه باردا فيتخلق الجنيين منه فيكون غير نفاع . اما اذا تزوج باجنبية فتكون رغبته فيها اشد

4 - قد اثبت الطب الحديث ايضا صحة هذا الراى اى ان التزوج بغير القريبة فى الدم اسلم لصحة النسل .

خراب تكسبت القديمة

وحيث كان القليل تابعا للكثير وكانت القرية الجديدة التى قرب تكسبت الآن صغيرة جدا يقال انها كقرية سيدى عبد الله الآن أو اقل لم اخصها بترجمة اذ كان خرابها معها كما سيأتى .

قال القدماء : حين بلغ زناة خبر طرود وعزمهم على تخريجهم من بلدتهم وتخريبها ، عقدوا مجلسا لبعض رؤسائهم ومن جملتهم قاضيهم على بن بركة الوصيف (I) وكانوا على دين الرافضة (2) وكذلك طرود فى ذلك الوقت ولم يكن لهم اكتراث بذلك القاضى ولا امتثال لاوامره وانما جعلوه اقتداء بمن جاورهم من البلاد مثل الجريد اذ يقظها الله من نومها واخرجها من ظلمتها على يد سيدى ابنى على (3) السننى قبل سوف بكثير .

1 - الوصيف كلمة تطلق فى الجنوب على الزنجى والجمع وصفان اى الزوج . اصلهم من افريقيا الغربية . كان البرابرة الاولون المعبر عنهم بالتوارق يجلبونهم من هناك ضمن قوافلهم التجارية الى غدامس . ثم صارت قوافل سوف تاتى بهم من غدامس فيوزعون على الاسر للعمل عندها فاندمجوا فى اهل سوف وتأثروا بلغتهم ودينهم وعاداتهم وتكونت منهم اسر ونمى عددهم وتسابعت اجيالهم بسوف ونواحيها الى اليوم . ولهم بعض العادات الخاصة واولياء من جنسهم ينتسبون اليهم . ولهم حفلة تقليدية يحيونها سنويا يطلق عليها اسم حفلة سيدى مرزوق .

2 - اطلق اسم الرافضة على من رفضوا خلافة ابنى بكر الصديق ثم خلافة عمر بن الخطاب على ان على بن ابنى طالب احق بها فى نظرهم . ومن بين الرافضة كثير عزة الشاعر المعروف .

3 - سيدى ابو على ولى صالح من جنس السود المتقدم ذكرهم . وقد عاش بالجريد ومات بها وله ضريح يزار قرب مدينة نقطة .

وماؤه اقوى حرارة فيكون ولده كذلك . والحار يكون شجاعا والشجاع يكون سخيا .

واما الثانى وهو المنقول ، فلامور كثيرة منها قول الشاعر :

الا فتى لاقى العلا بهممه ليس ابوه بابن عم امه

ومنها ما قاله الباجورى فى شرح قول كعب بن زهير فى بانث سعاد :

حرف اخوها ابوها من مهجنة وعمها خالها قوداء شميل

ونصه : اشار بهذا الى كمال قوتها وصلابتها وغاية كرمها ونجاتها لان البهائم الى قراباتها اشهى منها الى غيرها ومتى كانت الشهوة اكمل كان الولد اقوى وانجب . فتقارب الانساب مدح فى الابل لانه فيها سبب للقوة والنجابة بواسطة كثرة الشهوات فى القرابات بخلافه عند الادميين فانه سبب للضعف لان شهوة الانسان انما تتحرك بالنظر الى الامر الجديد الغريب اما المعهود الذى دام النظر اليه فلا تتحرك الشهوة كثيرا معه ولا تتور ثورة حارة عند مخالطته ، ولذلك قال بعضهم :

ان اردت الانجاب فانكح غريبا والى الاقربين لا تتوصل
فانتقاء الثمار طيبا وحسنا ثمر غصنه غريب موصل

وفى الحديث : « اغتربوا ولا تضرعوا » والضوى بوزن الهوى هو الضعف والهزال فى الولد وذلك بتزوج القرابات . والعرب تمدح بضد ذلك قال الشاعر :

فتى لم تلده بنت عم غريبة فيضوى وقد يضىو سليل الاقارب

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا » والضواوى شديد النحافة .

ولا حجة فى قول الشاعر :

بنونا بنو ابنائنا وبنائنا بنوهن ابنا الرجال الاباعد

لان المراد بذلك القرابة والاولوية فى الاقرباء لا المراد بذلك الفائدة التى ذكرناها كما قيل فى سبب ايراد البيت وهو ان المغيرة بن شعبة كانت له بنت جميلة خطبها منه ابن اخيه وابن اخته فقال لهما : كل منكما قريب ولا ادرى لمن ازوجها منكما لتساوى رتبتهما ولكنى اكتب الى عبد الرحمان بن الحكم وافوض له امرها فيزوجها بمن يشاء منكما . فحملا اليه الكتاب فقراه ثم كتب له يخبره بن يزوجها لابن اخيه وفى ذلك الكتاب قوله : بنونا بنو ابنائنا . الخ .

ثم اراد طرود بذه قرية بقرب تكسبت فمنعتهم زناة معتلين بان الارض ضيقة وماؤها قليل فلا ينبغى التزاحم فيها والافضل التبعاد ليجد كل واحد ارضا حول بلده ترعى فيها الحيوانات وتسرح بها الدواجن (جمع داحن) هم الحيوان الذى يالف البيوت) .

فاتفق راي طرود على تهينة الحجر وحرق الجبس فى موضع لا يراهم فيه لزناتيون ويبنون خفية حيث ارادوا واذا تم ذلك لا تقدر زناة على نفضه .

فحرقوا حينئذ الجبس فى سندروس واتوا بالحجر من الفولية وبنسوا لزعماهم ييوتا صغارا اى بيتا لكل واحد منهم فى المكان المسمى الان (البلد) فى حافة السوق الغربية شرقا من منازل اليهود اثنى اثنين فى هذا العهد وكان اليهود وقتئذ ما زالوا بنواحي جلهمة (5) ففى ليلة واحدة اتوا سبع ييوت ولم تعلم زناة بذلك وزادوا فى الليلة الثانية تسع ييوت . وقيل كانت

كان وجود اليهود مبدئيا بشمال افريقيا منذ القرن الاول قبل الميلاد وقد قدموا اليها اثر الغزو الرومانى لفلسطين واستقر البعض بارض الجزائر حيث سكنوا المدن والقرى بالشمال والوسط . ومن مشاهير رجال الدين عندهم شمعون بن اسحاق ومن سلالته طريف الذى شرع ديننا جديدا فى عهد همام بن عبد الملك وقد سبق الكلام عنه فى التعليق عن موضوع الغلويسين ومرورهم بسنوف . ولما كان عهد الفندال بالشمال الافريقى ومحاربهم للاديان ، فر رجال الدين المسيحي الى المنطقة الجنوبية وتبعهم فى ذلك اليهود فتوزعوا على الزاب وبسكرة وتقرت وورقلة وغرداية واخيرا منطقة سوف فنزلوا بقرينى جلهمة وسجبان . وبعد تاسيس مدينة الوادى وقرية قمار انتقلت اليها بعض الجاليات اليهودية . ولليهود بسوف اماكن قديمة تنسب اليهم مثل المكان المسمى شوشة اليهودى . وسيصف اليهودى ونزلة موسى . وقد تناسلت الجاليات اليهودية بسوف مع مرور الزمن وكثر عددهم بالوادى . وكان لهم به حى خاص غربى السوق يسمى حومة اليهود . وكان منهم ربيون وبيعة لاداء شعائر دينهم . واغلب حرفهم صنع الحلى من فضة لؤ ذهب ، وصنع القرداش لنفد الصوف وبيع خمر النخيل واعطاء الديون بالربى وقد امتلكوا من عملهم كثيرا من النخيل وقد قلدوا اهل سوف فى لباسهم وطعامهم وظهروا لهم تواددهم واتباعهم فى افكارهم وعاداتهم بل بلغ الامر بالبعض منهم حتى الى الانتساب فى الظاهر لطريقة من الطرق الدينية بسوف .

التسع فى الليلة الاولى والسبع فى الثانية . ولما فطنت زناة اغتاطوا غيظا شديدا وعزم بعضهم على هدم ذلك البناء فمنعهم كبارهم قائلين لهم : لا تفعلوا شيئا الا بمشورة من له الراى فيكم .

فاختاروا من قومهم عشرين رجلا ثم انتخبوا من العشرين خمسة وكانوا اذا غزموا على التكلم فى امر يبتعدون عن القرية بناحية يتيقنون قلة مآلكيهم . وبنحو ميل او اكثر . فابدى كل واحد رايه ثم قال كبيرهم : ايها الناس ان طرودا ما فعلوا هذا الامر الا لانهم عزموا على ارغامنا عليه . فان الغالب ظلوم . وقد حكى ن ذنبا اتى نعمة رابضة فجلس عند فمها وهى تقطع جرتها (اى تجتر) فقال لها : انت تمضغين وانا لا اطيعق سماع مضغك فاسكتى . قالت له : كان عليك ان تجلس فى مكان غير هذا فان الارض واسعة والفيافي لا حس فيها . فقام الذئب من هناك وجلس عند ذنب النعجة فقالت له : تاخر عنى الى محل اخر . فقال : لا اتاخر فهذا هو الموضع الذى قسمه الله لى . وكان من عادة النعجة اذا مضغت تحرك ذنبها فسقط منه شيء من التراب على وجه الذئب فقال لها : ألم تعلمى بانى قاضى الحيوانات لا اقبل من يشوه خلقتى بالتراب او يتعدى على بشيء فوثب عليها واكلها . والراى عندى ان لا تظهروا الجزع والنفور من مجاورتهم بل اظهروا لهمم البشاشة ورغبتكم فى مساكنتهم غير انكم كنتم اردتم منهم البعد قليلا وحيث لم يتييسر ذلك منهم فلا باس بالبناء بالمحل الذى بنوا فيه . واذا اطمانوا ليكم وطال الامد اجعلوا لهم مكيدة .

فسمعوا كلام كبيرهم . وكان من بين جماعة المجلس الشورى سيدى عبد الله بن احمد . فآخبر رؤساء طرود بما ارسى عليه امر زناة واوصاهم بكتمانه عن علمتهم لئلا يظهر الخبر .

فزاد طرود فى البناء جهرا وجعلوا زرائب من الحلفاء والمرخ قائمة على خشب الازال واشتغلوا بالاسفار الى النواحي القريبة كالجريد والزاب ووادى ريغ خصوصا تماسين كما يسافرون الى ورقلة وغدامس وتارة حتى الى السودان . اما الجهات الاخرى فقليل ما يذهبون اليها لكثرة قطاع السابلة فيها ومرور الجيوش بها وكثرة الاهوال فى ذلك الحين .

فلما طال الحال عزم الزناتيون على فعل المكيدة التى كانوا عزموا عليها سابقا واتفقوا على ضيافة قوم طرود وان يكون ذلك فى وقت العشاء لئلا تظهر المكيدة وقد فكروا فى وضع السم فى الطعام ليموت كل من اكل منه . قيل انهم جلبوا سم ساعة من الاندلس . فنهاهم سيدى عبد الله عن ذلك

قائلا لهم ان طرودا تركوا اذابتكم وواخوكم وازالوا ما فى صدورهم عنكم ويكرمونكم غاية الاكرام . فلم يصغوا لقوله متعللين بان طرودا تركوا اذابتهم لا حين نالوا ما ارادوا .

ثم استضاف الزناتيون طرودا فاجابوهم لذلك ظانين عدم الخديعة وانهم ما فعلوا ذلك الا لتمكين الروابط ناسين ما قد اخبرهم به سيدى عبد الله

فشتغل الزناتيون بطبخ الطعام من الصباح وكانت قريتهم لها سور وبهذا السور بابان وفى كل باب حارس يتفتد احوال الداخلين والخارجين فاذا رآى الحارس ما يشك فيه يخبر اصحاب الشرطة (الحكومة) فيبدون فيه رايهم . وكان اهل الشورى اخبروا اهل القرية بان لا تذهب قصعة الى طرود حتى تمر عليهم (تمر على اهل الشورى ليضعوا فيها السم) .

وكن سيدى عبد الله يترقب الفرصة ليذكر طرودا بصنيع زناة وليتجنبوا اكل طعامهم فارسل عبده اليهم بانزاله من جدار السور الغربى فوصلهم فى الحين واخبرهم بما كان .

فلما بلغ الخبر الى طرود اشتوروا فى الامر واتفق رايهم على ان لا يظهروا ذلك الى الزناتيين ولكن يشيعون انه اناهم خبر بان ابلهم اغار عليها العدو فى الصحراء الشرقية ويظهر فتيان طرود للحاق بها ثم يكمنون فى المكان المسمى الان العلندوى حتى يفوت وقت الطعام ويفسد وعندئذ يرجعون .

فاكثر اهل طرود الضجيج والبكاء واظهروا الحزن بضرب الطبل (وهو قصعة مغطاة بجلد جمل قد تجتمع حوله النساء ويضربنه بعضى قصيرة ويفعلن مثل ذلك فى الاعراس والمواسم ومقدم الغزاة . وكن فى الافراح يولولن اى يزغردن وفى الحزن والتفجع يمينين ويندبن والى الآن يوجد ذلك فى البادية) .

فلما جن الليل اقبل جماعة زناة بالطعام الى منازل طرود وجلسوا حسب وصية كبارهم لينظروا اكل القوم . فاعتذر طرود عن الاكل متعللين بان اكبادهم مجروحة بما حدث لابلهم ولا يدرون ايضا ما حال ابناهم افى الموت ام فى الحياة .

حينئذ رجع جماعة زناة بالطعام ووقع فى نفوسهم من ذلك شيء ولكنهم لم يجزموا فازافوا ذلك الطعام فى حفر عميقة وردوا عليها التراب .

ثم من الغد قدم فتیان طرود وظهر ان امر الابل لم يكن منه شيء فتيقن الزناتيون بأنه اخبرهم بالمكيدة مخبر ولا يكون غير واحد من اصحاب المجلس إذ لم يطلع غيرهم على ذلك الخبر قبل احضار الطعام حيث حذروهم من الاكل منه .

وفهبوا يطوفون حول السور عسائهم يجدون اثرا فوجدوا اثر قدمي (6) العبد اي خادم سيدي عبد الله عندما نزل السور ذاهبا الى طرود وارجعا من حيث نزل . فاتوا الى سيدي عبد الله ولاموه على فعله وتهددوه . قيل وفرقا بينه وبين زوجته . واخرجوه من بينهم فنزل بالجل الذي به زاويته الان وجعل عريشا له وعريشا لخادمه يتعبدان فيهما .

واتضح العداوة بين طرود وزناتة وانقطعت المواصله بينهما . وكانت امرأة من زناتة لها محبة مع رجل من طرود تختلف اليه في بعض الاحايين . فاتته يوما واخبرته بان جهة السور الغربية قد سقطت وانها الان خالية من الحرس . فاخبر قومه طرودا بذلك واجتمعوا في اخر ذلك الليل وجمعوا شتاتهم ثم هجموا على الزناتيين من جهة السور التي سقطت . وكذلك ذهب بعض من طرود الى القرية الاخرى وهم بلا سور وهجموا عليها . فما طلسم انتهاء الا تم لهم ما ارادوا وانجلى جميع من كان بالقريتين من زناته فمنهم من توجه الى نقطة ومنهم الى ورقلة والاكثر الى تقرت .

وخلا الجو لطرود بعد انجلاء زناتة عن الارض فجالوا فيها من غير معترض وانتشرت احياءهم واتسعت مرابعهم واستتب امنهم ولله في خلقه شؤون .

وكان ذلك في عام 818 هـ / سنة 1416 م تقريبا عنهم ان انتهاء تلك الحوادث وحصون الراحة في ذلك التاريخ لا دخولهم لما سبق لك خبره ، والله اعلم .

6 - يبدو مما ذكر ان آثار الاقدام (الجرة) كان معمولا بها لاكتشاف اصحابها منذ عهد البربر بسوف .

دخول بني سليم الى سوف

هم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن عدنان .

وكنوا بطونا كثيرة جواله في افريقية من زمن دخول العرب او بعدهم بقليل اذ الكثير منهم التحقوا بالهلاليين حين دخلوا فكان منهم في نواحي طرابلس بنو ذياب وآل سليما وبنو وشاح والمحاميد الذين منهم غومة المحمودي الذي دخل صحراء سوف كما سيأتي ان شاء الله . وكذلك منهم النوافلة والبركات والبلابيش والبشرة والحوثة وبشرقيهم البهجة والافراد والهندي وبغربيهم النوايل واولاد سنان . ومنهم بداخل افريقية جميع الباقين .

ففي حدود عام 835 هـ / سنة 1432 م اتى جماعة من المحامد وجماعة من النوافلة الى ضواحي القيروان فنزلوا بغربيها .

قال القدماء : بلغنا انه كادت تتألف منهم عصاة تشاqq الحكومة لميل الناس اليهم ووثوقهم بقوة شوكتهم وعدم لينهم فنزلوا على الذواودة مستجيرين بهم عندما بلغهم ان السلطان سيقاقلهم وانه يقبل شفاعاة الذواودة لجاههم عنده .

اقول : كان الوالي في ذلك العهد هو محمد المنتصر بن المنصور بن ابي فارس عزوز او كان ابوه المنصور لكن كلام القدماء يناسب الاول .

قال في الخلاصة النقية : « خرج من محلته ابو زكرياء بن ابي عبد الله وأخوه والتفت حوله الاغراب فوجه السلطان (محمد المنتصر) عسكريا لحفظ

الحاضرة (تونس) واستدعى اخاه عثمان من قسنطينة وكان خلفه عاملا بها ورجع الى الحاضرة وعقد لآخيه المذكور على حرب الاعراب فكانت بينهم حروب طويلة . وقدم اولاد ابي الليل منهم لقتال السلطان ونزلوا بسبخة باب خالد والسلطان على حاله من المرض يركب لقتالهم كل يوم حتى بلغهم قدوم المولى عثمان فاجفلا ولقيهم فهزمهم ورجع ظفرا . ولما رأى الاخوان اختلال حالهما تطارحا على شيخ النواودة فقدم بهما شفيعا الى الحاضرة فقبل السلطان شفيعته ثم اعتقلهما حتى هلكا . . الخ » .

اقول : يمكن ان النواودة شفيعوا فى القادمين ايضا .

وقال القدماء : ثم فى نحو عام 838 هـ / سنة 1435 م ، اجلب المحتشمون بالنواودة على بعض النواحي وانضمت لهم جموع كثيرة فالتمس الوالى من النواودة اخراجهم من ارضه فازتحلوا جميعا الى الزاب وودى سموف ورجع منهم البعض الى نواحي طرابلس . وكان دخولهم الى سموف فى حدود عام 840 هـ / سنة 1437 م . فنزلوا بنواحي الحجرة الان . ثم بعد سنتين بنوا قريتين احدهما كانت بالمكان المسمى الهنشير غربى الحجرة وبانيتهما بكان جبانة (مقبرة) كوينين القبلىة . واكثرهم كان يجعل فى زمن البرد حفرا عميقة كالادار يثقبونها فى جهة ويسكنونها بدل البيوت ويخزنون فيها ما يحتاجون اليه بحيث اذا مر احد بتلك الارض لا يرى فيها إلا قليلا من الناس واذا حدث حادث وصاح صائح يراهم يخرجون من الارض ويغطون وجه البسيطة . وكان البناء بذنك الموضعين قليلا يكاد لا يذكر . وسكنى الظاهرين كانت فى الخيام وزرائب الحلقاء .

وكانوا يذهبون الى طرود فيشترون منهم ما يحتاجون . واختلطوا معهم فى كثير من الاشياء يتاثرون لمصاب بعضهم بعضا . فاذا حلت نائبة باحد من بنى سليم او من معهم يذهب اليهم طرود يتوجهون معهم ويقيمون عندهم الايام العديدة . واذا اصاب بعض طرود شىء يفعل معهم بنو سليم مثل ذلك .

ثم طال أمد السكنى واختلط طرود وبنو سليم ومن معهم وتصاعروا وانتقل كل لمحل الاخر عند رغبته او ارادته القرب من قريته المتزوجة هناك وصاروا جميعا كالقبيلة الواحدة لكن غالب طرود كانوا بالوادى وغالب سليم بالهنشير ومحل مقبرة كوينين ونحوهما ، والله اعلم .

تذييل

قيل : فى حدود عام 900 هـ / سنة 1495 م ، وقع طاعون عظيم بـافريقية تفرق بسببه كثير من ساكنيها بالنواحي القاصية من جملتهم طائفة من بنى مجبور .

قال الشيخ العدواني : « انهم من الهامة اخوان بنى سليم كانت اخبارهم متواصلة مع الذين بسوف . فاتوا اليها وسكنوا حول الهنشير . . الخ » .

اقول : الصحيح انهم من طرود تصاعروا مع الهامة .

وان ذلك الوباء الذى ذكر كان فى ولاية ابي زكريا يحيى بن محمد المسعود ابن عثمان بن ابي عبد الله محمد عام 899 هـ / سنة 1494 م ، ولكن فى اواخر السنة .

قال القدماء : فأقاموا (أى الوافدون) مع بنى سليم على تلك الحالة ولكن حيث كانوا قليل المواشى صرّوا يترددون على الصحراء فكلما وجدوا جملا أو ناقة لا راعى لها أخذوها واستحلوها .

ثم استرسلت العرب من كل جهة وامتلات بهم النواحي فتضجر طرود من ذلك . وقالوا ان فتحنا هذا الباب على أنفسنا لا تجد مواشينا ما تأكله فالرأى منع جميع الوافدين سوى المارين والذاهبين الى جهة أخرى . وتساهموا على من يذهب بقومه لسد الثغور التى يدخل منها الوافدون . فخرج سهم حامد فى موضع الزقم الان وسهم شباط فى الكتف ونواحيه ، وسهم حمرون بن خليفة فى موضع عميش وسفير فى الطريفوى وزيد فى جهلة وسهم بنى مجبور فى بوحمار حيث صاروا من أهل سوف

وحصنوا تلك الاماكن بالحراسة والسلاح وصاروا يمانعون كل وارد ثم اتفقوا على رأى آخر وهو انهم يسألون القادمين فان كانوا ممن لهم قرابة بهم يتركونهم يدخلون ويسكنون حيث أرادوا أو يقسمونهم على المنازل ، وان كانوا أجنبيين يمانعونهم .

وعندما تكثر الناس جددوا القرعة على الثغور المذكورة مرات عديدة كان آخرها انتقال حامد من الزقم الى الميتة وترك أولاده بها ومات هناك ورجعت زوجته فى خبر يطول ذكره والقصد هنا الاختصار ، ولله أعلم .

خروج بنى سليم من سوف

حكى لى المرحوم نصر بن فطحيزة القرغاني (I) انه كان يجتمع كثيرا بشيخ من الربيع قد عمر فوق المائة سنة وكان كامل العقل صحيح البصر فيخبره عن أحوال سوف تفصيلا وترتيباً كأنه حضر مع جميع من دخلها ، ومن جملة ذلك سألته عن سبب الشحنة التي وقعت بين مدائش سوف . فقال انه حين تساعمت طرود ومن معهم على سد الثغور وكان لبنى سليم وبني مجسور الذاحية الغربية . واتفقوا كما ذكرنا سابقاً على ان من كان منهم يسمحون له بالدخول ومن ليس منهم يمانعونه ، ومن يخالف ذلك يطرد . فأتت جماعة من جهة الغرب لبسوا منهم فنزلوا على بنى سليم وقدموا لهم بعض الهدايا كانوا اعدوها لهم من قبل .

فاوصوهم بالخفاء نسبهم وان يظهروا الانتساب لبني هلال الذين بالزاب ففعلوا .

وكانت طرود ترسل كل شهر رجلاً اميناً يطوف ويتفقد المراكز . ففى تلك المرة عثر على اولئك الناس ، فعرفهم من لغتهم فانكروا واختل الرجل ببعض صبيانهم فسألهم فعرف الحقيقة .

فرجع الى طرود واخبرهم بالامر فكبر عليهم ذلك حيث كان صادراً من اسمهارهم بنى سليم .

I - نصر بن فطحيزة : من قبيلة القرغين ، فصيلة الشراعية عميرة الفطاحزة كان من جملة القدماء والشيوخ الكبار الذين كانوا بقيد الحياة أثناء قيام المؤلف بهذا التأليف .

وحيث لم يرضوا بقتض ما كانوا يرمونه طلبوا من بنى سليم ومن معهم الخروج من ارض سوف . فتعلل بنو سليم بعدم القدرة في ذلك الوقت وطلبوا التأخير الى زمن قريب فامهلوهم .

ثم سعى بنو سليم الى بنى حامد رؤساء الثغر الشرقي وبنى زايد رؤساء الثغر الجوفي واعطوهم شيئا من المال . وكانت مصاهرتهم معهم اكثر من غيرهم . وعليهم صدق قول الشاعر لصاحبته :

هل تعلمين وراء الحب منزلة تدنى اليك فان الحب اقصانى
فاجابته بقولها :

اجعل شفيحك دينارا تقدمه ان الدراهم تدنى كل انسان
فاجابوهم لذلك بشرط ان لا يقاتلوا معهم ن افضى الامر الى ذلك فقبل الطالبون شرطهم .

فاقوى الحامون الى اخوانهم طرود وطلبوا منهم العفو عما حدث من بنسى سليم واطهروا لتعصب مع اصهارهم لكن طرودا ابوا شفاعاة اخوانهم قائلين لهم : ان شاء بنو سليم الرجوع الى موطنهم فليكن مرة اخرى .

وارتحل بنو سليم الى الجبل الذى بنواحى سيمى عبيد . والتحق بهم بنو حامد وذهب بنو زائد الى الزاب الغربى ونواحى الاغواط ولم يبق بسوف الا طرود ومن كان على شاكلتهم من مخالط او مصاهر (2) وكان ذلك فى حدود عام 912 هـ / سنة 1507 م .

ثم بعد زمن فسميح ضاقت انفاس طرود الذين صاروا تحت الحكم بعد ان كانوا لا ولاية لاحد عليهم وخاطبوا طرودا فى الرجوع الى ارض سوف فاذنوا لهم فرجع كل من كان فى محل الى محله الا بنى سليم فلم يرجع الا النزر اليسير . ورجع بنو مجور الى منازلهم .

وصاروا يبحثون عن الحفر التى كان طمها طرود سابقا عليهم يجدون فيها بعض النقود . حكى له (3) ان بعضهم استغنوا من ذلك ومن جملة ما وجدوه

2 - فى هذه الحادثة خرج بنو سليم من سوف وتبعهم بعض من لهم بهم صلة وثيقة من طرود لا سيما اصهارهم مثل بنى حامد وغيرهم الا انهم سئموا فيما بعد العيش تحت سلطة الولاة بالزاب وغيره فعادوا الى ارض سوف حوالى سنة 1530 م .

3 - يعنى ان الشيخ الكبير من الربائع حكى للمرحوم نصر بن فطحية .

بجهة منازلهم الغربية الجوفية كانوا صغيرا وجرا با فيه كثير من الجواهر الثمينة . وحكى له انه رأى يعينى راسه عند احد المساطين على سوف صابغة جوهرتين كبيرتين وسمع من احد الثقات الذين ببنى مجور على الجراب . وجدوا فيه فقال : لا اقدر ان اقوم ما فيه ولكن الذى ظفر به اعطى لمن رآه كى يستره نحو المدين من الجواهر باعها بالف درهم وكان لا يعرف لها قيمة .

قليل ذهب ذلك الرجل الى تونس ولم يعد الى هذه الارض .

وكان رجوعهم واستقرارهم فى حدود عام 936 هـ / سنة 1530 م . والله اعلم .

ارجع الشهابي الرسول الى طرود قائلا لهم : اني على وشك القيام ولا يتخلف منكم الا العاجز وحين سمعوا تساهموا على من يذهب ومن يبقى يحفظ الارض ومن يكون رئيسا على كل قبيلة .

ثم تجمع منهم خمسمائة فرس وثمانمائة رجل وذهبوا . ولما وفدوا عليه وجدوه نازلا بعبدة وهو محل قرب الكف فاهتز لهم فرحا وسرورا ثم قام مرحبا بهم وقال لهم : ياطرود من نصرتموه انتصر ومن كسرتهم انكسر قليلكم كثير وكثيركم لا حد له .

وكان مع الشابي جنود عظيمة وخيل وابل سدت النواحي .

فاتاهم الوالي بجموع كثيرة ملفقة من العربان وتقاتلوا بذلك المكان مرات عديدة فهزموه الى ان دخل سوسة .

وبعد ايام يسيرة اعاد الكرة على القيروان فوجد الجيوش قد احاطت بها من كل جانب ومكان فتحه . فراه طلائع الشابي فاخبرته به . فامر الشابي الاقوام باقتطاع اثره حتى يقتل او يؤخذ اسيرا . فذبحوا به في فيافي الحاجب وتقاتل الفريقان مات فيه من كلا الفريقين خلق كثير . واجر الحال تاخر قوم الشابي . وفي أثناء ذلك قال الطروديون لبعضهم بعضا : ان العار في انهزامكم حيث تق الرجل (اي الشابي) وثق بكم واستنجدكم من مكان بعيد للشباب والفوز ، فالموت دون الرجوع . وحلفوا ان لا يرجع احد منهم الا اذا كان ظافرا وحملوا حملة صادقة على جيوش الوالي فهزموهم ثم تتبعوا اثرهم ياخذون الغنائم والاسارى .

ولما تسامعت جنود الشابي بخبر طرود كروا راجعين فوجدوا الامر قد فاتهم .

وحملت تلك الغنائم الى الشابي فاعطى قسمة منها الى طرود والقسمه الماقية الى جيوشه ولم تقبل طرود بالقسمه فانصرفوا بغيتهم الى سوف كازمين على عدم نصرته مرة اخرى .

ولم يذكروا لهذه الوقائع تاريخا . ولعل ذلك كان في حدود عام 942 هـ / سنة 1536 م ويرجع ذلك ما في كتب المؤنس :

وفد طرود للشابي (1)

حكى القدماء وكما قال الشيخ العدواني : كان بعض الافراد من طرود يترددون على القيروان لمعارف لهم هناك ويأتون ببعض السلع ولا يكون ذلك الا عند حصول الهدوء في الطرق وتكون العير التي معهم يخفيها نحو الحسين او لتستين رجلا شاكين السلاح مخافة من قطاع السابلة . ف وقعت معرفة بين الشابي ورؤساء التجار واستخبرهم عن قومهم وقوتهم ومقدار نفعتهم فذكروا له فخرا كبيرا . وكان الشابي يشعر بمباديء الشر بينه وبين الوالي حيث وقعت وحشة بينهما سابقا . ثم كثرت الشكوك والوسواس بينهما فعاد الحال الى ما كان عليه .

واهدى الشابي لاولئك الجماعة هدايا واتفق معهم على انه اذا اراد القيام على الوالي وقصده بسوء يكونون عونا له عليه وذا فعلوا يجرى لرؤسائهم مرتبات ويعطى عامتهم ما يرضيهم ويخصهم بالغنائم ان كانت . ففرحوا بذلك وعادوا الى قومهم فآخبروهم بخبر الشابي ثم بعثوا رسلا الى الشابي يجيبونه بقبول طرود لطلبه .

1 - حسب القرائن التاريخية ان وفد طرود هذا كان في عهد ولاية المسمى عرفة بن احمد ابن مخلوف الشابي اعنى في عهد الابن الثاني لاحمد مؤسس الفرقة الدينية بالقيروان وجد الشابين . فقد ولد احمد بن مخلوف بقرية الشابة في النصف الاول من القرن الخامس عشر . وكان شيخا صوفيا مثقفا انتقل الى القيروان وتولى امامة احد مساجدها فنال شهرة واسعة وثقة كاملة الامر الذي جعله يحصل في تلك المناطق على جمهور كبير من الاتباع والانصار وبالتالي الرئاسة عليهم . وبعد ان توفي احمد بن مخلوف سنة 1482 م . خلفه ابنه الاكبر محمد الذي لم تدم مدة رئاسته سوى قرابة الثلاث سنوات . ومنه تولى الرئاسة الابن الثاني عرفة بن احمد بن مخلوف الذي عمل جامعا لاجل المحافظة على استقلال ولاية القيروان سياسيا من تنافس الانراك والاسبان على الوطن بعد اضمحلال الدولة الحفصية .

• ان السلطان الحسن بن ابي عبد الله محمد بن الحسن بن محمد المسعود كان بعد سنة الاربعاء جمع عربانا وجموعا وخرج الى القيروان لقصد افتكها من يد المشايخين فلما قرب منها خرج اليه اهل القيروان فانهمز هو ومن معه واتخذت امواله ورجع مكسورا

وسنة الاربعاء في عام 941 هـ / سنة 1535 م ، كما ذكر ذلك نفس الكتاب وما في كتاب الخلاصة النقية في آخر ترجمة الحسن المذكور وخير الدين وهو ان الحسن خرج الى اخذ القيروان من الشابي فهزمه فركب البحر الى اسبانيا النج والله اعلم .

غرس النخيل بسوف

كان اهل سوف في الزمن القديم يمتارون التمر من الجريد ونفزاوة وفزان وتماسين وورقلة وتقرت (I) ويأتون ببعض الحبوب من الزاب وبعضهم يجعل فدادين بوادي الجردانية وحوله عند تكثر الامطار . والى الوقت القريب توجد آثار الحرث هناك .

وكان سيدي مسطور قبل انتقاله الى الدار الاخيرة يشير عليهم بغرس النخيل ولم يمتثلوا وعند ارتحاله اوصى بنيه بذلك فتماطلوا .

وبعد زمن رأى احدهم اباه في المنام يحفر قرب زاويته فسأله عن ذلك فلم يجبه ففهم منه غضبه عنه فتلطف معه حتى اجابه بانه سيغرس نخيلا .

فاستيقظ الابن مرعوبا من ذلك ثم توجه الى الجريد من حينه واتى منه بغرسات وكانت الارض التي قرب الزاوية ثمادها (طلوعها) قريب ، فحفر قليلا وغرس الغرسات من غير تعب ولا كلفة في المكان المعروف الان بغوط سيدي مسطور .

قيل كان ذلك بواسطة ابنه مسطور بن الهادي بن مسطور .

ثم راته الناس فاتبعوه وفعلوا كفعله وما زال يتزايد شيئا فشيئا حتى امتد من الوادي الى الجهة الجوفية ثم امتد الى الناحية القبلية حتى وصل عميشا .

I - يقال ان الاسبقية للبرابرة في غراسة النخيل بالصحراء بدليل ان اسماء كثير من التمور هي اسماء بربرية مثل : تنصليت ، تفزوين ، تفرزات . الخ قد يكون ذلك صحيحا بالنسبة للنخيل بالجريد ، وفزان ، وتقرت ، وتماسين ، وورقلة . اما بالنسبة لارض سوف فالراجع كان بعد دخول العرب .

ثم ازداد عرضه مشرقا . وكان كالخط لا يزيد على غوطين او ثلاثة من الغرب الى الشرق واقتفت آثارهم بقية مداشر سوف . وما زال يتفرع ويزيد الى زمننا هذا .

قيل كان ابتداء غرس النخيل المذكور في حدود عام 946 هـ / سنة 1540 م . لانهم يذكرون ان ذلك كان بعد قفولهم من الشاذلي بنحو اربع سنين . وكان سيدي الهادي الذي فعل ذلك عمر مائة وثمانية . ولما راجع ان ذلك التاريخ كان زمن الغرس عند عامة الناس . واما الابتداء الحقيقي فكان في زمن سيدي مسطور الاول لا في زمن مسطور بن الهادي المذكور وذلك ان الهادي كان يسافر الى غدامس . فلما احل بها في بعض الاحيان وجد فيها غرسات اتوا بها من فزان فاشترى منها غرستين او ثلاثا وجاء بها فغرسها . ثم ارسل مرة اخرى ابنه مسطورا الى الجريد فأتى له بغرسات من نوع اخر وهذا كله من كلام القدماء . كما يقولون ان الفزانة التي سقطت في الاعوام الماضية والفزانة الموجودة الان هما اللتان اتى بهما الهادي .

أقول : الا ان تكون الاثنتان الاوليان سقطتا منذ زمان وهاتان اخريسان استنبتوهما منهما . والله اعلم بالحقيقة .

مرور المغاربة بسوف (1)

في حدود عام 1016 هـ / سنة 1608 م اتت الى سوف طوائف من المغرب (هل الاندلس الذين كانوا بها بعدما فروا من ارضهم) حين استولى عليها الاسبان (السينيول) فنزلوا فيما يقال بنواحي سيف المنادي لكي يستريحوا بها زمنا ثم ينتقلوا الى الحضر اذ لا يقدرون على سكنى البادية دائما لتمكن الحضارة منهم . وبعد حين ارتحلوا الى تونس . فلما نزلوا بها فرح بهم واليها عثمان داي ووسع لهم كنفه واباح لهم ولاخوانهم الذين جاؤوا من طرق اخرى بناء القرى في مملكته ، فبنوا نحو العشرين قرية ، وفرح بهم اهل تونس فرحا كبيرا وتعلموا ما عند الاندلسيين من الحرف والصنائع وضرب الالات المطربة ، وتخلقوا باخلاقهم في الحضارة والمدنية والتعرف والرفاهية ، وكان لقدومهم على اهل تونس فضل كبير الى يومنا هذا .

1 - هؤلاء المغاربة هم ممن قدموا من الاندلسيين واستقروا بالمغرب بعد سقوط الاندلس من يد العرب سنة 807 هـ/ سنة 1492 م وخروجهم منها .

ففي سنة 1479 م عزم ايزابل الكاثوليكية على ان تقضي نهائيا على بني الاحمر وتخرج المسلمين جميعا من ارض الاندلس وكان الشقاق بين هؤلاء المسلمين مما ساعد ايزابل على تنفيذ ما عزم عليه ، وبعد ان انتزع فرديناند زوج ايزابل بعض المدن 6 استسلمت له غرناطة بعد معارك ضارئة وحصار طويل سنة 1492 م وبعد التجا صاحب غرناطة ابو عبد الله الى فاس حيث قضى ايامه الاخيرة ، وانتقلت اثره جموع غفيرة من المسلمين الى المغرب كذلك فزهت على ايديهم الحضارة بها .

فجلفوا هناك لبعضهم ان لا يردوا امرا طلبه منهم فاعل هذا الاحسان ولو قتل ابناؤهم . ثم ايام الضيافة الثلاثة يؤتيهم فى كل يوم منها شيئا لم يروه فى اليوم الاخر ويسمعهم من الآلات الاندلسية ما لم يسمعهم فيما قبل . ويأتيهم الباي بنفسه ويلطفهم . وبعد انقضاء ذلك اعطى كل واحد من الرؤساء عطية لم يطلع عليها غيره . فاعربوا له عن قسمهم السابق وما عزموا عليه من الموافقة له فى كل ما يريد فطلب منهم دوام التخاطب بينهم وبينه وعدم التراخي فيه .

فرجعوا مسرورين فوجدوا اهلهم يترقبون اخبارهم لتخوفهم عليهم . ولما قدموا لاموا ابناؤهم سيدي مسطور عن اشارتهم السابقة وانهم لو اطاعوهم لفاتهم هذا الخير الجزيل وهذه المعرفة التى لم تحصل للاقربين عنده . فقال لهم الملامون : ان الملوك اذا زرعوا درهما يحصدون منه الفا واذا لطفوا شخصا فليجزم بانه سيوجه الى قطع راسه . وما انتم الا كما قال القائل فى حق النعام : (اشبعنى بالقول واقطع راسى) وسترون مغبة هذه الزيارة والاكرام . فهزؤوا من قولهم غير مكترئين برايتهم وتديبرهم . وفرحت نساؤهم وصبيانهم وحسبوا ان ذلك وقع لاجل تعصبهم وشجاعتهم حيث لم يرضوا بترك حقوقهم ودافعوا من اراد مسهم .

وكان ذلك عام 1038 هـ / سنة 1629 م .

ثم استمرت المودة والمراسلات بين الفريقين . والان عثرت على ورقة فى كتب سيدي عطاء الله بن الجديدي موجهة من قبل الباي لكن وقع مطر فى معظم الصحيفة . ويظهر منها بعض التاريخ وبعض الكلمات واحد المخاطبين بذلك يقال له عيسى سالت عنه من اية قبيلة هو فلم أجده عند احد خبرا . والله ولى الامر له الحكم واليه ترجعون .

اكرام الباي لاهل سوف

لما ان بلغ خبر اللجنة التى خرجت للتحديد الى الباي وما وقع لها مع اهل سوف وكان يؤمل امالا منهم سياى ذكرها لما يعلمه منهم من الجرأة والجسارة مع غيظهم من الشابين الذين بالقيروان من اجل عدم ارضائهم باعطائهم الغنائم التى كانوا حازوها ، بعث الباي لهم رسولا يبنى على فعالهم ويشكرهم على صنيعهم وقدم لزعمائهم هدايا اتى بها لهم والتمس منهم جماعة يذهبون معه كي تتمكن الروابط بينهم وبين الباي ويزول ما كان سابقا ويصيروا اهل حظوة عنده ومنزلة عالية وربما قلدهم بعض الوظائف السامية فاهتز القوم لذلك وقبلوا تلك الهدايا شاكرين فضل الباي وفرقوها فى العامة .

واستشاروا ابناؤهم سيدي مسطور فى الذهاب وعدمه فاشاروا بعدم الذهاب والاعتذار عن ذلك قائلين ان الباي ما صفح عن فعلكم وجعله نسيا منسيا وشكر صنيعكم الا وقد عزم على امر مهم منكم ، وهو احد شيئين : اما قتل اشراكم او حدث له امر يريد ان يوجهكم اليه لعله بعدم رجوعكم حتى تموتوا فيه او تسهلوه .

فلم يصغوا لقولهم وتوجهت جماعة مع الرسول المتقدم ذكره وحملوا معهم عشرين جملا مهريا تارقيا (طارقيا) مذلا مؤدبا هدية للباي .

فلما قدموا جعل لهم حفلة عظيمة واكرمهم اكراما لا يستحقه امثالهم (I) وانزلهم قصورا عالية وبسط لهم فرشاً وطبقة والبسهم لباس الخز والديباج .

I - قول المؤلف « اكراما لا يستحقه امثالهم » . تعبير ينم على انه ايضا مثل ابناؤهم سيدي

مسطور غير راض على ذهاب الجماعة . اكرم يكن على قدر المكرم اي منزلة المؤلف يصدر الله اكرمهم الله الله الى الله في اكرام امثالهم

احترافه يقال خرج منهم زهاء الالف رجل ممن لا يتاخر او يجبن عند اشتداد
البأس ، واضطرام نار الحرب واشتباك الملاحم .

فلما قدموا اهتزت لهم الناس وذكروهم باحسن ذكر وانشدت بين ايديهم
وقدمت لهم اسلحة دولية واجريت لهم نفقات يومية ، وامروا بالتنظيمات
الحرية لا التقدعات الفوضوية .

فخرج لهم عبد الصمد الشابي في جنود مجندة وتحارب الفريقان أياما كان
النصر في آخرها حليف حمودة باشا . وقتل من الفريقين خلق لا يحصى .
قيل ان الذين ماتوا من أهل سوف نحو المائة نفر والى الآن يسمى القدماء
ذلك العام عام المجزرة . ويسميه أبناء سيدى مسطور عام الطمع يعنون انه
لولا طمعهم فى الاحسان او الفنائم لما وقع لهم مثل ذلك لكن البعض يدعى أن
ذلك ليس من أجل طمع بل من أجل عدم وفاء الشهابيين بالعهود معهم ومعاملتهم
بما يأنفون منه .

وخرجت دريد عن الشابي وانضمت للباى وكذلك جميع ورغبة وما حول
ذلك من العربان .

ويزعم القدماء ان هذه الواقعة كانت بعد اكرام الباى بعام واحد والصحيح
خلافه . وانما ذلك عام 1041 هـ/سنة 1632 م . أو بعد ذلك لان حمودة بن مراد
صاحب هذه الفعال تولى فى هذا العام وهو الذى لا شك فيه البتة .

جاء فى الخلاصة النقية ما نصه : فى عام 1041 هـ/سنة 1632 م ، نزل
مراد باشا لابنه حمودة باشا عن سفر الامحال ثم مات مراد فى عامه وقام
حمودة بمنصبه فمهد التواحي وقمع الثوار ووقع بالشيوخ عبد الصمد الشابي
وانتزع دريد من يديه وهم العرب الداخلين ايام المعز بن باديس وأضافهم
لرعيته ورسم منهم طائفة عظيمة فى ديون جنده وأضد ورغبة أيضا لرعيته .
وأخذ حمة قابس من أولاد سعيد بعد حصار عظيم ، والكاف من بنى شنوف
وهم المتسببون فى الحرب بين تونس والجزائر على الحدود وهو أول حرب
معهم الخ .

وفى هذا الوقت أتت بعض اعراب دريد مع طرود فدخل بعضهم الوادى
وبعضهم بقى مع بنى سليم الذين ينزلون أحيانا الى الميتة ويصعدون الى الجبل .
أما الاولون فاختلطوا بأهل الزقم . وسيأتى تفصيل الجميع ان شاء الله .
والله أعلم .

اعانة طرود للباى (1)

بعد ان اشتدت الروابط بين طرود والباى وكثرت الهدايا من الجانبين
من هنا ومن هناك صار الباى فى كل مرة يلقي لهم شيئا من حكايات الشابي
رئيس القيروان ويذكرهم فيما وقع لهم مع الشابين قديما .

أقول : الباى الذى يذكرونه هو يوسف داي ومن بعده حمودة باشا اقنة
لان تاريخ تلك الحكايات ينطبق عليهما ويسمى الاخير محمد بن مراد . والله
أعلم .

وكانت لطرود علاقات مع دريد وكلما ذهبوا او آباو ينزلون عليهم فيكرمونهم
للعلائق القديمة التى كانت بينهم زمن دخول العرب (بنى هلال وسليم) . كما
ان لوالى المذكور يحرضهم على استمالة دريد اليه فيفعلون حتى صار بعض
رؤسائهم يذهب معهم كل مرة ويرجع بفوائد جسيمة وهدايا عظيمة .

فلما احس الباى بالتمكن اخذ من زعمائهم العهد على انه اذا وقع بالشابي
ونكل به يخرجون عن طاعته وينضمون اليه ويصيرون من قومه واتباعه .
كما انه اخذ العهد عن طرود فى الاعانة على الشابي اذا حاربهم . ورجع كل
لقومه مخبرا اياهم بما كان منتظرا .

ففى زمن قريب اتى المستغيث الى سوف فخرج غالب طرود وبعض من
غيرهم ممن لديهم علاقة او يحمله الطمع فى الاحسان او الغنيمة لقره وقله

1 - كانت الحادثة هذه فى عهد ولاية عبد الصمد بن محمد بن عبد اللطيف بن ابي الكرم بن
7 احمد مخلوف الشابي وعبد الصمد هو احد اخوة سيدى المسعود .

وررائب أو خيام من الشعر أو الوبر . فلما ان كانت البلدة على هذه الحال ضربت الرياح تحت جدران السور فلم تطل مدة اقامته فتهدم . خصوصا ناحيته الغربية فانها ما دامت سوى العشرين سنة فقط . وانتهب الناس حجارته لبناء بيوتهم اذ تلك تقوم مقام اللوس والتافزة .

وفي تلك الازمنة كثر تجمع الناس في أماكن القرى الآن ولكن البناء بها قليل كما في الوادي الا كوينين والدييلة وسيدى عون والله اعلم .

بناء سور الوادي

بعد رجوع طرود من واقعة عبد الصمد الشمايى وقد مات كثير من رجائهم تسامعت بهم بنو سليم الذين بالجبل ومن انضم اليهم فأرادوا الاغالة عليهم والنكاية بهم في مقابل تشريدهم من سوف قديما .

فبلغ الخبر لطرود فخشوا مهاجمتهم بفتة فاتفق رأيهم على بناء سور حول الوادي . فجمعوا من الحجر والجبس ما يكفيهم لذلك وابتدأوا بناءه من مكان حوش حمه عمار الآن الذى بأولاد أحمد وامتد شمالا نحو حوش يوسف بن مسطور غربا وحوش الضوابة وجعل بابه الشرقي في موضع غوط السردوك غربا . وإلى الآن يسمى ذلك الموضع باب السور والحال ان السور قد ذهب منذ زمن مديد . ثم امتد شمالا أيضا في وسط السوق الكبير قاطعا محل بيع الحطب والحلفاء نصفين . وإلى الآن يوجد بعض من حجر أساسه هناك . وكان انتهاؤه جوقا في طريق حوش محمد القروي بن الشيخ على بن مصباح في باطن غوطة الغربى . ثم أمتد السور غربا إلى طاحون بلقاسم بن موسى وجعل بابه الشمالى شرقا منها بقليل وانتهى في موضع حوش محمد الصغير بن بديدة وامتد قبلة إلى حوش الطاهر بن الحاج سعد بن حميدة فكان بابه الغربى هناك وانتهى غربا جنوبا من الجنان الكبير وجوقا من هود الفقيرى . وامتد شرقا إلى حوش أولاد النينة فكان بابه الجنوبي بقربه شرقا منه حتى وصل البناء إلى الموضع الذى ابتدا منه . وكان السور عاليا عريضا وبوسطه دكانات للجلوس عليها . فكان تمام بنائه في نحو مدة عامين أى عام 1044 هـ/سنة 1635 م تقريبا .

ومع هذا السور فإن البلدة كانت غير منتظمة البناء بل أكثرها زرائب من جريد النخيل مع الحلفاء القائمة على خشب الازال أو خشب النخيل . والمنازل التى بها متفرقة في مواضع متعددة . وبعض الديار بها بيوت معها زروب

وكانت للشيخ سيدي مسعود الشابي معرفة مع بني شباظ خصوصا بني مناع الذين في توزر وابناء ابي الوفاء في الشباظ الذي قسم مياه الجريد قسمة لم يروا مثلها الى الان .

اتيان سيدي المسعود الى سوف

قيل انه بعد ان قسم مياه توزر ارسل له اهل نفطة فاتاها ونزل بالجانب الشرقي . فخشى اهل الجانب الآخر ان يميل عنهم في القسمة فقصوا ذنب فرسه فلما رآه على تلك الحال رحل قبل القسمة فلحقوا به في المنصف (مكان بين نفطة وتوزر) وطلبوا منه الرجوع فامتنع وقال لهم ان اهل الناحية الشرقية يزيدون في الصيف لاهل الناحية الغربية اربعين يوما (اي اربعين نوبة) وانتقل الى توزر .

قال الشيخ العدواني : هو المسعود بن محمد بن الشابي بن عبد اللطيف ابن ابي بكر بن احمد بن مخلوف بن علي بن محمد بن مساعد بن سليمان بن مروان بن عبد الغني بن حسن بن اعيد بن جميل بن ليث بن عبد الله بن اعيد الرحمن ابن عبد العزيز بن سهم بن هنيئ بن تانير بن داود بن هذيل بن اعيد الرحمن ابن عبد الله بن مسعود صاحب رسول عليه الصلاة والسلام بن الحارث ابن مخزوم بن صلة بن كاهل بن الحارث بن ايم بن سعد بن هذيل ابن مدركة .

وفي مدركة يجتمع نسبه بنسب النبي صلى الله عليه وسلم .

والعهدة على الشيخ العدواني في هذا النسب اذ ليس عندي في هذا مرجع آخر (I) .

1 - فيما يخص نسب سيدي المسعود الشابي فقد عثرت على وثيقة قديمة في ذلك لدى احد ائجانه وهو السيد احمد الامين بن محمد الشابي . وقد اضاف السيد احمد الامين الشابي للوثيقة سلسلة الآباء الذين بهم يتصل بجده سيدي المسعود فصار مسلسل النسب ابتداء من السيد احمد الامين الشابي المذكور كما يلي : احمد بن محمد بن ابراهيم بن احمد بن عمار بن رمضان بن بورقة بن بنجد بن احمد بن علي بن المسعود بن محمد ابن عبد اللطيف بن ابي الكرم بن محمد بن احمد بن مخلوف بن علي بن مساعد بن سليمان بن مروان بن عبد الغني بن حسن بن اعيد بن حميص بن الليث بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن سهم بن هنيئ بن تانير بن داود بن هذيل بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود (صاحب رسول الله (ص) بن الحارث بن سبيح بن مخزوم بن ضاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة وفي مدركة يجتمع نسبه بنسب النبي (ص) .

سمى الشابي : نسبة الى الشابة وهي مكان قرب المهدية بتونس وقد تزعم سيدي المسعود طريقة دينية تدعى الطريقة الشابية سميت فيما بعد الطريقة الزروقية لها اتباعها وانصارها . ومن بين اعضاء سيدي المسعود ومساعديه المقربين اليه الشيخ علي درباز شهر الآن دربال والمقبور ازاءه بشاشار . وللشيخ علي دربال هذا زاوية ايضا بعيش قرب الردي وابناؤه بها الآن ويعرفون بأولاد دربال او الدرايلية .

اما والد سيدي المسعود وهو محمد بنور فقد مات وقبر بضاحية العاصمة الجزائرية (بلكور) ومن بين اخوة سيدي المسعود عبد الصمد الشابي وله نسل بضاحية القبائل وباتنة وهم المعروفون الآن بأولاد عبد الصمد واح آخر يسمى القاسم بالجل الاخضر بارض طرابلس . وكانت وفاة سيدي المسعود حوالي سنة 1028 هـ / 1619 م ودفن بزويتة الكائنة بشاشار قرب بلدة خنشلة . وكان قد اسس مسجدين احدهما بالوادي والثاني بقصار سنة 1597 م .

وأما سيدي المسعود فانه لما سمع ان اهل سوف يتدينون بكل ما راوه أو سمعوه عزم على الذهاب الى حيث هم . وحين وصل أرض سوف نزل على اللجة (مشتقة من اللجاج وهو النزاع وقيل من الجولان لان العوام يدخلون عليه القلب المكاني فيقولون الوجن . وفي جال يجول : لاج يلوج . وقيل ان لجة ماء الاودية كانت هناك وهذه الكلمة تعم الزقم والبيهة وما يليها من المداشر في الناحية الشرقية أو الشمالية) . فأضافه سيدي أحمد عزيز بالزقم ثلاثة أيام وفي أثنائها طلب من سيدي أحمد رجلا غفلا يعلمه كي ينقل عنه ويعلم غيره وقال : اني رأيت في المنام رجلا مثلك يدل الناس الى الخير . وعلم أهلها دين الله وسنة رسوله فان ايمانهم في تردد كبير .

فأتاه بسيدي عون وكان كثير الملازمة له . فلما رأى سيدي المسعود (اجتمع به لانه أي سيدي عون كان كفيف البصر) قل : من الرجل ومن أي محل أتيت فاني رأيت البارحة في المنام رجلا مثلك يدل الناس الى الخير . فأشار له سيدي المسعود بانه هو الذي رثى في المنام .

فأكرمه وأمر الناس بأن يتبعوه . فوفق الله على يديه خلقا كثيرا منهم المسمى بالليل خادم سيدي احمد ، وسالم بن عمارة وجابر بن سالم ، والحازن ابن زكرياء ويحيى بن عمر ، ومبارك بن علي وقد علمهم شيئا من امور الدين .

ثم ارتحل ونزل على الوادي بموضع تكسبت الاولى فأنكره بعض الجهلاء من أهلها حتى أتاه العش بن عمر بن سليمان بن محمد اليربوعي فأنزله عنده وأضافه واعتذر له عن تقصيره في أول الامر لانه ما جاء الى هذه القرية الا منذ عهد غير بعيد . فدعا الله له بالحظ العظيم له ولابنائه .

ثم مكث سيدي المسعود مدة يعلم الناس ودعاهم الى بناء مسجد فبنوا بعد انتقاله الجامع الذي بالسوق الآن . والى هذا الوقت يضاف له فيقال جامع سيدي المسعود . وكمل بمحضر بعض أولاده . قيل أحدهم اسمه على .

ومنها انتقل سيدي المسعود الى قرية غنام بن مبارك بن فارع وهي الهنشير الشرقي الذي منه عمرت كوينين الموجودة الآن فدعاهم أيضا للهدى قائلا لهم : اننى ما جئت اسألكم عن ذلك اجرا ان أجرى الا على الله .

وكان العش خشى عليه بأن لا يعتنى أهل الهنشير بضيافته فأعطى تمرا وخبزا ومرقا لابنه خليفة وأمره بإعطائه الى سيدي المسعود أينما وجده . فلما قدم له ذلك قال : اللهم اشبعه مالا وولدا واعطه الحظ الاوفر .

ثم ارتحل سيدي المسعود ونزل على تاغزوت فأكرمه محجوب وعمران التاغزوتيان وأبلغا خبره للناس فأقام فيهم مدة يعلمهم ما جاء به وبث فيهم ما شاء الله من أمور دينهم ودنياهم .

ومنها رجع الى اللجة فأقام بها زمنا ومن هناك انتقل الى الجريد . وسرت دعوته في الناس من بعده .

ثم بقى الشابي يتردد على سوف وينتقل بين الدييلة وغمرة ، والدميثة . وأبدل الله نكران قومه حبا له وبسببه راح الله أهل سوف من حمية الجاهلية وتعصب المتعصبين فرضى الله عنه وجزاه عن ذلك جزاء الصالحين واسكنه جوار الانبياء والمرسلين .

وكان عام قدومه الى سوف في الفترة التي من عام 1020 هـ/سنة 1612 م الى عام 1050 هـ/سنة 1641 م او قبل ذلك بقليل او بعده بقليل . والله اعلم بالحقيقة .

اختلاط أهل سوف بأهل الزاب

وفى حدود عام 1072 هـ/سنة 1662 م ، أراد أهل سوف أن يجعلوا لهم يدا مساعدة من أهل قسنطينة والزاب فبعثوا جماعة انتخبوهم لذلك وبأيديهم هدايا سودانية وحوالى حسنية . فلما وصلوا الى الزاب سألوا عن ذوى الكلمة والنفوذ فيهم وكانوا يسمعون بخبرهم من قبل ولا يعرفون ذواتهم . فاتصلوا بهم وأضيفوا ضيافة لائقة بأمتالهم . ثم طلبوا منهم ادلاء يبالغونهم الى قسنطينة فأوصلوهم وأقاموا معهم بوصية من أهل الزاب حتى يعودوا . فقضوا وطرحهم هناك وعادوا بما يساوى ما حملوه لهم من التحف النفيسة . وفى حال رجوعهم نزلوا على أهل الزاب ففرحوا بهم وأكرمهم اكرام المعرفة وأخذوا العهد منهم على نصرتهم اذا أصيبوا بحدث كما عاهدوهم على مثل ذلك أن طرفهم طارق .

واسترسلت الواردات بين أهل سوف وأهل الزاب وتمكنت الروابط بينهم وصاروا كالعائلة الواحدة يكدر جليلها ما يغير حقيرها فترى أهل سوف يذهبون دائما الى أهل الزاب وترى أهل الزاب كذلك يأتون الى أهل سوف . ويموت كل على الآخر حتى عقدوا مجلسا اتفقوا فيه على انه اذا وقع عزيز قوم وزويت عليه الدنيا من اية ناحية يجمعون له مثل ما كان عنده او اكثر . ووقع ذلك مرات لكل فريق . وفى ذلك يصدق عليهم قول الشاعر :

ان صديق الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك شئت فيك شمله ليجمعك

وفى خلال تلك المدة مر علامة المغرب الرحالة سيدي عبد الله بن ابى بكر العياشى صاحب الرحلة العياشية المشهورة بسوف فقدم لها يوم 21 جمادى الثانية من عام 1072 هـ/سنة 1662 م . وقال : « وجدت سوف خطا من نخيل

مستعرضا في وسط الرمل به بلاد عديدة ومؤه كثير طيب قريب من وجه الارض . . . الخ . ثم ارتحل الشيخ العياشي الى الشرق . كما ذكر منازل سوف ولم يذكر سور الوادي فلعله في ذلك الوقت تم سقوطه أي قبل قدومه أو بقي منه شيء قليل لم يعتن به كما لم يذكر أحوال سوف بالتفصيل وانما بأجمال عن مروزه ورحلاته الى أي بلد .

ومن أشد أهل الزاب رابطة وعلاقة مع أهل سوف هم أولاد عمر ، وأولاد صولة ، وأولاد نابت وأولاد علي . وكانت لهم مزايا عديدة على أهل سوف في كثير من الشدائد . والى الان أهل سوف يعدون مزاياهم ويذكرون جميل صنيعهم .

اعانة أهل الصحراء لصاحب الجزائر

ذكروا لي قصة اعانة أهل سوف والزب ووادي ريخ وغيرهم لوالى الجزائر عشى مصطفى فى واقعته مع والى تونس مجملة غير مبينة الاسباب والتاريخ الا انهم يتيقنون قرب وقوعها وهول امرها وفوزهم فيها .

اقول : حسب ظنى بن هذه الواقعة لا يناسبها الا ما وقع في زمن ولاية ابراهيم الشريف الذى أسره الجزائريون بعد أن أوقعوا بعسكره وتبعهم كثير من أقوامه ودخل فى وقته جمع غفير من تلك الاعراب الى العمالة الجزائرية واستوطنوها الى الآن .

جاء فى «الخلاصة النقية» انه لما بلغ ابراهيم الشريف عزم عشى مصطفى صاحب الجزائر على غزوه ، تهيأ للقائه ووجه أخاه محمدا لتحصين الكاف وبنى الابراج الثلاثة بالجبل الاخضر المعروف بجبل ابي عمر فى القديم . وخرج لقتال الجزائريين غرة عام 1117 هـ/سنة 1706 م ، فنزل على الكاف وحين تراءى الجمعون فرت عنه اولاد سعيد وكثير من الاعراب للجزائريين ثم لحق بهم وزيره ابن فطيمة ، ونجوع دريد .

ثم راسله عشى حسن فى الصلح ولم يتم . ورغبه فيه كهيئته الامير المولى حسين بن على وثبطه عن المبادرة للقتال فأبى . وركب خيله ليقتلهم فهزموه وأسروه واما أخوه محمد فانه لما تحقق أسره طلب الامان وتسليم الكاف فأمنوه ثم أوقفوه مع أخيه .

ورجع كل وفد بغنيمة عظيمة وكانوا كلهم تبعوا للدواودة فى ذلك الوقت . وكثيرا ما نسمع من الدواودة وأهل الزاب وأهل سوف منتهم على أهل الجزائر

بذلك اذ لولا الآلاف التى تألفت من هذه النواحي لما خلاص عشى ابراهيم وجنوده مع شدة باسه وتجلده للنائبات وعدم تزلزله من الحوادث العظيمة فضلا عن الهزيمة .

أقول : جميع أهل الوطن الجزائرى شركاء فى ذلك اذ لم يقيم بذلك الحادث بعض دون بعض بل كانوا كالجسد الواحد يقوم جميعه أو يتخلف جميعه . والله أعلم .

انتقال الربايع من الوادى

كانت منازل الربائع حين دخلوا سوف خلف السور بموضع جبانة (مقبرة) أولاد أحمد الآن حتى الى قرب موضع تكسبت الموجودة .

وكان نسبهم يتصل بنسب طرود كما سيأتى عند ذكرهم ولذلك سمعوا لهم بالسكنى معهم .

فبعد حين اشترى أولاد أحمد من الربايع (من أولاد بلول) موضع جبانتهم الآن بعشرين ناقة واشترى المصاعبة مواضعهم الاخرى بمائة قلوص من غيرهم وخرج الربايع الى الصحراء القبليّة وسكنوها بادين بخيامهم المألوفة ينتقلون من محل الى محل يتبعون العشب ومواقع المطر . وكان ذلك فى حدود 1170 هـ / سنة 1757 م .

قال فى كتاب « اتحاف أهل الزمان » : العرب الرحالة الذين اضطروا لسكنى البادية هم الموجودون فى أرض تراكت عليها الرمال المحرقة لا تنبت لهم حبا ولا بقلا . آبارهم تجف فى حرارة القيظ وتبخل بالماء لبعدها فيظعنون لورود غيرها من المناهل وفى خلق الابل لهم نعمة كبرى فيعيشون من ألبانها ولحومها ويكتسبون من أوبارها ويرتادون المسارح بها ويتطلبون المرعى والكلا لها . ولا يزالون فى حل وارتحال فى طلب العشب وابتغاء المياه لهم ولمواسيهم . ذلك دأبهم زمان الصيف والربيع . فاذا جاء الشتاء واقشعرت الأرض انكمشوا الى بلاد الحضر فشتوا هناك مقاسين جهد الزمان مصطبرين على بؤس العيش . وسكناهم فى البادية امر طبيعى وعم نزلوا الامصار ورفعوا بيوتهم من الحجارة لما اتسعت من حولهم المسارح لحيواناتهم . لكنهم يحتسبوا المدن محسبا لا صبرا لهم عليه لان الحرية عندهم من أفضل ما منحهم

الله وهم يبدلون نفوسهم ونفائسهم في استبقائها فيهم . ويمتاز أهل البدو منهم بقسوتهم . ومع كونهم أصعب الاعم نقيادا للغلظة والانفة وبعد الهمة والمنافسة في الرؤسة حتى قلما تجتمع أهواؤهم . وهم أسرع الناس قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم .

وقال ابن خلدون : . . . واول صفة من صفات العرب حب المحمدة والشهامة والحرص على ما يوجب الذكر الجميل من العظامم والثناء الحميد من المكارم . وهذه الصفة كعلو الهمة والحمية والنجدة من أركان الشجاعة التي هي صفة جامعة لذلك فكانوا يحبون المحمد والمفاخر وبعد الصيت بما يعدونه عندهم من الفعل الجميل كانتصارهم على الاعداء وكسب الغنائم فكانت النصره عندهم تقوم مقام الحقوق المدنية عند الاجانب لما يترتب عليها من المزايا الاجتماعيه او عين حقوق الحرب والصلح عند الامم المتمدنة . وانما كان يتولاها صاحب الحق بنفسه او بتبيلته لان افراد العرب جميعهم كانوا كما قدمنا يسوسون أنفسهم بانفسهم وكونوا ينتقمون من العدو بأخذ الثأر . فكان القصاص عندهم نستوى فيه سائر العشائر والقبائل فلا قبيلة الا وتأخذ ثأرها من القبيلة الاخرى ولا عشيرة الا وتستوفي ثأرها وتنفي عارها . فكانت المحمدة على الخير والشر باعنة لهم على كسب المحامد او المثالب . كما يحكى ان بعض العرب وقف على قبر امرئ بن الطفيل بن مالك العامري فقال يرثيه : «أنعم ظلا يا أبا علي فلقد كنت تشن الغارة ، وتحمل الجارة ، سريعا الى المولى بوعدك ، بطيئا عنه بوعيدك وكنت لا تضل حتى يضل النجم ولا تهاب حتى يهاب لسيف ، ولا تعطش حتى يعطش البعير ، وكنت خير ما تكون حيث لا تظن نفس بنفس خيرا » .

فقد مدحه بأحسن ما يوصف به عربى وقد كان بقاء ذكر الانسن بعد الموت يعد بمنزلة الحياة من غير فرق فقال بعضهم .

فائنوا علينا لا ابا لايكم بافعالنا ان الثناء هو الخلد

وقال شاعر آخر :

فون يك أفنته الليالي فأوشكت فان له ذكرا سيفنى ائاليا

ومن صفاتهم النجدة وعدم الجزع عند المخاوف فكانوا منها على مكانة عالية وكانت أحلامهم تحمل أجسامهم ما لا يطاق وسواء في ذلك الشخص أو القبيلة كما قيل في الاول :

أكر على الكتيبة لا أبالي أفيها كان حتفى أم سواها
ولى نفس تتوق الى المعالي ستلتف أو أبلغها مناهها

وقيل في الثاني :

وكفى تستقل بحمل سيفى وبى ممن يهضمنى امتناع
وحولى من بنى قحطان شيب وشبان الى الهيجا سراع
اذا فزعوا فامرعو جميع وان لاقوا فايديهم شعاع

فكان اذا خطر بقبيلة منهم ذات يوم فكرة اقتحام خطر من الاخطار لقضاء وطر من الاوطار اتحد افراد القبيلة وصاروا على قلب رجل واحد وهموا بانجاز ما أضرروه وقل ان يفوتهم انجازه كما قيل :

كانوا على الاعداء نارا تلتظى ولقومهم حرما من الاحرام

ومن صفات العرب ايضا الحمية والغيرة على العرض وشرفه وحفظ ناموسه وهذه الصفة بعينها هي التي بعثتهم جميعا مع اختلاف قبائلهم على علو الهمة وكمال الشجاعة وكرم النفس وقد تغالى بعضهم في شرف المحافظة على عرض حتى اداهم الغلو فيه الى صفات ذميمة كوأد البنات (اي دفنهم بالتراب احياء) الا انهم كانوا يرون الباعث عليه حميدا وهو دفع العار عنهم اذ لو بقين فلربما تصدر منهم ريبة تلحق بهم من أجلين أذ خشية الاملاق (أى الفقر) المترتب عليه عدم وجود الكفء للزواج فيخشى عليهن التفريط فى العرض أو الميل لغير الكفء للعجز عن التكسب . ولما اعتنق العرب الدين الاسلامى الحنيف تخلصوا من كثير من العادات الذميمة والاخلاق الفاسدة ومنها هذه العادة . قل الله تعالى : « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقكم واياهم » . وكان صعصعة جد الفرزدق يشتري البنات ويخلصهن من القتل كما قال الفرزدق مفتخرا بذلك على غيره :

ومنا الذى منع الوائدات واحيا الوئيدة لم تواد

قال فى كتاب « العقد الفريد » : صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان .

اقول : والظاهر ان الواد لم يكن مع ذلك كثيرا وان كان واقعا فان العرب كغيرهم من الامم تحرص على النسل حيث هو أمر طبيعى للانسان بل كان نادرا فقد عهد عندهم زواج الفقيرة لابناء الملوك . وزواج امرئ القيس وبخته فى احياء العرب عن ذات عقل وان كانت فقيرة يؤيد ذلك (اي ان امرئ القيس من أبناء الملوك والتي تزوجها فقيرة) لكنها ذات عقل كامل سألها عن أشياء

غامضة أجابته عنها . كما يؤيد ذلك أيضا قصة بنات المحلق الكلابى اللاتى تزوجن غير أكفاء لهن .

وقد كاثى كذلك لدى الامة العربية كثير من الصفات التى تبرهن على ميلها للسعادة والارتقاء الى درجة الامم العظيمة . وإن كانت بقيت محتاجة لاحكام الرابطة وتوحيد الكلمة (I) اى زمن ظهور الاسلام واقبالها عليه . فمن تلك الصفات الشريفة ما امتازت به عن سائر الامم من علو الهمة وشرف النفس وحفظ حرمة الجوار والحاماة عن المظلوم والوفاء بالوعد وصدق العهد والجرأة والاقدام وحب عظام الامور والكرم والجود . وحسب الانسان ترديد نظراته فى ديوان تاريخها ومفاخرها يجد اشعارها مشحونة بكل ما ذكر . فمن نظر فى اقوال شعراء العرب وخطبائهم عرف مقدار ما كانوا عليه من الصفات الممدوحة والسجايا الفاضلة واستندل على شؤونهم وأحوالهم . وأى شئ أدل على الوفاء وعلو النفس والتفاخر من قصيدة السموأل التى مطلعها :

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وعلى الكرم وحفظ الجوار من قول عمرو بن الايهم التغلبى :

ونكرم جارنا ما دام فينا وتنبعه الكرامة حيث مالا

وعلى الجود وعلو الهمة وشرف النفس من قول حاتم الطائى :

أما وإن المال غناد ورائح ويبقى من المال الاحاديث والذكر يفك به العانى ويساكل طيبا ويحفظ عرضا إن هذا هو الفخر وقوله :

فأوقدت نارى كى ليبصر ضوءها وأخرجت كلبى وهو فى البيت داخله

وهذا الاخير أخو زبيد الذين بسوف وغيرها اذا كلاهما ابن مذحج .

والشواهد كثيرة على تلك الصفات الجميلة التى كانت تعقد لها المفاخرات وتقام لاحتها المسابقات بأسواقهم الشهيرة كعكاظ وذى المجاز وغيرهما تشدد

1 - العرب فى حاجة الى احكام الرابطة وتوحيد الكلمة اليوم اكثر مما كانوا فى حاجة اليها فى أى وقت مضى .

فيها قصائدهم الغراء المتضمنة للفخر والحماسة وذكرى الحوادث والحروب والمدح والقدح .

والعرب الآن على حالتهم الاصلية لكون علاقات التعايش بينهم مستمرة ولم يخلطوا انسابهم بالاجانب فتراهم اكثر اهل لارض كرما وايواء للضيوف واكثرهم معروفا واشد الناس اقتساما ممن داس شرفهم . وقد اصاب السائح بورك هارد BURCK HAROT (2) الانكليزى الذى طاف بلاد العرب عام 1229 هـ / 1814 م فى وصفه العرب البدو اذ قال : « يمتاز البدو بحب الضيافة والكرم وحفظ النعمان ورعاية الغريب والشهامة والحماسة والذكاء وخفة الروح والقلعة . وحب البدوى للحرية يحمله على احتقار اهل الحضار فانه بمعاملتهم قد عرف منهم الخداع والمكر . . . الخ » .

ومن محاسن العرب التى يحسن ان يقلدوا فيها غرض الطرف عن عورة الجار وعدم التعرض لحرمة . فقد كان الرجل منهم يسافر ويترك زوجته فى بيته فيمونها جاره وهو انزه الناس عن التعرض لها بسوء بل انه يكون عليها اكثر غيرة من زوجها لكونها فى رعايته وحماه وتحت نظره حتى يعود الزوج . وقد قال فى ذلك عنتره العيسى :

واغض طرفى حين انظر جارتى حتى يوارى جارتى ماواما

ومن صفاتهم التى حفظتهم وحفظت انسابهم وقوتهم انهم كانوا لا يخالطون غير جنسهم الا مخالطة التجارة ولا يدخلون فى انسابهم دخيلا من غيرهم . ويستنكرون ذلك ستنكروا كبيرا الا اسماعيل بن سيدنا ابراهيم فانه اول دخيل من العجم فى ولد قحطان الذين هم العرب .

ثم كانوا بعد ذلك يتحاشون غاية التحاشى مداخلة العجم ومع ذلك فرما كان البعض داخل غير العرب وكان منه نسل . فاذا كان الفحل عربيا والانثى غير عربية سمى النسل الحاصل بينهما هجيناً وفلنقسا . قال الشاعر :

العبد والهجين والفلنقس ثلاثة فايهم تلتمس

وحيث كان المدار على كرم النسل الحاصل من غير التفات للاباء قال الشاعر :

2 - بورك هارد رحالة ومؤرخ ولد سنة 1784 م بمدينة لوزان بسويسرة . كان زار جدة ومكة متنكرا والى كتبها اسماء الرحلة الى بلاد العرب وآثر اسماء تاريخ الوهابية ومات سنة 1817 م بالقاهرة ودفن بها .

كم بجود مقرف نال المنى وكريم بخله قد وضعه

فالعرب كانوا يتحاشون الهجنة والاقراف . بل كان بعض القبائل يحافظون على انفسهم ولا يخالطون غيرهم ولو من العرب . حتى ان اياما احد الشعوب العربية ساكنت الفرس وخالطتهم عدوا منهم واتقيت مداخلتهم ويرشدك الى تحقيق ذلك ان قبيلتي تغلب وبكر اللتين يجمعهما وائل بن ربيعة قوى امرهما وقبرا كثيرا من الناس وفي بعض الايام نزل منهما رجل بناحية قريبة من بلاد الفرس حذو منازل ايام ومعه ابنته وكانت من اجمل البنات . فوشى بها رجل من ايام لدى ملك الفرس فاغتصبها من آبيها ثم عرض عليها جميع المشتريات وخوفها بجميع العقوبات ومسها بكثير من المؤلمات ليرى وجهها فابت (امتنعت) وخيرته بين ان يقتلها او يعيدها لابيها . فلما يئس منها اسكنها فى موضع واجرى عليها الاعمال الترفيفية واكتفى برؤية قدها والنظر الى قامتها تحت ملابسها وبسبب ذلك نشبت حروب بين العرب والفرس وانتضى الامر بقتل ملك الفرس وتخليص الفتاة وكان اسمها ليلى بنت لكيز ومن كلامها اثناء ما حصل لها تحت اهلها والعرب على تخليصها ونفى العار عنهم :

ما الاقصى من بلاء وعنا
يا جنيدا اسعدوني بالبكا
بعذاب النكر صبحا ومسا
لملمس العفة منى بالعصا
ومعى بعض حشاشات الحيا
كل ما شئت جميعا من بلا
ويقين الموت شئ يرتجا
اتدلون على الاعجم
خالط المنظر من برد عما
كل نصر بعد ضر يرتجا
مثل تغليل الملوكة العظما
وتطالب بقبائح العنا
لبنى مبعوض تشمير الوفا
واشبهوا البيض وسيروا لى ضحا
وذروا الغفلة عنكم والكرا
وعليكم ما بقيتم فى الدنيا

ليت للبراق عينا فترى
يا كليباً وعقيلاً يا اخوتى
عذبت أختكم يا ويلكم
غللوني قيدوني ضربوا
يكذب الاعجم ما يقربنى
قيدوني غللوني وافعلوا
فأنا كارهة بغيكم
يا بنى كهان يا اهل العلا
يا اياما خسرت ايديكم
فاضطبارا وعزاء حسنا
اصبحت اللى يغلل كفها
وتقيد وتكبل جهرة
قل لعدنان هديتم شمروا
واعقدوا الرايات فى اقطارها
يا بنى تغلب سيروا وانصروا
احذروا العار على اعقابكم

ومن عوائد العرب القبيحة معاملتهم للمرأة معاملة الرقيق وهى من العوائد التى ابطالها الاسلام باعطائه للمرأة حقوقها وامتيازات لا توجد لها فى قانون آخر يعلمها كل ما له الامام بعلم الحقوق والشريعة الاسلامية الغراء . لكن البعض من اهل سوف لم يبطلوا هذه العادة (3) فكانوا لا يعدون للمرأة مقاماً ولا يحفظون لها ذمماً بل هى التى تاتى بالماء والحطب وتهان ان لم تات بذلك حتى صار من تلد له بنت يقال له مبروك عليك هذه الخطابة لكونها ستصير حطاباً الى تاتى بالحطب على ظهرها . وهذا شأن البادية . اما اهل الحضر فقد قل منهم ذلك بسبب منع النساء من الخروج من منازلهن .

والراجح ان نساء البادية أكثر من الرجال عدداً وألن جانباً وأرق طبعاً ولسن مع ذلك دون الرجال نخوة وشهامة وعزة وعفافاً وتديناً يطقن النعيب ويتحملن المشاق ، ويتجشمن الصعاب ، ويشاطرن رجالهن فى كل انواع الاعمال . فيقمن بادارة بيوتهن ويساعدن الرجال حتى فى غزواتهم . وهن أشد تعلقاً بالبداءة من الرجال ينفرن من الحضارة ايما نفور . وعندهن من الافوال السائرة انه اذا طلبت احدى بناتهن لرجل من الحضر ان تقول : صكاك . او صكار بابها ما نريده اى انه اذا نسام اغلق باب داره ، فهو اذن جبان لا يليق بها . بل بعضهن يخشين وقوع البناء عليهن . يحكى ان بعض البدويات قد زرن قريبة لهن فى الحضر فمتن ليلتهن وسط الدار (الحوض) وامتنعن من النوم فى البيت وقلن لقريبتهن : ما اصبرك على هذا الضيق وغلق الباب دائماً وعدم الخروج والجولان فى الاراضى الواسعة والصحارى الشاسعة والبيوت التى تدخلها الشمس والرياح من كل ناحية .

ومن ذلك ما حكى ان ميسون بنت بجدل الكلبية حين تزوجها معاوية بن ابي سفيان ونقلها من البدو الى الشام ومع كثرة خيراته وحسن بنائه كانت تكثر الحنين الى آباءها والتأسف على مسقط رأسها حتى سمعها معاوية ذات يوم تقول : يا فاني الارواح لا الاريح وهو في

لبيت تخفق الاريح فيه
وليس عباءة وتقر عينى
واكل كسيرة فى كسر بيتي
وكلب يسي في هواي
احب الى من قصر منيف
احب الى من لبس الشفوف
احب الى من اكل الرغيف
احب الى من مع الووف

3 - لم تعد المرأة بمنطقة الصحراء وسوف اليوم كما كانت عليه بالامس بل صارت لها المكاة المروقة ضمن الاسرة والمجتمع ونالت بحكم تطورها مع تطور العصر كامل حقوقها الاجتماعية مثل الرجل فى كثير من الميادين .

وصوات الريح بكل فج
وكلب ينبج الطراق دوني
وخرق من بني عمي نحيف
احب الى من نقر الدفوف
احب الى من ققط ألوف
احب الى من علق عنيف

ففارقتها والتحتت باهلها مسرورة بما وجدت زاهدة فيما تركت غير آسفة عليه .

وكانت الحروب في العرب القدماء كثيرة وينسبون لها الى الالهة ويسمونها أياها . وقد ألف أبو الفرج الاصبهاني كتابا جمع فيه ألفا تسعمائة يوم (اي حرب) .

واشهر ذلك يوم مبيج (بئر لبنى غنى) : انتصر فيه غنى على بني عبس .

ويوم التراوات : كان الفوز فيه لبني عامر على بني عبس .

ويوم بطن عاقل : فاز فيه بنو ذبيان على بني عامر .

ويوم رحرحان : لبني عامر على بني تميم .

ويوم شعب جبلة : وهي أعظم أيام العرب كما قاله ابو عبيدة ، انتصر فيه بنو عبس وبنو عامر على بني ذبيان وبني تميم .

ويوم حرب داحس والغبراء : ويسمى يوم الفروق بين عبس وفزارة ويسمى ايضا يوم حرب سباق الحيل . وداحس والغبراء المذكوران فرسان الاول لغيس بن زهير سيد بني عبس . والثاني حذيفة بن بدر سيد بني فزارة وزبدة . وذلك ان قيسا العبسي عقد بينه وبين حذيفة الفزاري رهنا على سباق هذين الفرسين ثم ارسلوهما في المضمار لكن حذيفة اضمر الحديعة فانفذ رجلا يتنفذ في مكن على طريقهما حتى اذا سبق داحس ينفره لتسبق الغبراء . وكان كذلك فوقع الخلاف بين الحيين وانتشبت الحرب بينهما وقتل كثير من الفريقين . ودامت الحرب سنوات عديدة . ثم اصطلحت عبس وفزارة وانفرد قيس عن بني عبس وساح في الارض حتى انتهى الى عمان فتنصر بها ومات .

ويوم المريقب : فاز فيه بنو عبس على بني فزارة (في أرض الشربة) .

ويوم ذي حسا (وادي الصفا بأرض الشربة) : لبني ذبيان على بني عبس .

ويوم اليعمرية (ماء بالخرة) : انتصرت فيه بنو عبس على بني ذبيان .

ويوم الهباءة (مستنقع ماء في بحيرة) : فاز فيه بنو عبس على بني ذبيان أيضا .

ويوم الرقم (ماء لبنى مرة) : كان النصر فيه لبني غطفان على بني عامر .
ويوم التناة : لبني عبس على بني عامر .

ويوم شواحت (أراضي بلاد غسان) : انتصر فيه بنو محارب على بني عامر .
ويوم حوزة الاول : فاز فيه بنو سليم الذين منهم أناس بسوف وغيرها على بني غطفان .

ويوم حوزة الثاني : مات فيه دريد جد الفرق التي بافريقية وانتصر فيه صخر اخو الحنساء .

ويوم ذات الاثل لبني أسد اخوان طرود على آل الشريد وفيه طعن ربيعة ابن ثور الاسدي صخرًا في جنبه فبقى مريضًا نحو الحول حتى مله اهله . فسمع يوما امرأة من جاراته تسأل سلمى زوجته كيف حال بعلك ؟ فقالت لها : لا حتى فيرجى ولا ميت فينسى لقد لقينا منه بلاء عظيمًا وتعبًا جسيمًا . وسئلت امه كيف حال ابنك فقالت : ارجو له العافية . فقال صخر في ذلك:

ارى ام صخر لا تمل عيادتى وملت سلمى مضجعى ومكاني (4)
فاى امرىء ساوى بام حليلة فلا عاش الا في شقا وهوان
وما كنت اخشى ان تكون جنازة عليك ومن يعتير بالحدثان
لعمري لقد نهبت من كان غافلا واسمعت من كانت له اذان
اهم بامر الحزم لو استطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

ويوم عدنية : وهو يوم ملحان فاز فيه بنو سليم ايضا على بني غطفان .

ويوم الصلحاء : لبني هوازن على بني غطفان .

ويوم الكديد : وهو حرب قيس وكنانة انتصر فيه بوسليم على بني كنانة .

ويوم برزة (ماء لبني فراس) : فازت فيه كنانة على بني سليم .

4 - نرى صخرًا في ابياته كان يقدر ما هو حاقده على زوجته سلمى على ما تضمنه نجره من ملل بسبب طول مرضه ولربما صارت ضمن جوابها للجارة تمنى له الموت وتنساء كان بالعبس من ذلك ذاكرًا فضل امه التي لم يعترها الملل يوما ولم تفقد الامل في شفائه ولم يكن لها الا الرجاء في عافيته كما يبدو من كلامه ان امه لم يصيبها الملل مع كونها هي المتحملة لآلام التمريض والعيادة وتضايقت سلمى بمجرد بقاءه على هذه الحال بالبيت واشتغال مكان فيه . وعليه فقد دعا كل امرىء بالشقاء والهوان لمجرد نظره نظرة تساوى بين امه وزوجه . اترى بماذا يكون دعاؤه على من ينسى فضل الام ويتركها دون منزلة الزوجة ؟

ويوم الغيثاء : لبنى سليم على بنى كنانة وفيه يقول عباس بن مرداس
السلمي جد سيدى عبد الرحمن الاخضرى يرد على ابن جندل كلمته التى
افتخر بها يوم بزة المتقدم :

الا ابلغا عنى ابن جندل ورعطه فكيف طلبناكم بكرز ومالك
غداة فجعناكم بحصن وبابنه وبابن المعلى عاصم والمعارك
ثمانية منهم ثارناهم به جميعا وما كانوا بواء لمالك
نذيقكم والموت يبنى سرادقا عليكم شبا حاد السيوف البواتك
تلوح بايدينا كما لاح بارق تلالا فى داج من الليل حالك
صبحناكم العوج العناجيج بالضحي تمر بنا مر الرياح السواهك
اذا خرجت من هبوة بعد هبوة سمت نحو ملتف من الموت شائك

ويوم السريان : ويقال له حرب قيس وتميم انتصر فيه بنو عامر على
بنى تميم .

ويوم اقرن : فاز فيه بنو عبس على بنى دارم (اقرن ثنية) .

ويوم المروت : لبنى العنبر اخوة الذواودة من بنى رياح على بنى بشير
وبنى سليطة بن يربوع .

ويوم دارة ماسل : لبنى تميم على بنى قيس بن زيد مناة وبنى عمرو
ابن كلاب .

ويوم الوقيظ : اغار فيه اللهازم على بنى تميم فكسروهم وقتلوا منهم كثيرا .

ويوم النباح : ويقال له يوم نبثل انتصر فيه بنو بكر على بنى تميم .

ويوم زرود الاول : كان الفوز فيه لبنى يربوع على بنى تغلب .

ويوم زرود الثانى : فاز فيه بنو يربوع ايضا على بنى بكر . (ثم تتابع
نصر بنى يربوع على بنى بكر فى ايام كثيرة وهى : يوم ذى طلوح ، ويوم
أود ، ويوم الحائر ، ويوم ملهم ، ويوم القحتج ، ويوم رأس عين ، ويوم
طخفة ، ويوم الغيط ، ويوم مخطط ، ويوم جدود ، ويوم الجبايات ، ويوم
الغبيط ، ويوم سفوان ، ويوم السلي) .

ثم يوم بلقاء الحسن : ويقال له يوم السقيفة . فاز فيه بنو ضبة على
بنى شيبان .

ويوم الوزيرين : كانت فيه النصرة لبنى بكر بن وائل على بنى تميم .
ويوم الشيطان : لبنى بكر ايضا على بنى تميم .

ويوم البسوس : ويسمى حرب البسوس التى دامت اربعين عاما بسبب
قتل ناقة ، بين بنى بكر وبنى تغلب .

قال ابو المنذر : لم تجتمع معد كلها الا على ثلاثة رعط من رؤساء العرب
وهم : عامر ، وربيعة ، وكليب . فالاول عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن
يشكر بن الحارث وهو عدوان بن عمرو بن قيس عيلان وهو الياس بن مضر .
وعامر بن الظرب هو قائد معد يوم البيداء حين تمذحجت مذحج وسارت الى
تهامة وهى اول واقعة كانت بين تهامة واليمن . والثانى ربيعة بن الحارث بن
مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن كعب وهو قائد معد يوم السلان وهو
يوم كان بين أهل تهامة واليمن . والثالث كليب بن ربيعة وهو الذى يقال
فيه اعز من كليب وابل وقاد معدا كلها يوم خزازى فنض جموع اليمن
وهزمهم فاجتمعت عليه معد كلها وجعلوا قسم الملك وتاجه ولباعته فمير
بذلك حيناً من دهره . ثم دخله زهو شديد وبغى على قومه لما هو فيه من عزة
وانقياد معد له حتى بلغ من بغيه انه كان يحمى مواقع السحاب فلا يرتى
حماء ولا تورد ابل احد مع ابله ولا توقد نار مع ناره حتى قالت العرب اعز
من كليب وائل . وكانت بنو جشم وبنو شيبان فى دار واحدة (ى منزل
واحد من الصحراء) بتهامة وكان كليب بن وائل قد تزوج جليله بنت مرة بن
ذهل بن شيبان . واخوها جساس بن مرة . وكانت البسوس بنت منفذ
التميمية خالة جساس المذكور . وكانت نازلة فى بنى شيبان مجاورة لجساس .
وكان لها ناقة يقال لها سراب ولها تقول العرب اشام من سراب واشام من
البسوس . فمرت ابل لكليب بسراب ناقة البسوس وهى معقولة بفناء بيتها
جوار جساس بن مرة . فلما رأت الناقة الابل نازعت عقالها حتى قطعته
وتبعته الابل واختلطت بها حتى انتهت الى كليب وهو على الحوض معه قوس
وكنانة . فلما رآها انكرها فاشتد عليها بسهم فخرم ضرعها فنفرت الناقة
وهى ترغو . فلما رأتها البسوس قذفت خمارها عن راسها وصاحت : واذاها!
... واجاراه ! ... وخرجت فحمت جساساً فركب فرساً له مغروراً به فاخذ
آلته وتبعه عمرو بن الحارث بن ذهل بن شيبان على فرسه ومعه رمحه حتى
دخلا على كليب . فقال له يا ابا الماجة عمدت الى ناقة جارتي فعقرتها فقال
له : اتراك مانعاً ان اذهب عن حماى فاحمسه الغضب فطعنه جساس فقصم
صلبه وطعنه عمرو بن الحارث من خلفه فقطع بطنه . فوقع كليب وهو يفحص
فى الارض برجليه وقال لجساس : اغثنى بشربة ماء فامتنع من ذلك
انتهى كلام ابى المنذر .

ثم يوم الذنائب : وهو أعظم واقعة كان الظفر فيها لبنى تغلب على بنى
بكر .

ويوم وراوات : كان الظفر فيه أيضاً لبنى تغلب على بنى بكر ، وفيه مات
حمام بن مرة .

ويوم عنيزة : كانت الدائرة فيه لبنى تغلب على بنى بكر ، ثم تتابعت لهم أيام
مثل هذه كانت الكرة على بنى بكر ، كيوم قضة ، ويوم ذات الشقوق ويوم
العقبة ، وفيه مات المهلهل فى اسر الحرث بن عباد اليشكرى .

وكانت اسفار العرب للغزوات والحروب بظعنونهم بالاحياء من الاهل
والولد وكان الشعر فى حروبهم يقوم مقام الآلات الموسيقية فيتغنون به فى
مواكبهم فيطربون . وتجيش عمم الابطال فيسارعون الى مجال القتال .
وكانوا ينصبون الرايات على ابواب بيوتهم لتعرف بها ويفتخرون بها .
فالراية الصفراء لملوك اليمن والحمراء لاهل الحجاز . وكانوا يقاتلون بالكر
والفر ولا يعتبرون قتال الزحف صفوفاً وهو المعتبر عند سواهم من العجم
وغيرهم لكن لما شرعت العرب فى قتال الفرس وغيرهم اضطروا الى مقاتلتهم
زحفاً مثل قتالهم فجعلوا يعبؤون الجيوش تعبئة الفرس والروم فيقسمون
العساكر أقساماً يسمونها كراديس ، ويسوون فى كل كردوس صفوفهم
ويرتبون الكراديس حتى اذا تم هذا الترتيب يكون الزحف من بعد هذه التعبئة
وكانت حروبهم فى صدر الاسلام تدل على مهارتهم فى فن الحرب وسياسته .
وكانوا يلبسون فى حروبهم الدروع السلوقية ويعتقلون الرماح ويتنكبون
القسي ويضربون بالسيوف المشرفية الرماح السمهرية والردينية . وكان
فى سلاحهم أيضاً النبال ، والتروس ، والدرق والمجانيق ، وعراوات لرمى
الحجارة مرمى بعيداً (وهى الحديقات) .

ان حب الفخر فى كل قبيلة حملها على التسلط على اختها من غير ذنب
او به . وقد تشابه العرب واليونان القدماء فى هذا الداء ، داء الفخر المؤدى
الى التسلط تشابهاً قريباً . فان اكبر الرذائل التى اودت باليونان جبههم
لذلك فرغبت كل مدينة منهم فى الاستئثار بالامر والاستفراد به وجعلتهم
كالسماك يتآكلون ويفنى بعضهم بعضاً حتى ان من يطالع تاريخ حروبهم
خصوصاً حروب اسبارط Sparte وأثينا Athenes لا يسعه
الا استغراب تلك الرغبة الشديدة التى كانت لكل من المدينتين المذكورتين
فى التغلب على اختها . وقد فطر العرب على مثل ذلك فكان دابهم التقاطع
قبل تألفهم والانقسام فيما بينهم فدلوا بذلك على انهم لا يحسنون سياسة الملك
وان احسنوا تأسيسه كما قال ابن خلدون . وبين الامرين فرق واضح
فالتأسيس يقتضى القوة والبسالة والعسكرية والصبر على الشدائد ، أما

السياسة فأول ما تستوجبه اتحاد الكلمة والوثبات والانتظام وهذا ما كان
ناقصاً فى الاخلاق العربية ومن الاسف قد سرى هذا الداء فى دول الاسلام
بعد ذلك فنخر عظام المسلمين حتى تداعت كل الاعضاء او كادت وتفرقت
اجزاء الجسم الواحد فصارت هدفاً لكل رام ، ولقمة سهلة للازدراء . والله
أعلم هل هم من غفلتهم سيستيقظون .

من عام 1180 هـ / سنة 1766 م . كما ورد ذلك فى كناش الشيخ العروسى . وفى مخدرة . ونزلوا فى الزراديى وقطعوا بعض النخيل وافسدوا الفواكه واحرقوا الجريد فخرج لهم اهل قمار فى اليوم الثانى ووقع القتل فى الفريقين . وبعث اهل قمار من يخبر اهل الوادى وبعض القرى فقتل بالطريق . وبعثوا فى الليل آخرين فوصلوا . وبات التماريون شر ليلة قياما بالابواب ومعهم نساؤهم يحملن بعض ما يحتاجون .

ثم اصبح القتال بين القومين فكانت الدائرة على اهل قمار حتى كادوا يلحقونهم الى منازلهم . وقبل الظهر أتى المبشرون بقدوم أهل الوادى ففرح القماريون وكثر لغطهم واستيقظوا من سباتهم . فبلغ الخبر الى الشيخ احمد فارتحل من جينيه بمحلته يجد السير الى تقرت . وكان اهل قمار لما لحقهم قنعوا بالسلامة فارسلوا الى قوم الواديين ان يرجعوا فرجعوا ، وكفى الله المؤمنين القتال وهو ولى المؤمنين .

بناء البهيمه الجديدة

فى عام 1195 هـ / سنة 1781 م رحل اهل البهيمه القديمة ، وكانت تسمى القدايم ونزلوا على بئر البهيمه محلهم الآن فوجدوه طيب الماء ، فسيح الارجاى حسن الهواء كثير الاشجار . وكان موضع القدايم ضيقا ، مر الماء ، قبيح الهواء ، لا ينبت الا شجر النتين .

ولم يبق من البهيمه القديمة اى القدايم سوى محل سيدى محمد الشريف . وتوجد الان الحجارة والاسس حوله كثيره لعدم ردمه بالرمل . وقد حدد فى هذا العهد وجعلت عليه قبة هى القائمة اليوم .

قيل وفى هذا العام ايضا كان خراب عامرة قمار .

وفيه كان خلع الشيخ احمد المتقدم ذكره من تقرت .

وفى العام الموالى 1196 هـ / سنة 1782 م رحل اهل الرقم من قريتيهم القديمتين ونزلوا جميعا بمحلهم الان وقروا به قرية الرقم الموجودة اليوم .

وفيه حصل الوباء بين المواشى وجذب بالصحراء . والله أعلم .

واقعة الشيخ أحمد بقمار (1)

فى حدود عام 1180 هـ . سنة 1766 م كان القائم بالامارة بتقرت هو الشيخ احمد بن الشيخ محمد بن الجلالية وكانت له عداوة مع الوادى وبعض قرى سوف . فرحل بمحلته نحو الوادى حتى نزل بوادى زيتن . وكان جاء النذير من تمارسين لاهل الوادى فى ذلك فتاهبوا واستعدوا له استعدادا كليا وخرجوا غازمين على قتله او اسره او عدم رجوعهم الى منازلهم .

واقتل الفريقان ومات من كل فريق خلق كثير . وفى اخر النهار عاين الشيخ احمد انحلال جنده ففر يطلب النجاة لنفسه وتبعه من معه . ولحق باثرهم اهل الوادى حتى حال بينهم الظلام فخشوا من الوقوع فى مكيدة اذ ربما يكون فراره خديعة فرجعوا غانمين بعض الاسلحة والسياب والدواب .

ثم اتفق رأى الشيخ احمد ومن معه على الذهاب الى قمار فى غفلة اهل الوادى وطنهم ذهب المحلة الى تقرت فاتوها اى قمار فى ربيع الثمانى

I - فى عهد الاتراك بالجزائر تكاد تكون المناطق الصحراوية فى عزلة عن النفوذ التركى وان تعيش شبه مستقلة تحت نفوذ ما يسمى بالسلطان مثل سلاطين تقرت . وكانت منطقة سوف هى الاخرى مستقلة وتابعة لشيخ العرب والسلطان تقرت الذى كانت تدفع له بعض قرى سوف اناوة سنوية رمزية بسيطة جدا - وكانت السلطة بمنطقة سوف للجماعة التى يقع عليها الاختيار من طرف الاهالى - وقد رفض البعض من قرى سوف نفوذ ابناء جلاب الذين توارثوا الحكم وانتقاد اليهم البعض الآخر . وكان مقرهم مدينة تقرت ، الامر الذى جعل سلاطين ابناء جلاب يحاولون فى عدة مناسبات محاربة قرى سوف الراضة لسلطتهم قصد اخضاعها . وما واقعة الشيخ احمد الذى هو الجد الاملى للجلابة وحملته على قرية قمار الا من هذا القبيل . وقد سموا الجلالية لان اجدادهم الاولين كانوا تحاروا فى الغنم (الجب) وهم من سلالة بنى مرين حسب الراجح .

أيواء أهل قمار للشيخ أحمد

جاء في كناش الشيخ العروسي انه حين خرج الشيخ احمد من تقرت وقلت اتباعه ندم على ما فرط منه في قمار فارسل للقماريين معتذرا يطلب التامين ولا بلاغ للجريد ، فاجابوه وحسنوا له الخطاب ، فاتاها عام II99 هـ / سنة 1785 م . ونزل بجانبها الغربي وهو على حذر منهم لظنه المكر به ، لكن ارتكب اخف الضررين . ثم انتقل الى جانبها الشرقي ثم الى الزاديب . وفي جميع ذلك لا يستقر له قرار . وكانت رسله تتري الى نقطة في شان النقلة اليها ، واهل قمار يبالغون في اكرامه . ومكث فيهم عامين كأنه يأكل من لحمه ، فضعف جسمه بعد أن كان بدينا بطينا ، وانتهكت قواه حتى صار لا يقوم الا على يديه من تفكيره فيما كان عليه وما آل اليه . وحق عليه قول الشاعر :

فاصبحت كنتيا (I) وامسيت عاجنا (2)

وشر خصال المرء كنت وعاجن

ثم انتقل الى نقطة عام 1201 هـ / سنة 1787 م ، وراح نفسه وغيره . وكان في خلال مدته بقمار اغرى بعض السفهاء (3) اهل الوادي للفتك به فامتنعوا من اذيتهم قائلين : لا نحارب الا من جاءنا على وجه الحرب . وعدها الناس لهم من الفضائل التي لا تنسى . والله أعلم .

1 - الكنتى هو القوى الشديد .

2 - العاجن هو الضعيف او كبير السن الذى يعتمد بيديه على الارض عند قيامه . فعند وضع يديه على الارض عند قيامه شبيه بمن يضعهما عند عجن الدقيق .

3 - نظرا للمداوة التي كانت بين اهل الوادي والشيخ احمد المذكور اغتم بعض السفهاء الذين يصطادون في الماء الفكر فرصة اقامة الشيخ احمد بقمار فاشاروا على اهل الوادي بالانتقام منه غير انهم ابوا ذلك لان العرب من طبعهم لا يعتدون الا على من سبق بالاعتداء عليهم ولا يحاربون سوى من اتاهم على وجه الحرب . وقد يكون اهل الوادي مثل اهل قمار حريصين على حماية الشيخ احمد لو انه احتفى بهم .

وقائع الشيخ فرحات بسوف

بعد انتقال الشيخ احمد الى الجريد ، ولا ادري اكان في تلك السنة نفسها ام في التي بعدها والراجح في وسط تلك السنة كما يرشد له ما في مخدرة الشيخ العروسي أن الشيخ فرحات (I) كانت له وقائع بنواحي الزاب الغربي ومداسر تقرت الشمالية فأراد الذهاب أيضا الى سوف .

قال الشيخ نصر : فلما قارب الشيخ فرحات نخيل سوف ترجل وقصد الرقوبة فقطع كثيرا من جريدها وأراد أن يصل على جميع تلك النواحي فعارضه اهل تاغزوت واهل العرش منهم خاصة وارادوا محاربته فتيقنوا بالعجز . فسأل عن نخيلهم فاخبر بذلك فامر قائد محلته وهو ابراهيم بن الحاج بن قانة بتجوير نخيلهم فجمر منه نحو الثلاثمائة نخلة فكبر النهار على التاغزوتيين لكنهم لم يظهروا جزعهم خوفا من النكاية بهم .

وحكى لى على بن بوروبة رحمه الله انه وقع قتال بينه وبين اهل تاغزوت والى الله البراءة من القولين .

وجاء في كناش الشيخ العروسي ما نصه وان كان مجملا وكذلك في مخدرة . واللفظ للاول : « وفي رمضان من هذه السنة (يعنى المتقدم ذكرها) اتى الشيخ فرحات وابراهيم بن الحاج بن قانة بمحلة الى الرقوبة جمعت من

1 - حوالى سنة 1787 م ، كان الشيخ فرحات بن جلاب سلطانا على تقرت ونواحيها . وكان مستقلا عن الحكم التركي رافضا دخوله تحت نفوذهم .

اما موقف اهل سوف فكان حرجا امام تلك الظروف ، فبينما كان سلطان تقرت يطالبهم من ناحية بالاعتراف بسلطته وتسليم الجبايات اليه ، كان شيخ العرب ببسكرة الذى يمثل السلطة التركية يبعث الى منطقة سوف بين الحين والآخر بعض جنوده من الاتراك لتسليم الجبايات . فنتج عن ذلك خلاف بين اهل سوف وانقسام فيما بينهم . فكانت اذن بعض قرى سوف خاضعة لنفوذ سلطان تقرت واخرى معترفة به . وهذا هو الذى حمل سلطان تقرت على محاربة هذه القرى قصد ارضائها .

جر (نخيل) العرش ومن معهم نحو ثلاثمائة نخلة وقطعت جريد الرقوبة وما حولها . . . الخ .

قال القدماء : ثم انتقل الشيخ فرحات الى الصحراء يريد الذهاب الى الزاب الشرقى فنزل قريبا من غمرة بنحو ميل من الجهة الشمالية وأقام بها يومين .

قال الشيخ نصر : ولكن الشيخ فرحات غير رأيه فأصبح لاويا عنانته نحو الديبيلة فقصده نصفها الغربى (2) يريد تدميره واجلاء أهله . فلما قارب المكان بعث الى الديبيليين يخبرهم بين الخروج من غير قتال وترك المنازل والاملاك أو الدفاع عن أنفسهم ان كانوا قادرين . فاتفق رأيهم بعد مشورة طويلة على المدافعة اذ الخروج من غيرها عار ، والموت لا تتأخر ولا تتقدم بل الحى يعيش سعيدا والميت يموت شهيدا لقوله صلى الله عليه وسلم : « من قتل دون ماله أو حريمه مات شهيدا » .

فنشط الجميع ، ووافقوا على ذلك الرأى ، واقتتلوا خارج البلدة برهة مات أفراد قليلة من كلتا الفرقتين وفى آخر الحال انهزم الديبيليون ودخلوا البلدة والقوم اثرهم يقتلون ويسلبون . ثم خربوا مساكنهم ونهبوا أمتعتهم ، والى اليوم بعض جدران الديبيلة الغربية معروفة توارثها الديبيليون (3) زفروا بأشخاصهم يطلبون النجاة تاركين جميع ما يملكون فنزلوا بالزرقم واستوطنوها الى الآن . ويقال لبعض الفارين الذين بالزرقم أولاد سعيديان .

وكانت الواقعة المذكورة قبل ليلة القدر بيومين أو ثلاثة أيام من السنة السابقة الذكر .

ثم ارتحل الشيخ فرحات راجعا من حيث اتى بغنائم كثيرة معجبا بصنيعه وما سولت له نفسه وحق عليه قول القائل :

سعيديد الله كلا منهم وسيجزى فاعلا عما فعل

بل قيل ان بعض العقوبات تعجل فى الدنيا قبل الآخرة ومنها هذه وذلك ان يوم صدور المحلة من الديبيلة أصابتهم ريح عاصفة شبيهة بريح عباد وأمطرت عليهم السماء مطرا كأنها من أفواه القرب وأعقبه حجر كالرمان أهلك

2 - وقد تختلف نفس القرية الواحدة فيما بينها كما جرى بالنسبة لقرية الديبيلة اذ كان نصفها .

3 - يعنى توارثها الديبيليون القاطنون بجانب الديبيلة الشرقى اذ ان أهل الشاحية الشرقية من القرية لم يحاربهم الشيخ فرحات وبالتالي لم يغادروا منازلهم .

كثيرا من موسى المحلة ومات جم غفير من القوم وجرح معظمهم . والله على ما يشاء قدير .

قال القدماء : ارتحل الشيخ فرحات من سوف ولم يتعرض لأهل قمار فعزم على الرجوع اليهم فاعتراه مرض لا يقدر معه على النهوض فاذن للشيخ ابراهيم ابن جلاب بن عبد القادر بالتوجه اليهم وتخييرهم بين اعطاء اناوة (غرامة) يفرضها عليهم حسب اجتهاده وبين القتال فنزل بجانب قمار الغربى . وبعث لرؤسائهم فأتوه منقادين ينتظرون ما يأمرهم به . فعرض عليهم رأى الشيخ فرحات فقبلوا الصلح . فسلط عليهم ثلاثة ريات فى كل مائة ريال يملكونها (صرف الريال فى سوف فرنك واحد وخمسة وعشرون سنتيما) فقبلوا ذلك وأخذ منهم تلك الاموال وكر راجعا بمن معه . وذلك عام 1202 هـ/سنة 1788 م . فى أواسط السنة أو آخرها حسب قول القدماء .

وبعد ارتحال الشيخ ابراهيم المذكور تذاكر أهل قمار فى الوسيلة الحاصمة للنجاة من هذه الطامة الكبرى فارضى أمرهم على أن يحتموا بأهل الوادى .

ثم عزموا على التربص للسنة المقبلة فان كفاهم الله شر المتسلط فذاك والى استنجدوا بأهل الوادى .

وفى عام 1203 هـ/سنة 1789 م ، أتى الشيخ فرحات بنفسه ومعه جيش عظيم يقوده محمد بن الحاج بن قانة ونزل على قمار كعاداته وأمر أهلها بدفع خمسة وعشرين ألف ريال سوفى وما يكفى المحلة من القمح والسمن والزيت وما يكفى دوابهم من الشعير والحلفاء وما يكفى لآخبيتهم من الحشب وأقام فيهم نحو خمسة عشر يوما على هذا الحال . وارتحل راجعا .

قال الشيخ نصر : قد أتى الى الشيخ فرحات رجلان من أهل الوادى يتوسطان بينه وبين أهل قمار فلم يعبا بهما فرجعا من فورهما . وعزم أهل الوادى على معارضة الشيخ فرحات اذا رجع فى العام القابل وعلى تعصبيهم مع القائمين ضده . وجزت السيارات بين قمار والوادى وما زال الامر كذلك الى عام 1204 هـ/سنة 1790 م . فأتى الشيخ فرحات فى عدد قليل الى قمار ونزل بمحلته سابقا فأتاه أهل الوادى للوساطة فعبس فى وجوههم فخرجوا قبل الجلوس وأمروا أهل قمار بعدم اعطائه المال المفروض عليهم . وكان قبل وصول الجماعة المذكورة قبض من القماريين أربعة آلاف درهم (ألفى فرنك) فانتقل قانعا بها ونزل حول داغزوت فجمعت له دراهم معلومة من بعض القرى وأصبح ملتفتا نحو تقرت حانقا على أهل الوادى أكثر من قمار .

وارتبطت أهالي قمار بأهالي الوادي اشد الارتباط حيث كانوا سببا في اخراجهم من بين انياب الاسد وصدده عنهم مرغما .

وجعلت الاعراس (الافراح) ، وضرب البارود ، وخرج أرباب الشبابة (القصبة المثقبة) وأهل الكوبة (الدربوكة) وأهل الدرز (الغناء) وجالوا في الاصحح وحولهم النساء متزيينات بأبهج زينة يولولن (يزغردن) ويصدين (يصفقن) .

ثم في آخر السنة المذكورة مات الشيخ احمد بمكة المكرمة وجاء خبره الى سوف يوم 5 محرم من عام 1205 هـ/سنة 1791 م . فظهروا التكدر لاجله حيث كان من ذوى حمايتهم . وفرحوا باطنا لما وقع منه معهم . وتم بذلك سرورهم . لكن في آخر ربيع الثاني من هذه السنة غرقت سفينة برادس قرب تونس فيها من أهل قمار ستة وثلاثون حاجا ممن قضى فرضه ورجع من جملتهم سيدي الطاهر بن سيدي خليفة بن الحسن صاحب المنظومة السابقة ونظم الجليل المسمى جواهر الاكليل على مختصر سيدي خليل . ومنهم الحاج احمد بن الهادي والحاج سعد الشارف . ومن غيرهم نحو ثلاثمائة حاج .

وغرقت في نفس الليلة ثلاث سفن أخرى فيها ألف واربعمائة مسافر .

فحزن أهل قمار من أجل ذلك حزنا شديدا وصار فرحهم ترحا . ودوام الحال من المحال .

وفي 20 من جمادى الاولى من هذه السنة أيضا قدم صالح باي (4) من قسنطينة ومعه ستة آلاف فارس من العرب المشهورين بالشجاعة قد انتقاهم من جند عظيم وألف فارس من الترك . وسار بهم الى تقرت وحاصر بها الشيخ فرحات أربعين يوما ولم يقدر على فتحها . ثم ارتحل وترك بعض جنوده ولفائف العرب والرواية متعصبين مع الشيخ محمد بن الشيخ الحاج احمد براس وادي المغير . واذن له في الغارات ومحاصرة الشيخ فرحات وبأثيه المدد في كل حين .

4 - تنص بعض المراجع على ان حوالي سنة 1202 هـ سنة 1788 م ارسل صالح باي والي قسنطينة حملة تاديبية ضد سلطان تقرت فرحات بن جلاب الذي رفض طاعته والدخول تحت نفوذه فعجز صالح باي امام قوات فرحات مرات عديدة ، الامر الذي دعا صالح باي الى القدوم بنفسه والى اعمال الحيلة للقبض على فرحات بان يبعده عن محله باشغال ثورات ضده بسوف سنة 1791 . فاضطر فرحات للذهاب الى منطقة سوف قصد ارجاع الامن بها وفعل بها ما فعل وقيل مات بهذه الواقعة وقيل بغيرها وبذلك تم لصالح باي الاعتراف بنفوذه على تقرت وما حولها . وبحيلة أخرى استطاع صالح باي ان يؤسر اتباع فرحات وقواده بمكان يسمى زربية الوادي .

وبعث الشيخ ابراهيم مع قائد العبيد الى سوف ليأخذوا أخبية الترك المودوعة بقمار كما يأخذون الاماء والعبيد من قرى أولاد سعود ففعلوا وتم لهم ما أرادوه وتكل بالشيخ فرحات وقومه ، وخرج ناجيا بنفسه ، وقيل قتل بها ، والصحيح خلافه . وتولى الشيخ محمد المذكور على تقرت ودانت له الرعية ، وامن الطرق ، ونصب الحرس في الاماكن المخيفة ، وعدل بعض مياه النخيل وعمت عافيته وعفوه أهل سوف ، فصار بوساطته يسعى في قطع اسباب الخلاف بينهم وفي بث روح الاخوة خلالهم - الا ان صوته هذا لم يبلغ البعض منهم .

وفي خلال هذه المدة ذهب جماعة من الرباثع الى اخوانهم الذين اختلطوا بالطوارق وتناكحوا مع السودان . ومنهم طوائف بقرب فزان يظعنون بأطراف وادي الاجال كما سيأتي ذكرهم لاجل ان يأتوا معهم فلم يجيبوهم لذلك الا طائفة قليلة من المحل المتقدم ذكره يقال لهم أولاد الحجاج . وبعض العوام يقول أولاد حجاج بدون تعريف . وتعمقوا في الصحارى فإوئى من قرب الوادي وتصاهروا مع بعض العربان واختلط نسبهم في ذلك العهد . ثم انفوا من ذلك وعزموا على انهم لا يزوجون بناتهم لغيرهم ولا يتزوجون من غيرهم . وبقي هذا دابهم غالبا الى الآن . فصفت اليوم انسابهم وتميزت احسابهم واشتهروا بذلك . والله أعلم .

مناقشة الخاشي للقماريين

جاء في كناش الشيخ العروسي: «كما قال القدماء انه لما تمكنت قدما الشيخ محمد في تقرت (I) ولم يبلغ صوته مسامع بعض أهل سوف أخبر أنباي صالح بذلك . فوجه محله يظنها كافية وافية وأمر عليها اباعزيز بن نصر الخدشي . فنزل بالمكان المسمى العدامة بغمرة قمار الشرقية الشمالية . وخرج القماريون للقائه . وبعثوا لاهل الوادي لظنهم عدم القدرة على المحلة واذا بهم حين رؤوهم استحقروا شأنهم . فراودوهم عن خروج من غير حرب فامتنعوا ف وقعت بينهم مناوشة خفيفة وكلمات طفيفة وأخبر أبو عزيز باستنجد أهل قمار بأهل الوادي ، واذا أتوا يشتد الحال ويصعب الانفصال فالاولى عدم التأخر عن الانتقال . فجمع أناسه وخرج مسرعا .

ولما وصل اهل الوادي أخبروهم قائلين ان المحلة انتقلت من أمس خفية علينا ولم يبلغنا خبر عنها الى الآن . وأقاموا في قمار يوما ورجع أهل الوادي من غير كثرة تعب ولا اراقة دماء . وكفى الله المؤمنين شر القتال .

وكان ذلك عام 1207 هـ/ سنة 1793 م .

وفي هذه السنة أتى كثير من العرب الى سوف ونزلوا بالوادي معظمهم من الفرغان . ومنهم من نزل بالهنشير أيضا وحرصوا أهله على زيادة البناء . وكانت كوينين في ذلك العهد تتدرج نحو العمران وتكبر شيئا فشيئا .

وفي آخر هذه السنة وقع جدد بالصحراء أضر بالمواشي وتزاحم الناس على موقع المطر . والله أعلم .

I - بعد انتصار صالح باي على فرحات بن جلاب دخلت منطقة تقرت تحت النفوذ التركي . وعين صالح باي الشيخ محمد بن الشيخ الحاج احمد واليا على المنطقة مكان فرحات ومع ذلك بقيت بعض نواحي سوف مناهضة للشيخ محمد المذكور لاسباب قديمة .

مناوشة أهل الوادي

قال الرايس حمدة لما وقع جدد بالصحراء ومزاحمة الناس على مواطن المرعى رغب كل فريق في أن تكون له الأرض الحصبة فتضارب الشباب وانعبيس عليها ونزل كثير من العائلات من الصحراء الى البلاد قبل أوان النزول المعتاد هربوا من الفتا ، وجم غفير تعمق في الصحراء القبلية حتى التقى ببعض أهالي صحراء غدهم فوجدوهم على حالة سيئة من الجرع والعراء بسبب قبح الأرض وجذب الصحراء ، وحين رجعوا تبعهم كثير منهم ونزلوا بأرض سوف وسيأتي ذكرهم في المصاعبة وأولاد أحمد وكوينين ان شاء الله .

ولما اجتمع الناس في الوادي زمن الحريف تجاذبوا أطراف الحديث وتلاوموا عما صدر منهم سابقا فقام بعض الحمقاء يشخر ويمخر ويتطاول بالكلام الذي لا يناسب فقام له أكفاؤه وتشاجروا ثم أفضى الحال الى المضاربة بالعصى ونحوها . قيل مات في تلك الحادثة أربعة وقيل سبعة وقيل أحد عشر رجلا ، فانتقل بسبب ذلك كثير من الاهالي ونزلوا بمحل الهنشير القديم الذي هو في طريق تقرت الآن غربي الحجرة بانحراف الى الشمال ، معظمهم من سوفية أولاد أحمد وافراد من المصاعبة ، وذهبت طائفة الى الهنشير الشرقي فقبلهم أهله واختلطت أنسابهم الآن فصاروا منهم ، كما ذهب كثير من الربايح الى نواحي الزقم وتركوأ أملاكهم بلوادي توارثها اخوانهم الباقون .

وكادت تنقوض أركان الوادي في ذلك الحين لولا حكمة بعض رجاله وثباته .

وكان ذلك في أوائل عام 1208 هـ/ سنة 1794 م . والله أعلم .

رجوع الصييدة وأولاد راجع الى تاغزوت

قال الشيخ نصر وعلى بن بوروبة الزبيدي ان الصييدة وأولاد راجع بعدما كانوا مستقرين بقمار وضاق بهم المجال لضيق المكان اختاروا الرجوع الى تاغزوت فأخذوا أمتعهم ونقودهم وعوضت أملكهم .

أقول : هذا هو الصحيح لوجود القرائن الدالة على ذلك وان رجوعهم كان عام 1209 هـ/سنة 1795 م .

ويزعم البعض ان ذلك كان قبل التاريخ المذكور بنحو خمس سنين ، وهو خلاف التحقيق . فقد سألت الكبار فكان كلام الكل ينطبق على هذه السنة . والعلم عند الله .

وفي هذه السنة مات صالح باى (I) مقتولا وتولى الامر بعده أبو الفتك حسن باشا .

وفيها مات بتقرت محمد بن الحاج بن قانة مسموما بعد رجوعه من الجزائر . ثم ولى على تقرت ابن أخيه على بن القيدوم وعزل حسن باشا في سنته من قسنطينة وولى الوزناجى مصطفى وعزل ابراهيم بن الحاج وقيل سجنه . وعزل عليا ابن أخيه من تقرت وخرج منها . ثم اتفق رأى معظم أهل تقرت وهم خدام أولاد الشيخ أحمد وأولاد الشيخ عبد القادر على تولية الشيخ محمد ابن ابراهيم الاكبر وهو الملقب بمهماس . وأستقر على سرير الملك خمسة أيام فاذا صاحب قسنطينة الوزناجى مصطفى قد ولى الشيخ ابراهيم بن الشيخ الحاج احمد فأتى حانقا على تقرت وأخرج الشيخ محمد مهماس بعد أيام

I - صالح باى هو والى قسنطينة الذى قاد حملة تاديبية ضد فرحات بن جلاب سلطان تقرت الراض لحكم الاتراك كما تقدم ذلك .

وقعت بينهما . وبقي في أطراف البلد ينتظر الخبر من رفيقه بقسنطينة وهو الحاج محمد بن كوجك على كما يترقب التفاف الناس حوله فيعود لمحاربة تقرت . فمات رفيقه بقسنطينة في تلك الايام وبلغ خبره الى مهماس فعرف ان ذلك من سوء حظه فهرب اذاك ومكث أياما بالصحراء وتفرق من كن معه واقتسموا ما لديهم من المؤونة التى كان أحضرها مهماس لجنوده .

ثم أشار عليه بعض خواصه بالرجوع الى تقرت تحت حماية الشيخ ابراهيم والشيخ محمد ، فرجع بتلك الصفة نازعا أبهة الملك لابسا لباس السوق ففرحا بقدومه ووسعه عفوهما وحلمهما وازالا ما بخاطره من الانكسار .

وبعد زمن يسير انقلبت الاحوال ورجع الملك الى حسن باشا فاتاه الشيخ فرحات من الوادى على القول بأنه كان حيا ومعه اربعون فارسا من مشاهيره مصحوبين بهدية عظيمة منها خمسة عشر عبدا ، وخمس عشرة أمة ومهريان نجيبان على كل منهما راحلة (سرج) بخمسة عشر دينارا ، وثلاثة أفراس ، وكثير من النقود طمعا في الولاية على تقرت . فلما وصله أخذ ما عنده وسجنه وضيق عليه فيه . وأكرم من كانوا معه وأرجعهم الى محلهم .

وكان آخر تلك الوقائع عام 1214 هـ/سنة 1800 م ، والله أعلم .

محاولة فتح قمار

قال القدماء ، كما جاء فى كناش الشيخ العروسى : ان حسن باشا وجه محلة تحت قيادة الشيخ ابراهيم يريد بها فتح قمار واخضاع أهلها . فنزلوا بقرب طريق المعيز فى الناحية الشمالية الشرقية من قمار . وحاصروها شهريين وثلاثة أيام ولم يفتحوها . وكانت أيدى الوادين تساعد أهل قمار جهارا بالمؤونة والمقاتلين والاسلحة وغير ذلك .

فلما تيقن الشيخ ابراهيم العجز عن الفتح امر قومه بحفر نقب كالدهيلز (الداموس) شرقي أرض سيدي حمودة ليصل الى الصومعة التى بجامع سيدي ابراهيم من الجهة الشرقية ، فشرعوا فيه . فلما قاربوا الصومعة أحس أهل قمار بالحفر تحت أرجلهم فتنبهوا وعلموا بالحيلة .

فحفروا قرب ذلك الموضع على سمته وجعلوا أناسا شجعانا بأسلحتهم هناك كى يقتلوا الحافرين عند وصولهم اليهم فكان الامر كما ذكر . فقتلوا كثيرا من المحلة ثم دفنوا ذلك الدهليز وبنوا فى مكانه .

وكان ذلك فى أوائل عام 1215 هـ/ سنة 1801 م . والله أعلم .

بناء الدبدابة

حين عجزت المحلة عن فتح قمار أمر الشيخ ابراهيم قومه بقطع الحجر وحرق الجبس لبناء قرية قربها يضيقون بها عليها واختطها لهم .

فشرعوا فى بنائها فى شهر جمادى الاولى من السنة الماضية . فبنوا أولا سورا محيطا بأرض بيضاء ثم بنوا داخله ثمانية وعشرين برجاً . وكان لذلك السور أربعة أبواب فى كل جهة باب . وبعد ذلك شرعوا فى بناء سور آخر داخل السور الكبير . ولما انتهوا من جهاته الثلاث وقبل تمام الجهة الرابعة وهى الشمالية بعث الشيخ ابراهيم خفية بعض الجند الى ابنى الشيخ أحمد حين بلغه خروجهما من الحنقة ليأتوا بهما فلما قدما عليه سجنهما مع الشيخ المكي ابن اسماعيل بن جرير . وأخبر بذلك حسن باشا فأمره بعزلهم وأخذ مالهم فاستصفى ما لديهم وأخبرهم بما ورد فى حقهم .

وأراد أن يحيط بمال الشيخ أحمد فأخبر قبل ورود الطوارق . فأرسل عشرة من الترك وقام معهم بعض أولاد سعود ونقلوا جميع ما على ملكه ومنه خمسة وعشرون ألف محبوب ذهباً وحمولة جملين حريرا وكثير من القماش المختلف وغيره ، وذهبوا به الى نفطة . وحينئذ أتى بجموع عظيمة ونزل بنواحي بئر العرب الآن بينه وبين قمار مسافة نصف يوم أو أكثر فى الناحية الشرقية الشمالية .

وبعث لاهل الوادى فأتاه وفد منهم وتعصبوا جميعا على المحلة . فخرج الشيخ ابراهيم فى قطع من الليل سائرا بمن معه نحو تقرت قاووكا ما بناه خلفه .

وكان ذلك فى آخر السنة المذكورة .

وفيها وقعت المجاعة الكبرى التي عمت سائر أفريقية وأضررت بسوف خاصة .

ثم ركدت الزوابع في سوف بعد ذلك برهة حتى أفضت ولاية تقرت الى الشيخ عبد القادر وآخر ذلك عام 1228 هـ/سنة 1813 م . والله أعلم .

تمام عمران كوينين

بعد أن صفا الجو بتقرت للشيخ عبد القادر استهان ابنأؤه بعمهم الشيخ احمد (I) وأنزلوه غير منزلته فأنف من ذلك . فبعث يستجيش بعض قرى سوف كي ينصروه على أخيه عبد القادر . وخرج من البلاد وسكن الصحراء الى أن قدم اليه ناصروه . وبلغ خبره الى أخيه فجمع من تحته وارسل الى أهل الوادي فأتاه أكثرهم .

وتخلف أهالي الهنشير الشرقي والساكنون بموضع الهنشير الغربي .

ووقعت مشادات بين الفريقين مات فيها البعض وجرح البعض . وفي آخر الامر انهزم الشيخ أحمد وتفرق قومه وفر الى تاغزوت ثم توجه الى الهنشيرين اللذين تخلف أهلها فهدم مساكنهما وفر أصحابهما الى كوينين ولم يبق بالموضع أحد . وبسبب ذلك قوى عمران كوينين في ذلك الحين وكثر ساكنها واشتدت وطأتهم وقويت شوكتهم .

وكان ذلك عام 1229 هـ/سنة 1814 م .

ثم انتقل الشيخ أحمد الى الزاب الغربي وبقي يجلب على مداشر تقرت الشمالية . وكانت العرب تميل له بسبب لين عريكته وسماحة خلقه وحسن طبعه فلا يفضب أحدا ولا يعامل أحدا بمكره ولا يخلف وعدا وعده به . والى وقتنا هذا يشنى عليه العام والحاص عدوه وصديقه . ودام حاله كما ذكر الى

1 - الشيخ احمد هنا غير المذكور سابقا في موضوع واقعة الشيخ احمد بقمار .

أن مات الشيخ عبد القادر السابق ذكره وولى الشيخ أحمد مكانه فقام له الناس أحسن قيام ودخل تفرقت عام 1240 هـ/سنة 1825 م وساس الرعية وضبط أمورهما مع لين الجانب والبشاشة فى الاجلاء والاقلاء . واستقامت له أيام كما رام وكأنه اختارها بنفسه لنفسه ، والله أعلم .

دخول الدولة الفرنسية الى الجزائر

قال الشيخ نصر : كانت أحوال سوف أيام الشيخ أحمد الى وقت دخول الدولة الفرنسية الى الجزائر ، فان العمالة اضطربت وشرد كثير من الناس الى تونس ونواحيها فحفظوا بالقبول . وماجت الناس فى عاقبة الامر وتعاكست رؤساء القبائل ووصل شيء من أخبار ذلك الى سوف فوقع بهم ما وقع بغيرهم وكثر القيل والقال ووقعت مشاحنات من أجل ذلك بين أبناء الشيخ عبد القادر ومن تعصب معهم ، والشيخ أحمد وأقوامه ومن تعصب معهم ووقعت أيام بوادى ريغ وسوف ، وأطراف الزاب واستمرت تلك المعارك ثلاث سنين وفى آخرها اضطرب الشيخ أحمد للخروج من تفرقت .

أقول : كان دخول الدولة المذكورة الى الجزائر فى أوائل محرم عام 1240 هـ/سنة 1830 م .

وفى اثناء تلك الوقائع كان أحد فرنساويين يقال له ليون روش Léon Roche أملة من مدينة جرينوبل Grenoble من أرض فرنسا ولد عام 1224 هـ/سنة 1809 م . كما ذكر ذلك عن نفسه فى كتابه الذى وضعه بالفرنساوية بعنوان: «عشر سنوات فى الاسلام» Dix ans à travers l'Islam ودرس الحقوق على غير ميل منه لها ثم سافر الى الجزائر عام 1247 هـ/سنة 1832 م . واستعمر مع والده أرضا بتلك الجهات التى استولى عليها الفرنسيون فى ذلك العهد .

وصادف ان لمح فتاة مغربية تسكن بجانبه فعشيقها وعشيقته على ما يقول ، وولع بها ولعا شديدا دعاه ذلك الى تعلم اللغة العربية ليقدّر على خطابها وفهم

جوابها . وكان الفرنسيون في ذلك الحين في هدنة مع الامير عبد القادر الجزائري فاحتال روش على الامير ودخل في خدمته وادعى الاسلام وحاز ثقة الامير حتى أهله بمسلمة واطلعه على سرائره ودخائله واتخذة كاتب سره وصار من اقرب الناس اليه .

وفي عام 1248 هـ / سنة 1833 م ، تعصب الجزائريون على الفرنسيين وبايعوا الشيخ عبد القادر بن محي الدين على القتال وولوه امر الجهاد وذلك بعد ان طلبوا مبايعة والده فاعتذر فاشار عليهم بمبايعة ابنه الشيخ عبد القادر لما راي منه من الكفاءة بما يتعلق بهذا الامر العظيم والدور الجسيم . وحين تمت له المبايعة جمع الناس من كل ناحية فأتاه من جملتهم في الحين جماعة من تفرقت وسوف . واستمرت تلك الحروب نيفا وخمس عشرة سنة . وفي خلال ذلك ضرب الامير السكة الحمديدية التي يوجد بعضها الآن . وخدم الالات الحربية على الطراز المتقن . ولما اظهر شجاعته وكان هو القائم بامور قومه قال متحدثا بذلك :

ومن عادة السادات بالجيش تحتمى وبى يحتمى جيشى وتنصر ابطالى

وفي اخر الامر اتاه جيش من مراكش من خلفه . ففاوض اعيان من كانوا معه في ان يستامن دولة فرانس فوافقوه على ذلك فخابر قائد الجيش الفرنسي فاجابه على شروط بينهم ثم خصصوا له مركبا وحملوه ومن معه وكانوا ينيفون على الثمانين نفسا الى بلدة طولون وبعد ستة اشهر نقلوه الى انبواز فاقام فيها اربع سنين وستة اشهر فنقله نابليون الثالث بعد ان أكرمه ورتب له في كل سنة خمسة آلاف ليرة واخذ عنه العهد ان لا يعود الى الجزائر فسافر الى الاستانة .

اما ليون روش فانه حين نشبت الحرب بين الجانبين فر هاربا وخان الامير وكان عينا عليه لجيش الفرنسيين . ثم عارض اهل الجزائر الدولة الفرنسية في ان يسوغ لهم الخضوع لها لان الدين يمنعهم من ذلك فكان جواب الدولة المذكورة ان الدين لا يمنع ذلك حيث كانت صاحبة قوة . فاستقر الامر على الاتيان بفتوى (1) من علماء المسلمين في ذلك . وتوجه

روش المزبور الى القيروان ومصر وحصل من علماءها على الفتوى المقصودة والضالة المنشودة . وسافر الى الحجاز ليقوى تلك الفتوى من علماء مكة والمدينة . فدخل الحجاز وزار الحرمين ونزل على شريف مكة محمد بن عون بتوصية من المسمى فريسnel الذي كان قنصلا بالمركز الفرنسي بجدة وكانت له صحبة مع الشريف المذكور ولكن فضحه بعض الحجاج المغاربة فكاد يموت فخلصه الشريف منهم واكرمه وارسله الى فرسnel ورجع بمقصوده الى الجزائر .

وفي عام 1249 هـ / سنة 1834 م ، خرج الشيخ احمد من تفرقت وتولى امرها بعده الشيخ عبد القادر ، والله اعلم .

٢ - عندما واجهت سلطات الاحتلال الفرنسي للجزائر مقاومات عنيفة متتالية وثورات عديدة قام بها الجزائريون هنا وهناك بالتراب الجزائري لجأت الى اقناعهم بالاستسلام اعتمادا على فتوى دينية . وللحصول على الفتوى المذكورة اوفدت المسمى ليون روش الذي تظاهر بالاسلام واعطى لنفسه اسم الحاج عمر اوفدته الى القيروان حوالي سنة 1841 ، وطلب من علماءها فتوى تتضمن عدم جدوى مواصلة الجزائريين في حربهم ضد فرنسا . ومن القيروان انتقل لنفس الغرض الى الحجاز ثم عاد الى الجزائر وقد نال غرضه . لكن ذلك لم يثن الجزائريين عن مواصلة كفاحهم التحريري ، كما سيأتي ذكر ذلك .

فتوى سيدى ابراهيم الرياحى (1)

كان احد القماريين اشترى نخيلا منذ امد من احد التاغزوتيين وكان محبسا عليه فخدمه المشتري وغرس فى ارضه كثيرا من الاشجار . وكان اهل قمار واهل تاغزوت جعلوا بينهم شروطا من جعلتها ان الارض التى يشتريها اهل قبيلة من لآخرى لا ترد ولو كانت محبسة قطعا للفتن بينهم . فنبذ ابن ابن البائع (حفيد البائع) ذلك الشرط وطالب القمارى برد الارض له وابطال البيع فامتنع المشتري او ورثته . ففضى الامر الى استفتاء من له النظر فاتفقوا على رجلين احدهما من قمار والاخر من تاغزوت فافتيا بامضاء البيع فلم يقتنع قوم القائم بذلك وطلبوا توجيه الاستفتاء الى تسونس .

وكان للتاغزوتى معرفة بالشيخ سيدى ابراهيم الرياحى من وقت زيارته لسيدى الحاج على التماسينى رضى الله عنه والقمارى هو الذى كتب المسالة وجوابها . فوجه تلك الفتوى له فى ذى الحجة من عام 1255 هـ / سنة 1839 م . وبقوا ينتظرون الجواب عنها زمنا طويلا . ثم اتاهم ما يترقبونه فى أواخر عام 1256 هـ / سنة 1840 م بابطال فتوى المفتيين المذكورين وارجاع الملك الى صاحبه الاول فاتخذها التاغزوتى حجة . وعزم على اخراج القمارى منه ولو قهرا . لكن قبل ذلك دخل بينهما ذوو الحخير والصلاح فاصطلحا على اعطاء القائم شيئا من المال وترك النخيل لمشتريه . وقبل كل منهما رأس صاحبه وما افترقا الا عن تراض . وساذكر هنا تلك الفتوى وان بها طول قصد افادة المطلعين اذ كثير من الناس فى ارضنا يقع لهم مثل ما فى الفتوى المذكورة ولا يهتدون لسبيلها والله الموفق .

وصورة ذلك :

1 - الشيخ سيدى ابراهيم الرياحى من العلماء الاجلاء التونسيين ، عرف بصلاحه وغزارة علمه لا سيما فى الفقه والشريعة الاسلامية . وضيحه الآن بتونس العاصمة . وسُميت الطريق التى بها ضريحه باسمه .

سئلت عن مسألة هى ان رجلا اشترى من رجل ارضا مشجرة نخيلا ببلد قمار احدى قرى سرف والبائع له من بلد تاغزوت احدى قرى سرف ايضا . والجال ان الارض المذكورة محبسة على البنين دون البنات . والمحبس عليه هو الذى باعها الى التاغزوتى فابتاعها (اشترها) منه القمارى . وذلك ان القبيلتين المذكورتين بنوا بينهما عرفا اذا ابتاع منهم احد ارضا من اهل تاغزوت والارض محبسة فلا يفسخ البيع فيها بل يمضى بيعها بينهما دفعا للفتن وقطعا للخصومات بينهما . فاشترى الارض المذكورة السائل المذكور من التاغزوتى منذ سنين عديدة فقام الان ابن المحبس عليه يريد فسخ البيع الواقع فى الارض المذكورة هل له ذلك ام لا ؟ .

فأجبت (أسند الاجابة لنفسه خاصة لانه المباشر لذلك) ان هذا البيع صحيح معمول به شرعا من وجهين الاول لما جعله اهل قمار واهل تاغزوت من تحليل بيعهم الحبس لبعضهم بعضا . وبنوا عرفهم على ذلك خشية الفتن . ولا شك ان الضرورة تبيح المحظور ولا ضرر اعظم من الفتن فبنوا ذلك ارتكابا لاخل الضارين عند التقابل . ألا ترى انه لا يجوز للقاضى أن يدعوا للصلح ان ظهر وجه الحق لقول ابى الضياء خليل بن اسحاق فى باب القضاء ولا يدعوا للصلح ان ظهر وجهه . واستثنى منها مسائل حيث قال وامر بالصلح ذوى الفضل والرحم كان خشى تفاقم الامر . قال الشيخ عبد الباقي فى حله عنه هنا اى الفتنة بين المحكوم عليه وله فيا من بالصلح لكن فيها وجوبا دفعا للمفسدة . وشرح خليل الذين بين ايدينا كالشيخ عبد الباقي . والشيخ بركت بن عبد الرحمان بن باديس ، وبهرام ، واخرشى ، والمواق والشيخ داود الانطاكي كلهم مطبقون على ذلك فانظر رحمك الله كيف تعين الصلح مع ظهور الحق وما ذلك الا خشية تفاقم الامر ليس الا . فما بالك بالخصام بين القبيلتين المذكورتين . فلذلك كن من المعلوم عندهم ان الرجل منهم اذا احتاج واراد بيع نخيله المحبس عليه وعلى آباءه فيبيعه لرجل من اهل تاغزوت فينحل الحبس به ولا تقع فيه خصومة اصلا ويصير كالا حبس فبهذه طريقة احباسهم يشهد بها العيان . فهذا عرفهم الذى يسرع له الفهم ، ويتعقله الذهن ولا شك ان العرف اصل من اصول الشريعة يرجع له عند التعذر . تامل قول الشيخ عبد الباقي ايضا فى باب الوقف (الحبس) حيث قال : ثم اولاد اولادى وهذا ما لم يجز العرف بخلاف ذلك فيعمل به لان الفاظ الواقفين مبناها على العرف . تامله بانصاف . فن قلت اذا كان العرف جاريا كما قلت هكذا فلم تكلم هذا القائم لان وهو من اهل تلك البلدة وعلا عمه ما عمهم ؟

قلت : هذا القائم رجل انتقل من بلده وتعصب بالغير فخشينا من الغير ان لا يراقب عرفنا وان كان يجب عليه قول التثاني والقرافي في قواعده اى فروقه فلا يحل للمفتي ان يفتى بالطلاق حتى يعلم العرف في ذلك البلاد وجميع الاحكام مبنية على العوائد اى العرف فانظره ان شئت عند قول الشيخ خليل في باب الطلاق « او برية او خلية او بائلة » وهذا ظاهر جدا في غاية الظهور فلا تطيل بنظائره .

الوجه الثانى : مقصد الحبس ايضا فهو مفسد للحبسية حيث خص بها الذكور دون الاناث حسبما نص عليه الشيخ خليل عاطفاً على مبطلات الحبس بقوله : « على بنيه دون بناته » والشيخ عبد الباقي في حله هنا عنه فان وقف على بنيه وبناته جميعا وشرط من تزوج من بناته لا حق لها في الوقف وتخرج منه فانه باطل لانه اخرجهن ابتداء كما في التثاني . زاد في العتبية انه يبطل اذا شرط ان من تزوجت من بناته بطل حقها وقال : ويدل عليه رواية ابن القاسم انه من عمل الجاهلية .

الحاصل ان جميع احباس اهل بلدنا كلها المقصود بها اخراج البنات والاضرار بهن لانه لما حبس على الذكور خصة دل على قصد الضرر وهو باطل ايضا لقول الشيخ عبد الباقي عند قول خليل في باب الوصية ما نصه : « ان لم يجز للمساكين او المجاهدين ونحوهم بطأت لانه لما بت بذكر الوارث دل على قصد الضرر وما قصد به الاضرار لا يمضى لقوله تعالى في حق الموصى « غير مضار » ولجز « لا ضرر ولا ضرار » . تأمل صحة البيع المذكور من هذه الحيثية ايضا لانه لما كان في نفس الامر الحبس المذكور غير معمول به شرعا صار البيع فيه صحيحا لما علمتم من ان المعدوم شرعا كالمعدوم حسا .

حرره الاخضر بن احمد بن حمود السوفى القمارى عام 1255 وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله .

وبعد ذلك الحق الاخضر المذكور برسالته ما نصه :

« وقولى : وبطل على بنيه دون بناته على ما درج عليه الشيخ خليل لانه المبين لما به الفتوى وهذا مما لا خفاء فيه كما قال زروق على الوغليسية وانما ذكرنا كلام الشيخ خليل لان ما فيه هو المعمول به في الفتيا » .

ثم زاد قوله :

« الى الشيخ العلامة النقاد والكوكب الوقاد سيدنا ابراهيم الرياحى من كاتبها محبك الاخضر بن احمد ، السلام عليكم ورحمة الله ، وبركاته وبعد ما قولكم فيما اُجبت به السائل فان كان صوابا فهو من فضل الله وان كان

غير ذلك فارشدنى لله والسلام عليكم من كافة الاحباب .

فأجابه الشيخ ابراهيم الرياحى بعد الحمدلة والتبصيرة بما نصه :

« فقد اطلعت على ما كتبت فظهر لى انه لا يجوز فتح هذا الباب فانه يلزم فصرم الشريعة عروة عروة فان لم تهتك صلحا هتكت عنوة اذ يمكن ان تتفق جماعة على ترك الصلاة المفروضة وان من صلى تقوم بسبب صلاته فتنة . وهكذا سائر الواجبات فعلا وتركها . ومعلوم ان المحافظة على الدين مقدمة على المحافظة على الدماء . وهذه الفتوى التى ارتكبتها بالنظر الى الوجه الاول من قبيل الاستصلاح اى مراعاة المصلحة وهى من شأن المجتهدين المطلعين على مقاصد الشاروع لا من شأن اضعف المقلدين امثالنا .

قال القرافى في الفرق بين قاعدة من يجوز له ان يفتى ومن لا يجوز له ذلك :

اعلم ان طالب العلم له ثلاثة أحوال :

الاول : ان يشتغل بمختصر من مختصرات مذهبه فيه مطلقات مقيدة في غيره وعمومات مخصصات في غيره فيحرم عليه الافتاء به وان أجاده حفظا وفهما الا في مسألة يقطع فيها أنها مستوعبة التقييدا تحتاج الى كتاب آخر فينقلها لمن يحتاجها على وجهها وتكون هى المسألة المسئول عنها لا مشبهة ولا مخرجة .

الثانية : ان يتسع تحصيله في المذهب بحيث يطلع على تقييد المطلقات وتخصيص العمومات لكنه مع ذلك لم يضبط مدارك امامه ولا مستنداته في فروعه متقنا بل سمعا من حيث الجملة من افواه الطلبة والمشائخ فهذا يجوز له الافتاء بما يحفظ من مذهبه اتباعا لمشهوره ولا يشبه ما لم يحفظه بما حفظه لان ذلك انما يصح بمعرفة مدرك امامه وادلته وقيستيه ومعرفة رتب العلل ونسبتها الى المصالح الشرعية ، وهل هى من باب الضروريات او الحاجيات او التحسينات الخ . . . ما قصد منه فانظر رحمك الله من اى حالة من تلك الحالات انت ولعلنا جميعا لم نصل الى الحالة الاولى فضلا عن الثانية فينطبق علينا قول القائل :

عليك بطورك لا تعده ودع من سواك لاطواره
فمن شذ عن طوره يفتضح وتبدو حقائق اسرار
ويأتيه غير جهول به بين له كنه مقاداره

واما استنادك الى العرف واستدلالك بكلام القرافى فغير صحيح لان كلام القرافى وغيره في عرف يخصص العلم ويقيّد المطلق كما في باب اليمين وفي عرف لاحد المتداعيين ونحو ذلك مما لا يمكن حصره . واما عرف يبطل الواجب

ويبيح الحرام فلا يقول به احد من اهل الاسلام . واما استنادك الى المحبس
قصد اخراج البتات . . . الخ فلا يجدي نفعا لان العمل جرى بمضيه خلاف
ما في المختصر وما جرى به العمل من الخلاف مقدم على غيره ولو كان الغير
مشهورا ولهذا اعتنى العلماء بالتصنيف فيما جرى به العمل فقط . على اننا
اذا قطعنا النظر عن تقديم المعمول به على غيره ودرجنا على قول خليل بالبطان
فانه لا يصح بيعه قبل حكم حاكم بفسخ الحبس لان المسائل الخلافية لا
تجعل كالمعدوم حسيما ، وحينئذ يجوز بيعه . والحاصل ان بيع الحبس
المذكور لا يجوز . والمصلحة التي اشترتم اليها وهي حفظ الدماء تتوقف صحة
مراعاتها على الاطلاع على مدرك الالمام والتيقن بانه لا معارض لتلك المصلحة
ولا شبهة تمنع من مراعاتها .

هذا ما ظهر لمزجي البضاعة ابراهيم بن عبد القادر الرياحي مسلما عليك
وعلى سائر الاحباب .

وبعد كتبني ما سطر تذكرت فتوى مسألة الشيخ ابن محسود وهي قرية
من فتواك ولندكرها ثم نذكر ما رد به عليه . قال في المعيار : وسئل سيدي
على بن محسود رحمه الله عن ارض المساكين المحبسة عليهم هل يجوز بيعها
في مثل هذه السنة بما نزل بهم من الخصاصة فاجاب بقوله : بيعها في مثل
هذه السنة لعيشتهم وحياة انفسهم افضل عند الله من بقائها على هلاكهم .
وقد امرت ببيع كثير من هذه السنة . وقال الامام الوزير عبد الرحمن
الفنسي : لا اعرف مستندا لهذه الفتوى ولعلها اجتهاد في هذه النازلة . نعم
مستندها في الجملة اعتبار المصالح المرسله وهي اصل في مذهب مالك بل
المصلحة في ذلك ضرورية ، فهي اولى بالاعتبار من المرسله كما تقرر في فن
الاصول وهي جارية على ارتكاب أخف الضررين . اهـ . باختصار

وكتب عليه سيدي عمر الفاسي رحمه الله ما وجه به هذه
الفتيا من الاستصلاح انما يتم لو سلم ابن محسود من اهل
الاجتهاد المطلعين على موارد الأدلة العارفين بمقاصد الشريعة
والا فمن اين للمقلد ان يخرج او يدعى غلبة الظن . ان هذه
المسألة اي المصلحة فيها تحصيل متصود الشارع وانها لم يرد في
الشرع ما يعارضها ولا ما يشهد لالغائها مع انه لا بحث له في الأدلة ولا نظر
له فيها . وهل هذا الا تجرى على الدين واقدام على حكم شرعي بغير يقين ،
الى اخر ما نقله عن الغزالي ، وابي الحسن الايباري وامام الحرمين من النقول
التي مرجعها الى ان اعتبار المصالح انما هو شأن المجتهدين المطلعين على مقاصد
الشارع اذ ليس كل مصلحة يصح اعتبارها فتأمل ذلك حتى التأمل فانه
يزيدك بصيرة فيما قررناه لك ، والله اعلم .

واقعة أهل الوادي مع الشيخ علي

جاء في مخدرة الشيخ العروسي وكذا في كفاشه بعد أن خرج الشيخ أحمد
من نقرت توجه الى الذاحية الشمالية وأوصى بعض أهل كوينين بنقل والدته
اليهم وهي أم هاني بنت ابي الضيف مع زوجته عالية بنت الحاج السعيد ،
وأبنائه الشيخ علي والشيخ عبد الرحمن ، والشيخ عومر ، والشيخ محمد ،
فامتثلوا لوصيته وأقروهم في منزل يليق بهم وأكرمهم اكراما وافرا .

وحين استقر قرارهم أرسلت والدته خفية من يأتي لها بمالها المخبوء
بمنزلها الذي كانت فيه بتقرت . فوصل الرسول وحفر على الاشياء وأخرجها
من الارض وخرج بها من تترت ليلا . فعلم به ابراهيم بن الحاج فأرسل في
اثره انسانا يشبه سليك بن السالكة (I) يسبق الخيل يسمى عبد الجواد
ابن محمد بن عبد الجواد فأدركه في آخر النخيل فأخذ ما عنده وأطلقه .

وكان الرسول حين أحس بالجرى وراءه اسقط بعض الاشياء في حافة
الطريق بانجراف رجع اليها بعد ساعة وأخذها وأتى بها الى صاحبتهما بكوينين .

ومن جملة الاشياء التي أخذها عبد الجواد صندوق صغير (ربعة) به ستة
عشر ألف محبوب وخمسائة ليرة وستون بندقية تساوي كل واحدة الآن
خمسائة فرنكات ، وزوجان من اخراص الذهب الكبار وخمسة عشر عقدا من

٢ - سليك بن السالكة او السلكة كان في عصر الجاهلية معروفا بتفوقه في العدو اي اسرع
الناس جريا على الاقدام وكان الى جانب ذلك اكثرهم خبرة بالطرق ومسالك الارض .

الجوهر ، وستة عشر قرطا متوسطا وخلقخالان اثنتان وثلاثة معاضيد فضة وغير ذلك .

ولما أفضت ولاية تشرت الى الشيخ على أراد الثأر ومتابعة محبى خصمه فجمع جندا عظيما وأتى به الى الوادى على حين غفلة وأهله متفرقون بالصحراء والاسفار . فقتل من وجده من اصدقاء خصمه . ووقعت أيام متوالية بين الجانبين ينخدل فيها كل مرة جماعة الوادى . وفي آخر الحال انعكست القضية ودارت الدائرة على قوم الشيخ على . وحين تيقن الشيخ على بعدم النيل ، ووجود الميل فر بقومه ليلا الى تشرت . وكان ذلك فى عام 1256 هـ/سنة 1840 م ، والله أعلم .

اضطراب أهل سوف

فى زمن ولاية نجيب باشا على طرابلس بلغه أن الشيخ غومة المحمودى يجمع جموعا يريد الاجلاب بها على الحكومة . فأسرهما فى نفسه يتربص الفرصة للقبض عليه .

وفى شهر صفر من عام 1251 هـ/سنة 1835 م أتى الشيخ غومة ورؤساء قومه الى الوالى وأعطوه الطاعة والانقياد فكساهم واهدى لهم البرانيص ، ثم سجن الشيخ غومة أياما حتى أخذ عنه العهد بعدم الثورة بشرط اعطاء الآخر ما كان يعطيهم من كان قبله .

وفى عام 1252 هـ/سنة 1836 م (I)، رجع الشيخ غومة الى ما كان عليه ف وقعت بين قومه وقوم طاهر باشا حروب . كان الظفر فى آخرها للشيخ غومة فغنم هجمات حربية كثيرة ومؤنا ومدفعا .

1 - فى هذا الظرف بلغ جيش الاحتلال الفرنسى للجزائر ابواب قسنطينة التى حاصرها مرتين الاولى سنة 1836 والثانية سنة 1837 م . وقد قاوم صاحب قسنطينة احمد باى القوات الفرنسية بكل ضراوة وصمد فى وجهها صمود البطال بفضل مشاركة اهالى قسنطينة الذين استبسلوا فى المعركة . ولم يتمكن الفرنسيون من الاستيلاء على المدينة الا بمشقة وبعد القتال من حى الى آخر .

وفى هذا العهد كان الفرنسيون قد اعترفوا بالامير عبد القادر رئيسا واميرا على دولة حاكمة بالتراب الجزائرى ذات حدود معينة لكن هذا الاعتراف قد نقض بعد ثلاثة اشهر من طرف المحتلين قصد مواصلة اهدافهم التوسعية . وكانت منطقة تشرت وسوف وما والاها حينئذ - وبعد ذهاب الاتراك - تحت مفوذ احمد بلحاج خليفة الامير ، عبد القادر . وكان مركز خلافته منطقة الاوراس . وعندما بلغت قوات الاحتلال منطقة الاوراس قاومها اهالى المنطقة مقاومة نادرة المثال وجرت بين الجانبين معارك طاحنة زمنا طويلا كان اثناءه اهل سوف يمدون اخوانهم فى الاوراس بالاسلحة التى كانوا يجلبونها من الجريد . ودام ذلك الى ان اكتشف الفرنسيون امرهم فنصبوا لهم المكامن وشاهدوا الحراسة فى جميع الطرق الآتية من سوف فاستولوا على كثير من القوافل الحاملة للأسلحة والذخائر وسروا اصحابها . وفى النهاية استولى الجيش الفرنسى على منطقة الاوراس ولما خليفة الامير الى سوف . وبعد الاوراس قصد الجيش الفرنسى منطقة بسكرة فدخلها سنة 1844 .

ثم فى عام 1255 هـ/سنة 1839 م ، قدم المذكور فى جموع عظيمة يريد بها طرابلس فوصل الى وادى الهميرة ، فخرج له القائم مقام بكر بك فى عساكر كثيرة ، والتقى الفريقان نحو خمس ساعات وفى الحتم انهزم بكر بك وجنوده . وضبط الشيخ غومة الزاوية والعجيلات وزوارة . وعندئذ بعث بعض الولاة من يسعى بين قومه فى الاستمالة فتم له ما أريد واختلفت كلمة القوم واقتتلوا أياما ثم تفرقوا وجنح بعضهم للطاعة والخضوع . وبلغ خبرهم الى من دبر ذلك فأرسل أحد عماله لئثال المارقين ففتح هـ حجز أولا وفر الشيخ غومة الى الجبل مكسور البال .

ثم فى تام 1257 هـ/سنة 1841 م ، خرج أحد العمال لفتح الجبل فلقبه غومة فى جموعه وتواقعوا ودارت بينهم حروب شديدة انهزم فيها غومة ومن معه بعد أن مات كثير من اصحابه وأسر منهم نحو السبعين نفرا قتلوا أيضا بطرابلس .

وفى ذلك الحين التقى الشيخ غومة ومن معه بجماعة من طرود فى الصحراء القبلية وطلب منهم التعصب معه على ما يريد فطلبوا منه التوجه معهم الى وادى سوف فأجابهم الى ذلك وطار خبره الى سوف فاحتار أهلها حيرة كبيرة وبعث بعضهم الى ولاية تقرت يستجيرون بهم اذا جاء هذا الرجل فحصلوا على الكفالة منهم ، ووعودهم بالاتيان اذا وقع حادث .

وفى أثناء اقامة غومة بأرض سوف ولد له طفل سماه محمد السوفى يوجد الى الآن بنواحي طرابلس . ثم وقع وباء الجدري فى سوف أهلك كثيرا من الصغار ولحق بعض الكبار ولى الآن يعرف ذلك بعام الجدري ، فانتقل الشيخ غومة من أجله وقارب الوصول الى أطراف طرابلس كالعادة فاستقدمه الى العاصمة أحد العمال بأمان وذلك بواسطة مصطفى بك قورجى فقدم وعظم منزلته وسماه قبوجى باشى . وولاه عضوا بمجلس الادارة وذلك فى حدود عام 1258 هـ/سنة 1842 م .

وفيهما حصل خلاف وعدم وفاق بين غومة واللواء احمد باشا فالتقى القبض عليه ثم نفاه وناققت لذلك المحاميد وأهالى الجبل .

وفى أوائل عام 1259 هـ/سنة 1843 م ، خرج لمحاربتهم نائب العامل بجموع عظيمة والتحمت الحروب بينهم ومات الكثير من الفريقين وفى النهاية جنحوا للسلم وطلبوا الامان فأمّنهم ولم يسكن خوف بعض أهل سوف الا بعد أن سمعوا بنفى الشيخ غومة وحصلت الراحة زمنا يسيرا ، وربك الفعال لما يريد لا يسأل عما يفعل . والله أعلم .

الزوابع فى سوف

قال فى كتاب « المهمل العذب » : « بعد أن حصل اليقين بنفى الشيخ غومة وانه لا يرجع الى سوف أرسل من مكان احتمى أولا ببعض الثمريين اليهم ليتمكنوا من غيرهم » .

وحينئذ وقعت نفرة كبيرة بين أهل الوادى وغيرهم من قرى سوف فسعى أهل الخير فى ازالته وطفاء شرارته . ولله الحمد .

وفى حدود عام 1266 هـ/سنة 1850 م (1) وقع وباء الكوليرة بافريقية فأتى رجل من المرازيق مريضا بها ونزل بغوط أولاد شبل الآن الذى بلرققات فأذه أناس يعودونه فمرضوا أيضا بالكوليرة حتى فر الناس من الغوط المذكور . ومات الرجل وحده هناك ولم يطلعوا عليه الا بعد ثلاثة أو أربعة أيام وقد تغيرت رائحته فالقى عليه التراب بمحله والى الآن توجد بعض عظامه . وانتشر ذلك الوباء فى الوادى ثم عم سائر ارض سوف ومات منه خلق لا يحصى عددهم الا خالقهم . حكى ان الذين يذهبون لحفر القبور لا يعودون الى منازلهم من طلوع الشمس الى غروبها فكلما انتهوا من حفر قبر تأنيهم جنازة أخرى . واسترسل ذلك زمنا . والكوليرة المتقدم ذكرها هى الاولى واما الاخيرة التى لم تصل الى سوف فهى عام 1282 هـ/سنة 1866 م .

1 - فى هذه الفترة الزمنية كانت الثورت المسلحة ضد الاحتلال الفرنسى فى اغلب المناطق الجنوبية . وفى سنة 1849 م كانت ثورة الزعاطشة احدى واحات بسكرة يقودها بوزيان وقد اضطر القائد الفرنسى فيها الى قلع النخيل واحراق المباني . وفى آخر الامر استشهد بوزيان . وفى سنة 1852 م ، كانت ثورة اهل الاغواط فقاوموا المحتلين مقاومة بطولية الامر الذى جعل الغزاة يلجؤون الى الابادة الجماعية .

واستمرت الرائحة الى عام 1271 هـ/سنة 1855 م (2) ثم فر الشيخ غومة من منفاه وأتى الى أهل الوادي بالصحراء فأكرموا ماثواه وعظموا منزلته وبنى مستورا عندهم زمنا . قال الشيخ نصر : وفي هذا الوقت ولد محمد السوفى لا فى المرة السابقة . والله اعلم .

ووقعت حينئذ بعض ألقاقل بسوف تخوفا من الرجل ومن تعصب معه . لكنه حيث كان أسفا على وطنه لم يستقر له قرار طيب فرحل مع بعض الطروديين الى ضواحي تونس ونزل بمطماطة وكتب الى الوالى يلتمس منه العفو والاستخدام فلم يقع طلبه موقع القبول فقدم بمن معه الجبل والتفت حوله قبائل نالوت وقاباو ويفرن ومن كان بتلك الضواحي من العربان . ثم فى رمضان من السنة المذكورة قدم فى جموعه الى مركز متصرفية الجبل وحاصر المتصرف فاستند الوالى فبعث له الامير الاى اسماعيل بك وقائم مقام الطوبجية المسمى مصطفى بك وكومندان خيالة العرب محمد أغا انديشة فى العساكر فزحف اليهم غومة فى جموعه بموضع يعرف بالرومية وتحاربوا محاربة شديدا هلك الكثير من العساكر وانهزم مصطفى بك وقدم غومة مركز متصرفية الجبل فاقتحم المتصرف وضبط ما كان فيه من المهمات والمدافع وغير ذلك .

ثم أرسل المهمات بتمامها الى والى الولاية مع عريضة التمس فيها العفو والاستخدام فلم يقبل أيضا طلبه فاستمر غومة فى سيرته واستفحل أمره وضبط كافة الجبل وأتاه أهالى غريان بطاعتهم وخضوعهم له فقبلهم وفى ذلك العهد رجع من كان حيا من الواديين الى سوف بعد ان أعطاهم هدايا عظيمة وكلفهم بتبليغ سلامه الى كافة أهل الوادى .

بلغنى أن الرسالة التى وجهها لهم توجد بطنى بعض كتب السيد عطاء الله ابن الجديدي التى صارت الآن فى حوز عمر بن مسعود .

ثم أن الشيخ غومة ذهب الى الزاوية وانتهى الى قريتي ورشفاة وجنزور وانضمت اليه أهالى تلك النواحي . فزحف اليه عبد الله باشا وأحمد باشا

2 - تار الشيخ غومة المحمودى فيما بعد على كل من باى طرابلس وباى تونس ، وميدان نشاطه طرابلس والجنوب التونسي ومنطقة سوف . وللشيخ غومة ابن اسمه محمد السوفى سمي بذلك لانه ولد بتراب سوف . اما المسمى باى سوف فهو حفيده اى ابن ابنه ، وهذا هو الذى كان حاضرا سنة 1920 م فى معاهدة لوزان التى فرضت حماية إيطاليا على طرابلس ، كما ذكر ذلك الدكتور احمد تاجع

بالعساكر فلقبهم بجموعه فى قرقارش والتجم القتال بينهم فانهزم غومة وهلك الكثير من قومه وفر الى الجبل .

وفى عام 1272 هـ/سنة 1856 م ، خرج قاسم باشا فالتقى بأقوام الشيخ غومة بالرومية أيضا فتواقعوا الحرب نحو تسع ساعات ذلك فيها الكثير من قوم غومة وانهزم الى فساطو ثم أرسل له الوالى برنوصا محلى بالفضة وحصانا من جياد الخيل مع بعض الاعيان وأخذ عليه العهد بالخروج من الجبل وان لا يعود اليه فيما بعد وان لا يتعاطى ما يكدر صفو الامن ويخل بالراحة فخرج من الجبل فى سبعين نفرا من اصحابه ونزل باطراف انظر التونسي من جهة الاعراض وسدات السيارات بينه وبين أهل الوادى . وذهب اليه الزائرون منهم ببدايا فخيمة . وكاتب الباي ليقبله أو يشفع فيه عند الباب العالى . وتوسل فى مطلبه بقنصل فرنسا . فأتى الباي وحضه على قبوله فقبله . وكاتب الباب العالى شافعا فيه فاجيب بعدم القبول وان من اللازم اعانة باشا طرابلس على القبض عليه . فانف لنته ان تخفر وبنى غومة فى محله والتفت حوله جموع بسلاحهم . فأحس منه الباي بمبادئ الشر فكاتبه أن يرحل الى داخل العمالة قرب القيروان أو الحصرة . فتعلل غومة بكثرة مواشى من معه وان الارض هناك لا تسعهم .

ولم يزل يجسح حوله العربان ويستملهم بالتنفير من أداء الغرامة حتى تفاقم الامر وكاد أن يتسع الحرق على الراقع . فلزم الباي حينئذ تلافى الحال ودفع الضرر قبل استفحاله فجهز له محله عظيمة . ولما وصلت الى نواحي غومة كتب اليه أميرها مخيرا له بين الارتحال الى داخل العمالة أو البعد عن أطرافها وان خشى يبعث معه من يوصله لمنجاته . فتعلل غومة وأفضى الحال الى القتال فى مفاوز الصحراء زمنا طويلا . وفى آخر الامر تشتت أقوام غومة بعد أن مات منهم جم غفير وفر هو ناجيا بنفسه حتى اتصل ببعض النوايل أبلغوه الى صحراء سوف . فراسل جماعة من الوادى الذين يعرفهم فأناه بعضهم وتوجه بهم الى نواحي غدامس فغزا قائمقاميتها وضيق عليه وأخذ كثيرا من مهماته وذخائره وزبر بعض النخيل ونفر عاملها الى العراء . فاتصل خبره الى والى الايالة فوجه اليه عثمان باشا الذى هو الوالى اللواء مصطفى باشا فى عساكر طميمية ومعه على بك رئيس الازابودى . والحاج احمد الاذغم . فالتقوا فى محل يقال له وادى وان . وحمل الوطيس بينهم ومات من كل طائفة أناس ، وفى الحتام قتل غومة هناك . فتفرقت جموعه ورجع كل فريق الى منزله .

وتأسف بعض أهل الوادي لفقدان الشيخ غومة تأسفا عظيما حيث كان بعضهم من قبيلته كما سيأتي وبعضهم من جنده وعصبيته .

وكان ذلك في أواخر عام 1274 هـ ، وقيل في شهر رجب من سنة 1658م . ومن شعره الملحون (3) حين أسر ونفى وكان مارا على سوق الثلثاء بطرابلس :

جزناك سوق الثلاث اقباله غلب سلطنه ما هو غلب رجاله
وقل حين ضيقوا عليه المجال وارادوا قتله وقد اشر عليه بعض اصحابه
بالهروب لينجو من ذلك :

يا نفس رومي للرصاص الطايب وهروبك قدم لعداء خايب
الرب يقتل والرصاص اسديب عمر الى قصر ما طولاته ذل

ومن شعر السوفي (4) في الحرب الطرابلسية التي جرت يشجع القوم على صد العدوان وحماية الاوطان قوله :

3 - الشعر الملحون : سماعه اسهل للفهم من قراءته لان كتابته لا ترضخ الى قواعد عربية صحيحة ، قيل ان الشيخ غومة عندما سجن مرة وضع في بئر بالسجن . ولتمكينه من الهروب عمد انصاره الى حفر دهليز (نفق) من خارج السجن يؤدي الى البئر . ومنه خرج الشيخ غومة فعلا . ولما تيقن بالنجاة قال اثناء امتطائه جواده الذي كان في انشاء الابيات الشعرية الملحونة التالية :

سأهل على ربي وقريب خيره
يدور الفلك بين السدى والغير .
ما بين السدى وخيوطه
وبين شبح العين الفوق والوطه
ما بين الطير اتجى مخطوطه

4 - ان القصيدة الحمائية المذكورة لم تكن لمحمد السفة في المذكور بل هي للمؤلف نفسه قالها اثناء الحرب بين طرابلس وإيطاليا . وهي قصيدة طويلة لم يسجل المؤلف هنا الا البعض منها . وان نسبها لمحمد السوفي فذلك من قبيل التسخر به نظرا لظروف المؤلف الحرجة اذذاك والمتمثلة في مؤامرات السلط الفرنسية المحلية ضده . وقد بعث المؤلف كامل القصيدة الى طرابلس وأهل غريان منهم خاصة يحثهم على الصمود في القتال وصد الغزاة عن الوطن فانتشرت القصيدة هنا وهناك وكان لها صداها ووقوعها لدى الاوساط الليبية . وقد عرف عن المؤلف الكثير من القصائد في الشعر الملحون سواء في الحماس او المدح او الهجاء او الرثاء او الغناء . والكثير من قصائده في الغناء بعد ان لحنها بنفسه صارت تغنىها النسوة في الافراح ولم تزل لحد الآن كما وجدت بمكتبة المؤلف مخطوطا ضمنه شعره الملحون يحتوي على احدى وعشرين قطعة شعرية في مختلف الاغراض .

يا ليت في غريان سمح الطلبة
لحزان تذهب والدرك يجلسه

يا ليت في غريان لي رباعه
الباجي العايط يبدروا فزاعه

يا ليت في غريان لي رفاقه
لا يرفعوا لواء لا بندقه

يا ليت في غريان ياتي صغرى
يصلوا العدو صمصام حرق النار

يا لندرا غريان باتش فايز
بابور دولي بالمراكز جازين

يا لندرا غريان باتش نايم
يصبح بحرنا بالبراط عايم

يا لندرا غريان باتش هاني
بالموت والتجريح والفرقان

يا لندرا غريان باتش عالي
مخنول بين الناس كالزوالى

يا لندرا غريان باتش رايش
منكوب من سلطان اليهم غايظ

يا لندرا غريان باتش هادي
جاته جماعة اذلال من لوغاد

يا لندرا غريان باتش زاهي
وعدوه حازن في المصايب لاهي

يا لندرا غريان باتش شاره
من حرب زادت علحبش مكاره

دورات تبسرى كامنات العلة
ونصير في نزعات كيف العيد

من الصغر ثاروا ملازمين الطاعة
يقسوا العدو عن رفعة التقعيد

من الصغر ثاروا للعدو فلاقه
كان الثمانيات صنعة سيدي

يصفوا كلامي يحضروا في نهاري
يحموا رجالي نوشة التصهيد

في المسال يحمل والغنائم حائز
من غير توقيف ولا تحييد

وبسات ضده في لهوم يلايم
فيه للباير هاربة ابتديد

وبسات ضده في لهوم يعاني
والمال يغدى وزايد التنكيد

وبسات ضده في لهوم يكالي
ما ينصراش رفيق بالتوديد

وبسات ضده من الغلب يتفايض
قومه ينادوا بكلمة التوحيد

بعد الزعازع من طمع الاعادي
من رعبهم يتسوا على التسنيدي

با فخر جات الناس بيه اتباهي
واملام من الجناس بالتفنيدي

وعدوه من لكاد قلبه داره
جاحيه مخلوع بالتهديدي

يا لندرا غريان باتش طارب
ضاقك عليه اليوم كل مسارب
يا لندرا غريان فيكش ظنى
تنصر علم الدين تقلب عنى
يا لندرا غريان فيكش نعره
شجعان ما يولوش وقت الدغره
انا ريت يا غريان تحمى داسك
تمسى اتغافى فى السما ابقتاسك
انا اتقول يا غريان ماكش واطى
ييدا ذيل الناس فيك يباطى
نوصيك يا غريان صد اشواره
واسقيه من كاس العذاب اماره
نوصيك يا غريان جيب امقابس
واهجم على الحيطان هد طرابس
نبيك يا غريان هذى اوصايه
يحصوا الفعايل كامله باشفايه

بهلاك طايش كن فيه يحارب
دفع الخطيا وقله التعميد
فيكش مزايا الى عليشا انغنى
تمسى سعيداً وصاحب التشبيد
فيكش جماعة حازمة بالنفصره
يصلو العدو وشعله بلا تبريد
شقت جموع الى اترموا عن ساسك
تقطع طمع من قال هم جهد ايدي
حتى التسمع بلعيار الحاطى
ردف عليه الناس با محميد
حصن عليه الباب عند ازواره
واصل عليه الحب بالتفسريد
واجمع القوم العاريا واللابس
اتحوز الظفر من غير ما تكويد
راهى جميع الناس ليك اماريه
هذى نصحى ليك بالتوكيد

وغير هذا كثير من الاشعار الحماسية التى تؤثر فى الحجر تركناها بحسب
الطول والسأمة والله اعلم .

وصول القوات الفرنسية الى تقرت وسوف (1)

قال الشيخ نصر : قبل فرار الشيخ غومة من منفاه بقليل وصلت مقدمات
الدولة الفرنسية الى تقرت وكان صاحب امرها فى ذلك الوقت الشيخ
سلمان آخر الجلالية . فحينئذ بعث الشيخ سلمان الى اهل سوف يطلب
منهم الاعانة اذا اتته محلة فوعده بذلك .

وفى عام 1270 هـ / سنة 1854 م ، اتت محلة عظيمة من الفرنسيين
زاحفة نحو تقرت فنزلت بدشبة المقارين (من مداشر تقرت الشمالية) .
فجمع سلمان قومه وبعث الى اهل سوف ففرغ منهم جم غفير وصلوه فى يوم
وليلة ، فالفوه على وشك التقدم . ففرح بمقدمهم واكرمهم وفرق فى رؤسائهم
العطايا ووعدهم باكثر من ذلك عند الظفر .

حكى ان من جملة جماعة سوف رجلا يقال له كرباع صال فى القوم وكانوا
فى وقت الاستراحة - قائلا لهم : كيف تصبرون على القتل الى الآن ، فقام
الناس من غير استعداد ولا انتظام وهاجموا المحلة وكانوا ينتظرونهم واقفين

1 - بعد احتلال منطقة الاوراس من طرف القوات الفرنسية وانتقال الامير عبد القادر من الاوراس
الى سوف توجهت القوات الفرنسية حوالى سنة 1844 م . الى منطقة بسكرة وكان بها ممثل
لسلطة خليفة الامير يدعى شيخ العرب . كمان كان على تقرت وسوف الشيخ سليمان بن
جلاب . وكلهم تابعون لسلطة خليفة الامير .

وبعد ما استقر الفرنسيون ببسكرة توقفوا مدة عن مواصلة الزحف نحو الصحراء بعد
تقديرهم لما سيواجهونه من صعوبات فاكتفوا بارسال محلات الى منطقة تقرت وسوف
بقيادة الجنرال ديفو للتعرف على مسالكها وسبر احوال اهلها فلم يكن احتلال مقارين
سوى سنة 1854 م وبذلك تمكن الفرنسيون من الاستيلاء على اغلبيية الجنوب .
وبعد اخذ تقرت لجأ الشيخ سلمان والشريف الى الوادى .

على قدم وساق وتحاربوا زمنا طويلا . وفي آخره انهزم جند سليمان وحقن
في اثرهم اقوام المحلة تتنل وتسلب . فتفرق الناس في الشطوط والشعاب
والنخيل . وفر الشيخ سلمان الى تماسين فاختفى بها اياما . ثم انتقل الى
سوف فنزل بالوادي ومكث فيه مدة ومنه ذهب الى تونس ولم يعد بعد
ذلك .

ثم بعد ان نزلت تلك المحلة بتترت واخضعت اهلها ارتحلت متوجهة الى
سوف لتخبر احوالها . وبعد قتال بين الطرفين اياما عديدة فسي النخيل
والسيوف تغلبت المحلة على سوف .

والت الدولة بعد ذلك المسمى على باي بن فرحات قائدا عاما على تترت
ومداشرها وعلى ورقلة ، والوادي ومداشره .

ثم في زمن قريب انفصلت عنه ورقلة وبقي الآخر تحت يده يتصرف فيه
كيف يشاء من غير معارض . وصار يقيم ستة اشهر بالوادي وستة اشهر
بتترت . والمحل الذي يخرج منه يترك فيه ابن عمه على بن عمر خليفة عنه
فيفعل كفعله او اشد ، وفي آخر الامر ازداد ظلمه كما سيأتي ، والله اعلم .

تخرج حالة سوف

بعد ان استقرت قدما على باي في الوطن استنحل فيه وصار لا يرحم صغيرا
ولا يوقر كبيرا فتضجرت الناس من فعالة وبعثوا على من يبلغ صوتهم الى
ابن قانة فلم يجدوا كاتما للسر منصحا عن جميع عللهم ومضارهم . وكان
احد الرجال المشهورين باولاد احمد يقل له الشيخ عون بن الصناني من
فريق اولاد جاء بالله ممن تاجر بذلك الخطب العظيم والهول الجسيم . فتوجه
الى السيد محمد الصغير بن فنة مستغيثا به في دفع ما حل به ويقومه
وابلغه جميع ما صدر عن على باي من المظالم التي من جعلتها انه ارسل الى
عشرة من الاغنياء وقال لهم بلغني انكم تحدثتم بقتلي فأنني كانني مت
فادفعوا لي ديني اربعين الف ريال رواج سوف على كل واحد منكم اربعة
الاف ، فدفعوها . ومنها انه جعل مائتي فرس على اهل الوادي تكون معدة
لوقت الاغارة تلغف من عند اربابها ولا يعطيها شيئا من العلفة ولا المرتب .
ويزعم انه جاعل خمسمائة فرس وكان ياخذ مرتباتها كلها . فاذا حدث
حادث وتخلف احد ارباب الخيل ولو بعذر واضح تسلط عليه غرامة قدر ما
يملك فيصبح من يومه فقيرا ومن فعل ذنبا ولو صغيرا جدا يفعل به مثل
ذلك .

فبلغه خبر الشيخ عون فحنق عليه ولم يقدر على عقوبته حيث استند الى
ركن شديد وما زال يترصده ويحرس ذهابه وايباه وما يذهب به وما ياتي
به وقد كثر ترداده . حتى اوشى له الواشون ان الشيخ عون يقول : سيعزل
على باي ونطلب ابن قانة خلفا له ياتي الى سوف . فحينئذ اجر عليه رجلين
من عرشه فقتلاه وذلك في حدود عام 1278 هـ / سنة 1862 م . ثم سلب على
عرش اولاد احمد غرامة عظيمة ، ثم ستة آلاف فرنك في كل سنة دية تدفع

الى محمد بن الشيخ عون (في زعمه انهم هم الذين قتلوا الشيخ عون) حتى الى سن البلوغ وكان ابن الشيخ صبيبا صغيرا . واستمر ذلك اثنتي عشرة سنة ودفعوا جميعها فاعطى ملزوم عام واحد الى محمد المذكور والباقي اخذه هو .

ولم تحصل في ايامه راحة بسوف . كما ساد في ايامه النعيمي وابن الناصر الغربيان (1) ومحمد بوغلاق اليعقوبي . ومات في عهده من الوادي خلق كثير . وجمع منهم ومن وادي ريخ اموالا طائلة قيل بلغت اثنين وثلاثين مليوناً من الفرنكات .

وكانت مدة ولايته نحو تسع عشر سنة ، والله اعلم .

اكرام اهل سوف للنماشة

في اواخر عام 1285 هـ/سنة 1869 م ، وقع قحط كبير وغلاء مفرط قلت فيه الحبوب واللحوم والالبان وما يتولد منها كالزبدة والسمن والجبن والاقط (الكليلة) فتضرر اصحاب المواشي والمزارع ضررا فادحا . ولكن اهل سوف حيث كانوا اصحاب تمر لم يقع لهم ضرر كبير لاستغناء غالب الفقراء به عن الطعام (الحبوب) .

وانهالت النماشة عندئذ على ارض سوف فعمت جميع القرى لما حل بهم من الجوع ، فرق اهل سوف لحالتهم وبسطوا لهم ايدي العطاء والاعانة بل بعضهم اتزم باطعام بعض العائلات تماما وصيرها من جملة عياله وبعضهم يخرج احمال التمر يفرقها فيهم كما يفرق عليهم النقود والشباب والخضر والفواكه (1) .

ومهما دخلوا الى غوط لاخذ الحطب او الخضر لا يتعرض لهم احد بل يرأعهم بعينييه ويسكت . وكان البعض كجدي سيدي محمد بن عامر اذ رآهم في غوطة يختفي لئلا يزعجهم لركة قلبه . وقاثر من اجلهم تاثرا كبيرا . ودام الحال على ذلك مدة الى ان جعل الله بعد عسره يسرا . ودوام الحال من المحال .

I - حوالى سنة 1860 م ، قام المسمى ابن نصر على راس مئات من الفرسان بهجمات عديدة على القوات الفرنسية بمنطقة سوف . وقد انضم اليه الكثير من اهل المنطقة . وبعد معارك جرت بين قومه وقوم القائد الفرنسي ديفوا التجا ابن نصر الى تونس . وفي ذلك العهد جرت ثورات مماثلة قام بها كل من المسمى النعيمي والمسمى بوغلاق

I - قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الله في عون المؤمن ما كان المؤمن في عون اخيه »

وكان اتى الى ورقلة رجل شريف يقال له بوشوشة (2) فاجتمع بابن الاخضر المخدمى والتفت حوله جموع كثيرة من المخادمة والشعابة ومنهم المسمى لبز من شعابة الوادى وكثير من قرى سوف . وذكروا له افعال على باى وامواله وانها فى قمار وكان على باى قد ذهب الى الزاب مصحوبا بنحو اربعين فارسا تاركا جميع عياله وامواله فى المحل المتقدم ذكره .

فاتى الشريف بوشوشة بجيشه المذكور مارا على الطيبات . ثم مازال سناثرا حتى نزل على قمار غربا منها . وكان نزوله فى آخر النهار . فبعث من يعرفه بموضع على باى فاشير عليه بحوش على بن ديحة المتقدم ذكره .

واقعة قمار مع الشريف

ولما بلغ خبره الى اهل الوادى بعثوا اليه فى بكرة الغد ثلاثة عشر انسانا لمقابلته منهم الشيخ السائح ، والشيخ مصطفى ، ومحمد بن أحمد بن شبل الحمديون ، وابراهيم بن فرجاني المصعبى ، وابن الباهى العشى ، فلما قدموا صباحا وجدوا الشريف يتأعب لدخول قمار فبادر بالذهاب الى حوش على ابن ديحة وبحته جميعه فلم يجد به شيئا وسمع حينئذ نساء على باى فاغلقت باب منزلهن . وأردن الخروج من ظهره فخشين فاتعن محمد بن أحمد بن شبل المذكور ومعه رجل من أولاد حميد الذين بقمار يقال له محمد الطيب ابن درويش فاخرجاهن وذهبا بهن الى الشيخ سيدى محمد الصغير فاخترقن بالزاوية .

فبلغ خبر ذلك للشريف فظن ان المال حمل أيضا الى الزاوية فتأخر عن الذهاب الى المنزل والحال ان جميع المال والحلى والاثاث هناك .

ثم حرض قومه على قتل فاعل ذلك فظفروا بمحمد المذكور فقتلوه فى ظهر حائط بازاء الباب الغربى . وأغراهم على أخذ السلع التى بالخوانيت (التاجر) وما فيها من النقود عقابا لاهل قمار .

كان سيدى محمد العبد بن الحاج على رضى الله تعالى عنهما يتردد على قمار كمادة اهل الله يريد بث الطريقة التجانية (1) فى سوف فأنكره بعض اهل قمار واتفق راي ستين منهم على كتب عريضة فيه افتراء لينتقل عنهم واعطوها الى احدهم ليتوجه بها الى تقرت وقيل ذهب بها جماعة ولما توسطوا فى الطريق خرج عليهم جمع من الرجال اخذوا جميع ما عندهم ومن جملة ذلك العريضة المكتوبة فرجع خصوم الشيخ منكوبين خاسرين . وحملت تلك العريضة الى الشيخ فدعا اصحابها وتلاها عليهم وطلب منهم الكف عن فعالهم . وقيل دعا عليهم والعياذ بالله .

ثم انتقل سيدى محمد العيد الى تماسين واتى خلفا عنه الشيخ سيدى محمد الصغير رضى الله عنه .

وفى تلك الايام اشتدت الوطاة بين على باى واهل الوادى بسبب فعاله السالفة واحمى منهم بعدم الليونة معه كما كانوا سابقا فلما اتى من تقرت حمل عائلته وامواله وخدمه الى قمار وانزلهم قرب الباب الغربى منها ووضع خيله وخدمه فى منزل آخر قبالتة اسكنه انسانا يقال له على بن ديحة ووضع على سطح المنزل (الحوش) الهوادج التى جاءت فيها نساؤه وعليها حولى احمر .

2 - قام محمد بن التومى الشريف المدعو بوشوشة بثورة ضد الغزو الفرنسى بالجنوب طيلة اربع سنوات اى من سنة 1870 م ، الى سنة 1874 م . وفى شهر افريل سنة 1870 م . هاجم بلدة القليعة واستولى عليها . ومنها توجه الى بلدة متيليل فدخلها فى شهر ماى من السنة نفسها . وفى شهر فيفري سنة 1871 م ، افتك مدينة ورقلة التى اتخذها فيما بعد مركزا لقيادته ومنطلقا لعملياته الحربية . ومن ورقلة اتجه على راس عدد من جنوده الى منطقة سوف مارا بطريق الطيبات حتى بلغ قرية قمار فانضم اليه عدد كبير من اهل المنطقة ثم عاد الى تقرت وظل يحارب الجيش الفرنسى من مكان الى آخر فى المناطق الصحراوية الى أن سقط اسيرا بنواحي عين صالح حوالى سنة 1874 م .

1 - قال الدكتور ناجح احمد : تأسست الطريقة التجانية حوالى سنة 1784 م وظهرت بسوف بين 1790 م و 1791 م . اما مركزها بالمنطقة الصحراوية ببلدة تماسين . وسبق الكلام على ذلك فى موضوع تقرت .

اقول : وكان لابی حانوت (متجر) كبير بقمار به سلع كثيرة مختلفة ودراهم عديدة كسر القوم بابه واخذوا جميع ما فيه . وعند انجلاء الامر رجع والدى فلم يجد بالخانوت سوى محرمة (منديل) تحزم بها واتجه من ثمة الى خنشلة يأكل زاد الطريق مع رفيق له قمارى يقال له عمارة بن البحرى من أولاد حميد .

وحين عظم الامر بعث سيدى محمد الصغير رضى الله عنه رجلا يقال له عبد القادر بن عمرية ويده شىء من المال الى الشريف ليكف عن الناس حتى يتشاوروا فيما يكون به العمل ومراده - رضى الله عنه - حقن الدماء وحفظ الاموال .

ثم توجه اليه الشيخ السايح المتقدم ذكره وابن الباهى ، والحاج حميدانو ، والحاج عبد القادر بن عليّة ومحمد بن عمار والحاج عمار بن زروق ، وسعدودى . وفأوضوه فسمع كلامهم ووعدهم بالانتقال فجمع قومه ومتاعه وارتحل راجعا من حيث أتى بعد أن انضم اليه العديد من أهل سوف .

وفى حال ذهابه مرتقت فقتل بقية القوم الذين تركهم على باى هناك . كما تحزب معه جماعة مستندين الى فتوى من الشيخ عبد الباقي وقاتلوا العسكر الذين هناك وعزم على الاستيلاء على تقرت وما يليها . واطاعه جم غفير من الناس .

ومنها ارتحل الى ورقلة اذ هى محل اقوامه فاتخذها عاصمة له .

وعلى اثره أتى على باى من الزاب حين بلغه تفصيل الواقعة ومعه جند كبير مغتاضا على تقرت وقراها فلما وصل الى المغير شرع فى قتل أناسه واخلائه منهم . فسمع أهل تقرت فأرسلوا الى الشريف بوشوشة وأقوامه فاتوهم وتوجهوا جميعا لصد على باى لكن الشريف انهزم فى آخر الامر ورجع وذلك لانه لم يستعمل رأى بأن يصل الى تقرت خفية وفى هدوء واذا استقر قراره بها يفعل ما بدا له .

قال الشاعر :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهى المحل الثانى

ثم نقل الشريف عياله وذخائره وخدمه ورجع الى ورقلة .

وكان ذلك فى اواخر عام 1288 هـ/سنة 1866 م . والله اعلم .

ايواء أهل سوف للهمامة

قال القدماء من أهل سوف : كان فى زمن ادريس تعاصى الهمامة أى بعض منهم على الباي وشعلوا فعلا غير لائقة مع قائدهم . قيل ارادوا قتله وأتاه جماعة منهم لذلك . فلما رأهم عرفهم فلبس ملحفة امرأة وخرج مستترا وبذلك لم يعرفوه حتى خلص الى مناجاته .

فوجه لهم الباي قوما أشداء تسلطوا عليهم فقتلوا منهم هناك أناسا كثيرين وفر الباقيون الى سوف (I) فتبعهم المحلة تقتل وتنهب الى أن أوصلتهم الى صحن الطريفاوى الشرقى وصحن الزقم الشرقى .

ثم رجعت المحلة فاشتغل المنكوبون بدفن أمواتهم الذين ماتوا هناك وحملوا الجرحى على الابل ودخلوا قرى سوف ولما وصلوا الى الوادى أراد بعض الناس طردهم فمنعهم البعض الآخر قائلين انهم أتونا مستجيرين بنا ولا نخيب المستجير والا كنا من اللثام .

فنزلوا بالصحن الغربى القبلى من ناحية أولاد احمد الذى به مقبرة الفرنساويين الآن بخيامهم وابلهم وأمتعتهم .

وصاروا مواصلين الليل بالنهار فى النياح والبكاء وشق الجيوب وخمش الوجوه (النديب) وتسويدها مع الابدان وعدم ايقاد النار ، وغير ذلك .

١ - قيل ان الغارين من الهمامة الذين قدموا الى سوف من نقطة يقدر عددهم بنحو الخمسمائة اسيرة ودامت اقامتهم بالوادى وبعض قرى سوف قرابة الشهرين . وقد تدخل قنصل فرنسا بتونس لدى الباي لاعطائهم الامان والسماح لهم بالعودة الى مواطنهم فقبل الباي شفاعة القنصل .

وصارت نساؤهم تدخل المنازل للتسول من شدة الجوع فيعطيهن الناس ولا يمنعهن ولا يزجرهن أحد ولا يظهر لهن انقباضا من شدة الشفقة والعطف عليهن وعلى أطفالهن المحمولين على ظهورهن .

وما زال الامر كذلك حتى ظهر الفساد في امرأة منهن تذهب خفية الى عبيد خلفية ابن ادريس . ولما علم بذلك انتهرها وهددها فتعاصت وتعننت واثارت حمية الكثير من الهامة معها . فأجلاهم الخليفة عن سوف بعد مشورة ابن ادريس ورجعوا الى مواطنهم خاضعين طائعين للباي .

وكان ذلك في أواخر عام 1292 هـ / سنة 1875 م .

ولله سبحانه وتعالى في خلقه شؤون يتصرف في عباده كيف يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

استقرار الادارة الفرنسية بواي ريغ وسوف

قال الرايس حمدة : ما زالت تلك الاضطرابات تتحرك في سوف حتى اتت محلة من قبل الدولة الفرنسية يرأسها قائد يسمى لأكروا فمرت بالصحارى الغربية وانتهت الى ورقلة . ثم انسحبت الى وادي ريغ ومن بعدها اتت الى سوف . وسارت في بطون صحاريها وسبرت احوال الرعية ودعت الناس الى الخضوع والانقياد .

وفي ذلك الحين جعلت رئيسا بتقوت يسمى طانشو .

وفي خلال تلك المدة خرج البعض من اهل سوف عن الطاعة وجالسوا جيولات مات فيها البعض .

واستمر بعد ذلك مجيء المحلة من تقوت بين الحين والحين خوفا من عصيان اهل سوف .

كان اتيان لأكروا المذكور الى سوف في اوائل الشتاء من عام 1299 هـ / سنة 1882 م (I) .

١ - لم تمكن القوات الفرنسية من احتلال أرض سوف نهائيا الا سنة 1882 م . فمركزت بقرية الدبيلة ولم تتمكن من التمركز بمدينة الوادي الا حوالي سنة 1887 م . مع العلم بان الوادي لا يبعد عن الدبيلة سوى عشرين كيلو مترا وهذا يدل على ان سبط الاحتلال واجهت صعوبات اثناء غزوها لأرض سوف .

وفى تلك الازمنة كان قد تولى ابن ادريس على ورقلة وفر بوشوشة منها مع اتباعه فاخفى فى احدى مداشرها . وولى القائد العربى على سوف وكان

تقدم القول بان سلطات الاحتلال لم تتمكن من التمرکز بمدينة الوادى الا سنة 1887 م اى بعد 57 سنة من دخولها ارض الجزائر وهذا يعنى ان الشعب الجزائرى ظل يقاوم الغزاة ولم يستسلم قط رغم جميع الوسائل التى اتخذتها سلط الاستعمار للقضاء على كيانه .

فقد كان فى حسين فرنسا عند نقلها الامير عبد القادر الى المنفى انه صار من المهمل الاستيلاء على كامل التراب الجزائرى الذى واصل مقاومته مدة ودون عناء ، غير ان الشعب الجزائرى الذى واصل مقاومته جعلها تتراجع فى تقديراتها واستعدت لحرب طويلة النفس .

تمكنت فرنسا فيما بين 1830 م - 1882 م من الاستيلاء على المناطق الشمالية وبعض المناطق الجنوبية من التراب الجزائرى وعمدت فى اثناء ذلك الى افتكاك سهول الشمال وارضها الحصبية من اصحابها وتسليمها الى معمرين اجانب جلبهم من فرنسا واطاليا واسبانيا لهذا الغرض وليكونوا فى نفس الوقت اداة عدوان على الشعب الجزائرى لكن الشعب قايل العدوان بمثله وتصدى لمقاومته عن طريق ثورات متعددة هنا وهناك وبين الحين والآخر مثل ثورة اولاد سيدي الشيخ بالجنوب الوهرانى ، وثورة ابي زيان بالواحات ، وثورة المقراني الشهيرة سنة 1870 م ، وثورة بوعمامة بمنطقة سميدة وثورة الشريف بمنطقة ورقلة وتقرت وسوف وغير ذلك .

وان كان التفوق فى جانب الغزاة على الجانب الجزائرى فى تلك الثورات فالسبب يعود الى قلة الخبرة الحربية الكافية لدى القادة الجزائريين اذاك ، اصف الى ذلك صعوبة المواصلات بين المناطق وعدم توازن القوى .

ولما كانت الحرب العالمية الاولى (1914 م - 1918 م) دفعت فرنسا لها ضمن جنودها عددا كبيرا من الجزائريين فمات منهم الكثير فى ميادين القتال وعاد الباقون الى الجزائر وهم يحملون حقا متزايدا على الاستعمار والظلم وشعورا وطنيا كان نواة لبعث المقاومة بالجزائر من جديد فى شكل منظمات سياسية وهيئات دينية اصلاحية تعمل كل منها حسب مخططات مرسومة وتهدف جميعها الى تحرير الشعب الجزائرى من الاستعمار الفرنسى ثم كانت الحرب العالمية الثانية (1939 م - 1945 م) وكان ابناء الجزائر من الجنود الذين سجلوا فيها مواقف بطولية وهم جنبوا الى جنب مع جنود الحلفاء : (فرنسا ، امريكا ، انكلترا ، روسيا) ، الذين وعدوا الشعوب المستعمرة بالاستقلال بعد الانتصار على معسكر المحور : (المانيا النازية واطاليا الفاشية اذاك) .

وكان النصر للحلفاء على المحور وطلع فجر 8 ماي 1945 ليحتفل العالم بانتهاء الحرب وزوال النازية فشارك الشعب الجزائرى كغيره فى احتفال ذلك اليوم معبرا بدوره عن رغبته فى الحرية . لكن السلط الاستعمارية بالجزائر قابلت هذا المهرجان الشعبى بالمخادعة والتار فاقبل الاحتفال الى ثورة دموية قتل فيها الجزائريون قتلا جماعيا لا سيما فى نواحي قسالة وسطيف .

كان هذا الحادث مما خيب ظن الشعب الجزائرى فى وعود الحلفاء وبالتالى ادركوا ان الوسيلة الوحيدة للخلاص من الاستعمار الفرنسى هي الاعتماد على النفس وحمل السلاح فى وجهه .

وتكفل الشعب الجزائرى وراء حزب جبهة التحرير الوطنى الذى اعد العدة لحوض المعركة وافتكاك حريته افتكاكا وتخليص بلاده نهائيا من الفاصلين الاجانب .

فى شهر اكتوبر 1954 م كان اجتماع القيادة العسكرية للحزب وعنده تقرر ان يكون فاتح نوفمبر ميلاد الثورة المسلحة على مستوى كامل التراب الجزائرى . وفعلا كان الميلاد المبارك واندفع الشعب يؤيد ثورته بابنائهم واموالهم فضمن لها الحياة والاستمرار

محل قراره بالوادى حيث كان من قبله فى موضع البرج الان والذى هو منزل اولاد تواتى سابقا وسار فى الناس سيرة سيئة لا يرحم صغيرا ولا يوقر كبيرا وبسط لسانه يسب الرفيع والوضيع . وقصد كبراء القبائل بالسجن من غير ذنب حتى افضت النوبة الى المسمى حميد بن عبد الله بن حميد الجامعى فربطه بحبل فى الاصطبل بين الخيل . وفى عشية اليوم البسه ادارة وامره برحى القمح مع الاماء السودانيات ففعل وقال له : لترين مغبة هذا الظلم . وبعد زمن يسير خرج القائد العربى ومعه رجل من الوادى يقال له الحاج عبد القادر ، وعبد اسود وطفلان وكان قد حمل مال الاتاوة ليبلغه الى بسكرة . فلما نزل بمحل البليدة القديمة بقرب سيف المندى اتاه حميد بن عبد الله المذكور فى جماعة من اصحابه فقتلوا الحاج عبد القادر اولاً لثلا يفعل بهم شيئا ومنه ذهب حميد بنفسه الى القائد العربى وهو نائب فوقف على صدره فايقظه من نومه ثم ذكره فى السب والكم الذى قاله له سابقا بعد ان عرفه بذاته وبعد ذلك قتله . وذهب الى الطفلين فاينظهما واخبرهما بما فعل وبين لهما المال وانه ما قتله الا لاجل ما فعل معه ولم يكن له غرض فى النقود . والى الان يعرف ذلك المحل به . وكانت الواقعة فى حدود عام 1292 هـ / سنة 1875 م .

وفى شهر ديسمبر 1958 تأسست حكومة جزائرية مؤقتة فى المهجر وقد اصبح جيش التحرير الوطنى يسيطر على اغلب الاراضى وفى مستوى تحدى به قوة فرنسا ومن ورائها الحلف الاطلسى .

لم يقد فرنسا جميع ما استعملته من وسائل مادية ونفسانية للسيطرة على الشعب والقضاء على الثورة فاضطربت احوالها السياسية والاقتصادية وفى النهاية جاءت بالجنرال دى غول الذى رات فيه امليها الاخير . لكن دى غول بعد ما اختير الشعب الجزائرى وثورته من قريب ادرك انه لم يبق من سبيل لانقاذ سمعة فرنسا واخراجها من المازق سوى الخسوف للامر الواقع ودعوة الجزائريين للتفاوض . وكانت مفاوضات ايفيان التى اعترفت للشعب الجزائرى الذى ضحى بعلميين ونصف شهيد بحق تقرير المصير . وحددت الاتفاقيات ايقاف الحرب ابتداء من 19 مارس 1962 لاجراء استفتاء عام يوم فاتح جويلية 1962 فصوت الشعب على استقلاله التام وانفضاله عن فرنسا .

وحان وقت الاعلان عن هذا الاستقلال فاخترت الحكومة الجزائرية ان يكون ذلك يوم 5 جويلية 1962 حتى يتفق عيد الاستقلال الرسمى مع اليوم الذى دخلت فيه فرنسا ارض الجزائر . ولعل فى هذا الاتفاق بين الحاديين التاريخيين (5 جويلية 1830 - 5 جويلية 1962) مغزى عميقا ينبغى على كل جزائرى ان يستخلص منه العبرة وهو ان يحتفل كل سنة بذكرى استقلاله يوم 5 جويلية 1962 كذكرى سارة وفرحة من اجل وطنه من برائن الاستعمار ، عليه ان يتذكر فى نفس الوقت اليوم ذاته من سنة 1830 ، ذلك التاريخ المؤلم الذى خسر فيه وطنه طيلة 132 سنة ، وبالتالى يجب عليه ان يحاشى تكرار مثل تلك الماساة ، وان يسهر لاجل الحفاظ على وطنه بالعمل الصادق المثمر حتى يزدهر فى جميع ميادين الحياة التى تضمن له المناعة من طمع الطامعين وتساعد على الالتحاق بركب المتقدمين .

وفي خلال تلك المدة كان ابن ادريس في طلب الشريف بوشوشة يبحث عنه سرا وعلانية حتى ظفر به وانفذه للدولة الفرنساوية من غير واسطة . واعتبرته منه ذلك عملا عظيما فكافاته الدولة بطلب منه بتوليته تقرت وسوف فولى عليهما وعدل في اول الامر ثم تغيرت سيرته .

قال الشيخ نصر : لما وصل لأكروا الى سوف وقصد الصحراء شرد الكثير من الناس فذهب معظمهم الى ناحية النمامشة وبعضهم الى نواحي الجريد خصوصا حامة توزر . وبعد ان استتب الحال رجع اكثرهم وبقي منهم بالجريد الى الان .

اقول : وهكذا كان ما كان من احوال الدهر وصروف الزمان وانا لله ولا قوة الا بالله . نسأله سبحانه حسن المأل والاستجابة لما بقلوبنا من آمال ، انه تعالى سميع بصير وعلى تبديل الامور قدير .

باب الانساب

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - :

« تَعَلَّمُوا مِنَ النَّسَبِ مَا تَعْرِفُونَ بِهِ أَحْسَابَكُمْ وَتَصِلُوا بِهِ أَرْحَامَكُمْ » .

الحكم في معرفة الانساب

قال الله تعالى : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » . . .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « تعلموا من النسب ما تعرفون به احسابكم وتصلون به ارحامكم » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد اذا سئل احدهم عن اصله قال من قرية كذا » .

وفي رواية اخرى عنه : « تعلموا انسابكم ولا تكونوا كانباط بابل اذا سئل احدهم من اين هو اجاب : من هذه القرية او من تلك » .

والنبط جمعه انباط ونبيط وهم قوم من العجم ثم صارت الكلمة تطلق على العوام ومنها كلمة نبيطة اى عامية .

وجاء فى قول بعضهم : « من لا يعرف النسب لا يعرف الناس » ومن لا يعرف الناس لا يعد من الناس » .

قال الامام ابن خلدون : « ذهب كثير من ائمة المحدثين والفقهاء مثل ابن اسحاق الطبرى والبخارى الى جواز الرفع فى الانساب ولم يكرهوه محتجين بعمل السلف . فقد كان ابو بكر الصديق رضى الله عنه انسب قريش لقريش بل ولسائر العرب ، وكذا ابن عباس ، وجبير بن مطعم وعقيل بن ابى طالب وكان من بعدهم ابن شهاب ، وابن سيرين ، وكثير من التابعين » والله اعلم .

نسب العرب

اعلم ان امة العرب تنقسم اولاً الى قسمين هما : عدنان ، وقحطان . وزاد بعضهم قسماً آخر وهو قضاة والراجح انه من ذرية حمير . ومنهم من ينسبه الى معد بن عدنان .

اما عدنان فهو من ولد سيدنا اسماعيل عليه السلام وليس عندنا يقين باسماء الآباء الذين يتصل بهم اليه . وقد قيل انه عدنان بن أد بن ادد بن اليسع ابن الهميسع بن سلامان بن نبت بن قيذار بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليه السلام .

واما قحطان : فبقيل هو ايضا من ولد اسماعيل وهو ظاهر كلام البخاري في قوله : « باب نسبة اليمن الى اسماعيل » . وساق في الباب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « الاموا يا بنى اسماعيل فان اباكم كان رامياً » . وقيل انه من ذرية سام بن نوح عليه السلام . والجمهور على ان قحطان هو يقطن المذكور في التوراة وعلى هذا فان قحطان هو ابن عابر بن شالح ابن ارفخشذ بن سام بن نوح . وعابر المذكور هو سيدنا هود عليه السلام .

ثم تنقسم عدنان الى ربيعة ومضر وايد وهم ابناء نزار بن معد بن عدنان .

وتنقسم قحطان الى كهلان وحمير ومنه قضاة القصية .

جاء في « العقد الفريد » : « كهلان بن سبا بن قحطان والراجح ان سبا هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان كما الراجح ان حمير ليس هو قضاة اذ حمير اخو كهلان وابوهما سبا المذكور . وقضاة من ذرية حمير اذ قضاة

ابوه مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير ، واسم قضاة عمرو » .

قال اسحاق الكلبى وطائفة : قد يحتج في ذلك بما رواه ابن لهيعة عن عقبة ابن عامر الجهنى ، قال يا رسول الله ، ممن نحن ؟ .

قال : انتم من قضاة بن مالك . وقال عمرو بن مرة وهو من الصحابة :

نحن بنو الشيخ العجاز الازهرى قضاة بن مالك بن حمير

وقال البعض ان حمير ابوه معد بن عدنان وليس بصحيح وان كان القائل به جماعة كثيرة منهم ابن عبد البر وابن عباس ، وابن عمرو ، وجبير بن مطعم . واختاره الزبير بن بكار بن مصعب وابن هشام .

قال السبيلي : والصحيح ان ام قضاة وهى عبكرة مات عنها مالك بن عمرو ابن مرة بن زيد بن مالك بن حمير وهى حامل بقضاة فتزوجها معد بن عدنان فولدت قضاة . فتكنى له ونسب اليه . والله اعلم .



اقول : الراجح ان قيس عيلان هو الناس كما سبق ان ذلك كان لقبه
وانتسابه .

وجميع البطون المضرية تنسب لذنيك الرجلين وهما الياس والناس .

فمن ولد الياس بنو مدركة ، وهم هذيل بن مدركة ، وكنانة بن خزيمه
بن مدركة ، واسد بن خزيمه بن مدركة ، والهون بن خزيمه بن مدركة وبنو
طابخه بن الياس بن مضر وهم : ضبة بن اد بن طابخه ، ومزينة وهم بنو
عمرو بن اد بن طابخه . نسبوا الى امهم مزينة بنت كلب بن وبرة . والرباب :
بنو اد بن طابخه وهم بنو عدى وسميت الرباب لانها اجتمعت وتخالفت فكانت
مثل الربابة وبنو تميم ، وبنو ثور ، وبنو عكل ، وصوفة وهو الربيط بن الغوث
بن اد بن طابخه .

ومن ولد الناس ، بنو عمرو ، وبنو خصفة يعنى ان الناس ولد ولدين
هما : عمرو وخصفة . ثم ولد عمرو ولدين هما : عدوان وفهم وولد خصفة
ولدين محارب وعكرمة . ومن عكرمة منصور ومنه مازن ، وسلامان ،
وهوازن ، وسليم .

ومن سليم : بهنة ، وتعلبة ، وامرو القيس ، وعوف ، ومعاوية ، ومن هوازن
بكر . ومن هذا معاوية ومنبه ، وزيد ، وسعد .

ومن معاوية بن بكر بن هوازن جاء جشم ، ونصر ، وعوف ، وصعصعة .
ومن هذا الاخير عامر ، ومرة ، وربيعه ، والحارث ، وقيس ، وعوف ، ومن
عامر بن صعصعة ربيعة ، وهلال . والله اعلم .

نسب قيس عيلان

اعلم ان قيس المذكور هو ابو اكثر القبائل الموجودة الان فى ارض سوف
وما حولها .

قال الشيخ الجرجاوى فى شرح قول الشاعر :

ايها السائل عنهم وعننى لست من قيس ولا قيس منى

قال : ان قيسا هذا هو ابو القبيلة المشهورة من مضر واسمه الناس بفتح
النون وسكون الهمزة بعدها وبالسين المهملة . واما قيس فلقبه (اي رجل
الشدة) لان القيس فى اللغة هو الشدة اى صاحب الشدة فى الحروب والتحمل
للضيم ممن ينسب اليه او يستجير به .

واما عيلان فهو اسم الشخص الذى كفل قيسا ورباه فنسب هذا اليه .

وقال الشيخ قطة فى شرح البيت المتقدم : قيس ابو قبيلة وهو قيس عيلان
بالعين المهملة اخو الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وجاء فى « العقد الفريد » : ولد مضر بن نزار ولدين هما : الياس والناس
وهو عيلان امهما الرباب بنت صيدة بن معد بن عدنان . فولد الناس الذى
هو عيلان بن مضر ولدا واحدا وهو قيس بن عيلان بن مضر . وولد الياس
ابن مضر ثلاثة اولاد وهم عمرو ويسمى مدركة ، وعامر وهو طابخه وعمير
وهو القمعة . ويقال ان القمعة هو الجرعة وامهم خندف وهى ليلي بنت حلوان
ابن عمران بن الحاف بن قطاعة .

وقال فى موضع اخر : قيس بن الناس وهو عيلان بن مضر .

سليم وهلال

اما نسب سليم فهو بحسب ما تقدم هكذا : سليم بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

ومن بنى سليم بهنة بن سليم بن منصور ، ومنه جاء مالك بن بهنة بن سليم ، وامروؤ القيس بن بهنة بن سليم . وهيب بن بهنة بن سليم ، وقيس ابن بهنة بن سليم . فمن مالك بن بهنة جاء ذياب ومنه رافع ومنه فاتك ووهب . ومن امرئ القيس بن بهنة خفاف ، ومنصور وعوف . ومن هيب بن بهنة ، احمد ، وحامد ، وزايد ، وحמיד ، ومن قيس بن بهنة ، خفاف ومنه ناصر ومنه زغبة .

واما نسب هلال فهو : هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان . وفي منصور يلتقى نسب هلال وسليم .

ومن بنى هلال نهيك ومنه ابو ربيعة ، ومنه رباح ، واثبج ، وزغبة . فمن رباح بن ابى ربيعة بن نهيك بن هلال ، عمر ، وزغبة ، ومالك ، ومرداس . ومن اثبج بن ابى ربيعة بن نهيك بن هلال قرفة ، وعامر ، وياسر ، ومشرف ، ودريد ، ومن زغبة ، مالك ومنه عامر . وسياتي ما هو متفرع عن سليم وهلال عند ذكر انساب بعض اهل سوف ان شاء الله . وهو المرشد والموفق .

طروود وعدوان

قال شارحو قول تأبط شرا الفهمي :

فأبت الى فهم وما كدت آتبا وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

قالوا : فهم ابو طروود القبيلة العظيمة الشهيرة .

ومعنى البيت : انى رجعت الى فهم (ابى طروود) وما كدت راجعا لانى كنت فى يد العدو وكثير من القبائل التى مثل فهم فارقتها وهي تصفر اى تتلف .

وفى نور الابصار ان الليث بن سعد (الامام العظيم) مولى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي نسبة الى فهم بطن من قيس .

زاد فى كتاب فتوح افريقية قوله : ومنهم طروود اخوة عدوان .

وفى تاريخ ابن خلكان جاء قوله : من بنى فهم بن عمرو بن قيس عيلان .

وفيما ذكر البيهقي : بنو طروود بن فهم بطن متسع منهم الاعشى الشاعر الفاضل المشهور .

قال ابن خلدون : من بنى وائل بن حكيم بنو طروود . وقد يقال ان طروود ليس لسليم وانهم من منبى احدى بطون هلال بن عامر . ويقال ان منهم زيد بن العجاج بن فاضل المذكور فى رجالات هلال . والصحيح فى طروود انهم من بنى فهم بن عمرو بن قيس عيلان وكانت طروود احلاف الدلاج ثم قاطعوهم وحالفوا آل ملاعب .

وجاء في « العقد الفريد » ما نصه : فمن بطون قيس ، عدوان وفهم ابنا عمرو بن قيس عيلان وامهما جديلة بنت مدركة بن الياص بن مضر ، نسبوا اليها ...

فعلى هذا تكون سلسلة نسب طرود هكذا : طرود بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وقد قيل سموا طرودا نسبة لرجل يدعى طرادا من قوم مسروق بن عندالة حين كانوا بطرابلس فقتلوا رجلا وحين طلبت منهم الدية امتنعوا وفروا ليلا كما تقدم ذكر ذلك . كما قيل انهم من منبس احدى بطون هلال بن عامر .

وقيل ايضا ان طرودا لسليم كما سيكون ذلك في نسب بعض من استطعت رفع نسبهم . والله اعلم بالصواب .

ويكون نسب عدوان حسب ما ذكر هكذا : عدوان بن عمرو بن قيس عيلان ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

كما قيل ان عدوانا من بطن رياح بن ابي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر . والى الله صحة الصحيح .

فمن عدوان عامر بن الظرب حكيم العرب وهو عامر بن الظرب بن عمرو ابن عياد بن يشكر بن عدوان .

ومنهم عميلة وكنيته ابو سيارة وهو عميلة بن الاعزل بن خالد بن سعد بن الحارث بن وابش بن زيد بن عدوان .

وذو الاصبع العدواني وهو من بنى ثعلبة بن الظرب بن عمرو بن عياد ابن يشكر بن عدوان .

ومن طرود نمر بن دهمان الذي عاش مائتي سنة وفعل الفعال العجيبة التي يطول ذكرها هنا .

ومنهم الحطيئة الشاعر الذي كانت تهابه العرب لهجائه .

وتابط شرا وهو ثابت بن عميثل . وغير ذلك من رجال العرب المشهورين . والله اعلم .

تذييل

قيل ان طرودا هم ابنا جبلة بن الايهم بن غيمان ، انتسبوا لرجل يقال له طرد بن دابس ، وهو خلاف ذلك . اولاً ان طرودا (بضم الطاء والراء) اسم رجل لا شبهة فيه . ثانياً ان جبلة المذكور ليس له جد يقال له غيمان وهو من الملوك الغساسنة ولم يات احد من نسله الى هذه الناحية .

قال في الشريشي الكبير : جبلة هو ابن الايهم بن جبلة بن الحارث الاوسط بن ثعلبة بن الحارث الاكبر بن عمرو بن جفنة .

وقال في « العقد الفريد » : جفنة بن حارثة بن عمرو بن حارثة بن ثعلبة ابن امرئ القيس بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ثم قال : كانت ملوك غسان بالشمام وهم سبعة وثلاثون ملكا ملكوا ستمائة سنة وست عشرة الى ان جاء الاسلام . وسبب تسميتهم بذلك ان ماء في موضع يسمى المشلل يقال له غسان فمن شرب منه من الازد فهو غساني .

قال الشريشي : وهو آخر ملوك غسان . وكان طول جبلة اثني عشر شبرا فاذا ركب مسح الارض بقدميه . ولما اراد ان يسلم كتب الى عمر بن الخطاب يستأذنه في القدوم عليه فسر (فرج) بذلك وكتب اليه ان اقدم فلك ما لنا وعليك ما علينا . فخرج في مائة فارس من عك وجفنة فلما دنا (قرب) الى المدينة البسه ثياب الوشي المنسوجة بالذهب الاصفر والحرير الاحمر ، وجلل الخيل بجلجل الديباج وطوقها اطواق الذهب والفضة . وليس تاجه وفيه قرط مارية . فلم يبق بالمدينة الا وخرج اليه . وفرح المسلمون بقدومه واسلامه . ثم حضر الموسم مع عمر . فبينما هو يطوف بالبيت اذ وطىء

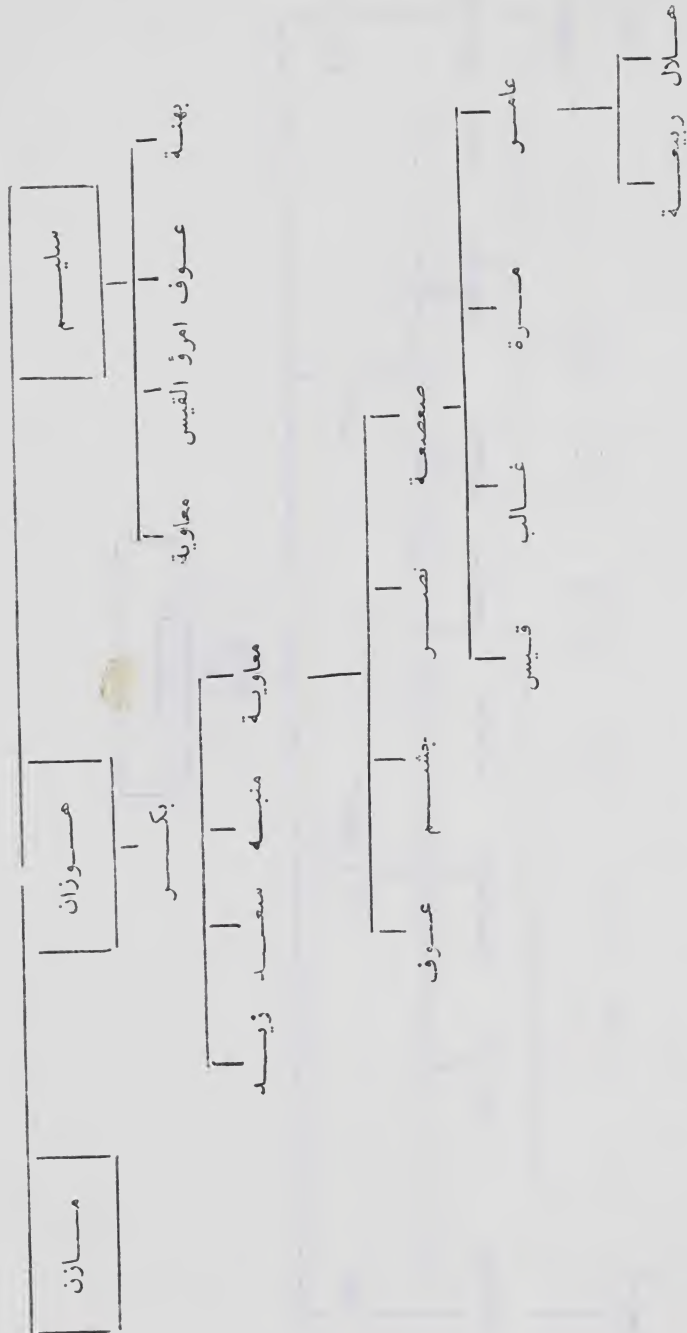
أزاده رجل من فزارة فحله ، فالتفت اليه جبلة مغضبا ولطمه فهشم انفه ، فاستعدى عليه الفزاري عمر (اشتكى له به) فقال له عمر : ما دعاك لطمت اخاك . فقال له : انه وطىء ازارى ولولا حرمة هذا البيت لاختذت الذي فيه عيناه (راسه) فقال له عمر : اما انت فقد اقررت فاما ان ترضيه واما ان اقيده منك . قال : اتقيده منى وهو رجل سوقة (رعية) . قال عمر : قد شملك واياہ الاسلام فما تفضله الا بالعافية . قال جبلة : قد رجوت ان اكون في الاسلام اعز منى في الجاهلية . فقال : هو ذاك . قال اذن أنتصر (اي يصير نصرانيا) قال عمر : ان تنصرت ضربت عنقك لانك مرتد عن الاسلام والمرتد يقتل . واجتمع وفد فزارة ووفد جبلة وكادت تكون فتنة . فقال جبلة لعمر : انظرني الى غديا امير المؤمنين . قال : ذلك اليك . فلما كان في جنح الليل خرج في اصحابه الى القسطنطينية فتنصر . وعظم هرقل قدومه وسر به واقطع له (اعطاه) الاموال والرباع (الارضى) . . .

فانت ترى محل جبلة ونسبه وزمنه وهذا مخالف لما قيل . ثم اننا لا نجد في جميع نسبه اسم غيمان .

واما جبلة الذي في كندة فهو ابن الرايش بن الحارث بن معاوية بن كندة .

وجاء في « العقد الفريد » ما نصه : كندة بن عفير بن عدى بن الحارث ابن مرة بن ادد بن زيد بن يشجب بن غريب بن زيد بن كهلان بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان . . . الخ .

فليس في نسب هذا ايضا ما ذكر . والله اعلم .



ملال

نهيك

أبو ربيعة

ابن ج

رياح

زغبة

مالك

عامر

دريد

مشرف

ياسر

عامر

قرنة

مرداس

مالك

زغبة

عمر

زغبة

ناصر

خفاف

حميد

زايد

احمد

احمد

عوف

منصور

خفاف

الحسين

زياد

قيس

بختي

امرؤ القيس

مالك

جدة

سليم

تبيهات

نسب أهل الوادي

اعلم ان اهل الوادي الآن قد تركبوا من قبائل ، وفصائل ، وعمائر ، وبطون ، وافخاذ متعددة وينسب الجميع الى شعبين عظيمين هما : الاعشاش ، والمصاعبة . لكن بعض بطون كل شعب قد دخل الوادي قبل البطون من الشعب الآخر . وسأرتب الكل حسب الطاقة والاجتهاد . والله اعلم .

اولا : قال الامام ابن خلدون : تاريخ الانساب اضعف الجميع لخفائه واندراسه باندراس الزمان وذهابه .

ثانيا : لا يخفى ان الشعوب ، والقبائل ، والفصائل ، والعمائر ، والبطون والافخاذ التي بارض سوف مختلطة ومتشعبة لا يمكن التمييز بينها الا بمشقة وجهد ، فرأيت ان اذكر الشعب او غيره وانسبه الى اصله سواء كان على حدة او مختلطا مع غيره .

ثالثا : اني اذكر تلك القبائل حسب دخولها الى الوادي وغيره الاول فالاول واعتبر التقدم ولو بشيء قليل ولا مراعى الشرف او القوة او الفضل .

رابعا : اراعى الاكثرية في تلك القبائل ولا ألتفت الى الاقلية ، فلا يقول القائل كيف ان فلانا مثلا اتى مؤخرا وهو مع القبيلة المذكورة اولا .

خامسا : اني ارفع نسب من استطعت رفعه واترك بعض الانساب اما لعدم تحقيقى بها او الشك فيها او لعلة اخرى . كما قد اذكر نسب بعض الذين اتوا متأخرين جدا الى سوف ولهذا اخرت في كتابي هذا موضوع الانساب ليدخل فيه من اتى ولو في هذا التاريخ .

سادسا : قال ابن الكلبي : الشعب اكبر من القبيلة ، ثم العميرة ، ثم البطن ، ثم الفخذ ، ثم العشيرة ، ثم الفصييلة .

سابعا : ان أكثر قبائل سوف من طرود ، وعدوان ، وسليم ، وهلال . ينسبون جميعا الى قيس عيلان وهو الناس بن مضر كما تقدم ذكر ذلك . والله اعلم .

نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور
ابن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان .

ذكر القدماء ان الذي اتى الى الوادي من اولاد شبل انسان يقال له العربي .
وجاء منه ابن يقال له عبد الله . ومنه ابن يقال له محمد . وجاء من هذا ابن
يسمى احمد ومنه جاءت الذرية التي معنا الان وهم : ابراهيم ، والحاج
عبد القادر ، ومحمد ، وهذا الاخير هو الذي مات في قمار سابقا .

وسبب مجيء العربي المذكور الى وادي سوف مع انه كان بالمحاميد عرب
طرابلس انه كان بناء فطلب منه شيخ المحاميد ان يبني له بيتا في منزله
فرأته امرأة من قريبات الشيخ كانت بالمنزل وقيل جاريته فعلمت به واشتد
كلفها وشوقها . فراودته عن نفسها وراسلته خفية فامتنع عن وصالها .
فاقسمت له قائلة : ان لم تات لاقولن انك راودتني عن نفسي . فوعدها
بالايتان اليها ليلا . فبلغ الخبر الى الشيخ فاخذ سلاحه وقال : ان جاء الى
منزلي اقتله . ولم يذهب العربي اليها كما وعدها صونا لدينه وعرضه . ولما
انتقل الخبر بين الناس قال في نفسه : ان هذا الانسان قد تمكنت بيتي وبيته
العداوة وهو الرئيس فان لم يقتلني اليوم سيغري بي بعض السفهاء ليقتلني
يوما آخر . فاتي الى امه واخبرها بتفصيل الواقعة وقال لها : اني اريد الفرار
من هذا المكان ثم ودعها وانصرف تاركا جميع ما عنده . ولم يزل ينتقل من
محل الى محل حتى وصل عند ابناء سيدي مسطور فنزل عليهم فأكرموه .
وبعد زمن يسير زوجه بعائشة المتقدم ذكرها . وجعل منزلا من حطب
وحلفاء وبيتا من شعر في المكان المعروف الان بالجامع الصغير الذي بوسط
السوق . ثم شرع هو وزوجه في غرس النخيل فجعلوا الغوط المسمى الان
غوط عمار بن صيفي .

فسبب انضمام هذه الفصيلة للسوفية هو تزويج العربي الشبلي بابنتهم
عائشة كما تقدم .

الفصيلة الثانية : العلالقة . يزعم بعض العوام ان علاقا جد العلالقة كان
خادما للعربي الشبلي المتقدم ، وليس بصحيح ، وانما هو حديث خرافة . اما
نسبهم فيتصل بعلاق بن عوف بن امرئ القيس بن بهنة بن سليم بن منصور
ابن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . وكانت منازلهم مع بني شبل في
المحاميد عرب طرابلس كما هو في ابن خلدون و « المنهل العذب » .

قال القدماء : ان جد العلالقة الذين بسوف كان مع العربي الشبلي ومن
اكبر محبيه وملازميه . ولما فر العربي الى سوف التحق به وحيي خالط ابناء

قبيلة أولاد احمد

هذه القبيلة كانت في القديم عظيمة وصارت في هذا العهد ضئيلة العدد .
وهي احدى القبائل المنضمة لشعب الاعشاش .

قيل سموا اولاد احمد نسبة الى احمد بن هبيب بن بهنة بن سليم بن
منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان .

وقيل : نسبة الى رجل يقال له حمد بن عمر بن حنظلة القريشي كان قتل
ابن عمه واتي الى القيروان هاربا . الخ . لكن المخبرين ذوى التحقيق
جزموا بعدم صحة ذلك . والله اعلم .

وتتركب قبيلة اولاد احمد من سبع عمائر :

العميرة الاولى : السوفية

هذه العميرة سميت بذلك لانها اول من دخل وادي سوف وعمره . فكانه
لم ينسب احد لسوف سواها . واولهم سيدي مسطور السابق ذكره .

وكان لبعض اولاده بنتان احدهما تسمى عائشة والاخرى فاطمة وسياتي
ما يترتب عنهما .

وتتركب هذه العميرة من عشر فصائل خمس اصليات وهي : الاولى :
اولاد يوسف وفيهم بيتان من بني عدوان يقال لهم اولاد الاخضر جاؤوا من
قديم مع طرود الذين كانوا في تندلة . الثانية : اولاد شايب . الثالثة :
اولاد حفوظة . الرابعة : اولاد حفصة . الخامسة : اولاد مصباح .

وخمس ملحقات وهي : اولاد شبل بن موسى بن محمد بن مسعود بن
سلطان بن زمام بن ورديفي بن داود بن مرداس بن رياح بن ابي ربيعة بن

سيدي مسطور زوجوه بفاطمة السالف ذكرها اى أخت عائشة . وخدم النخيل مع الشبلي وجعل منزله فى المكان المعروف الان برحبة اليهود غربى السوق .

فالسبب فى انضمام هذه الفصيلة ايضا للسوفية هو تزويج جد العائلة بابتهم فاطمة .

الفصيلة الثالثة : اولاد الجديدي ينسبون الى سيدي محمد الجديدي الفحقي القيرواني السالمى من بنى سالم بن وهب بن رافع بن ذياب بن مالك ابن بهنة بن سليم بن منصور . . . الخ . وصاحب الزاوية الشهيرة بالقيروان . كان جدهم الاول بطرابلس عند دخول العرب الى افريقية ، ثم انتقل الى قرية فحقة بقرب القيروان . وتناسلت منه ذرية بها وانتقل منهم سيدي محمد الجديدي الى القيروان فاستوطنها وجعل زاويته بها . ثم انتقل بعض ابنائه مع بعض العرب الذين قصدوا المغرب ، وهم المعروفون عندنا اليوم بالسلمية ، ونزلوا قرب القرازة والجلفة ثم انحدروا الى الصحراء القريبة واتى جد الواديين الآن منهم . ولهذا من لا يعرفهم يحسبهم من السلمية .

ورد فى « المنهل العذب » عند ترجمة سيدي عبيد بن يعيش الغرياني الذى خلفه الشيخ الجديدي فى مكانه على زاويته ان الشيخ الجديدي قال : انى رايت فى منامى كائنى فى مقدم سفينة وعبيد الغرياني فى مؤخرها ، فاولت ذلك بانى اموت وهو يرثنى . وقال عبيد : فتصدت الجديديين الذين فى بلدة فحقة فلم نجد الشيخ محمد الجديدي فدخلت القيروان من باب تونس فوجدته خلف صبية يلعبون فاخذ بيدي ومشى بى الى زاويته . . . الخ . وكانت وفاة الشيخ الجديدي فى حدود عام 802 هـ / سنة 1400 م .

اقول : ان سيدي محمد الجديدي المذكور هو احد اجدادى من جهة الام لابيها .

فسبب انتساب الجديديين للسوفية هو ان جدهم حين دخل الوادى نزل على اولاد يوسف فتزوج منهم بامراة يقال لها مسعودة وانضم لهم بذلك .

الفصيلة الرابعة : اولاد ميلود : وهم من امغاد غدامس . اتى جدهم محمد ابن احمد بن ميلود فنزل على اولاد يوسف وتزوج منهم بامراة يقال لها مسعودة بنت عطاء الله فانتسب لهم بذلك .

اقول : انتهت امامة الجامع اليهم وكان جميع الائمة الذين توارثوها بجامع السوق اى جامع سيدي المسعود هم من اولاد مسطور ، واولاد الجديدي ،

واولاد ميلود ، فاولهم سيدي محمد الهادى بن مسطور ، ولما مات قام بالامامة بعده ابنه يوسف ، وبعده ابنه بوغزالة وكان صاحب فهم عميق وعلم غزير وتقاييد مهمة . عثرت على تاليف له فى التوحيد نظما وبعض مسائل حسابية . وبعد انتقاله ، خلفه فى الامامة الحاج عطاء الله ومن بعده سيدي الجديدي وهو المقبور بجانب الجامع الغربى . ومن بعده سيدي عطاء الله الثانى وكان صاحب تحقيق فى فنى الفقه والميراث ، وعنه اخذ الكثير من المتقدمين وقد كتبت عنه مسائل مهمة فى الفنين المذكورين ، وحجب بصره فى آخر العهد .

ودام على تلك الحال يدرس بالجامع الكبير . ومن بعده قام بالامامة اخوه سيدي محمد بن سيدي الجديدي وهو ابو امى اى جدى . ومنه قام سيدي مسعود بن سيدي عطاء الله وبعده صهره زوج ابنته وهو سيدي احمد بن محمد بن احمد بن ميلود .

الفصيلة الخامسة : اولاد الحداد وهم اولاد العبيدي ، اصلهم من اولاد سيدي عبيد الساكنين حوالى نفطة . اتى جدهم بلقاسم الحداد من اولاد عبد الملك فريق ابى طارفة . وكان بلقاسم المذكور رجلا تقيا ورعا فاواه يوسف احد ابناء سيدي مسطور وزوجه بابتة مبروكة فانتسب للسوفية بذلك ، واولدها ثلاثة ابناء وهم : على ، ونصيب ، وسعد فمن الاول : عمارة والعبيدي ومن الثانى : بلقاسم والغالى ومحمد ، ومن الاخير على النقاب . فهذه الفصيلة اتت متاخرة جدا دعانى لتقديم ذكرها اتمام عميرة السوفية . والله اعلم .

العميرة الثانية : اولاد مياسة

قال القدماء وكذا الشيخ العدواني : انهم ابناء المائسة بنت العش حين تزوجها احمد بن عمر بن حنظلة . والراجح حسب ما تدل عليه المقارنات وكما جاء فى ابن خلدون انهم من ابناء مياس بن هيكل بن ملاعب بن نعيم بن حكيم ابن حصن بن علاق بن عوف بن امرى القيس بن بهنة بن سليم . . . الخ . نسب العائلة السابق ذكره . وهم فصائل كثيرة فى الطريفافوى والوادى وعميش وليس معهم طارء الا اولاد الخزاز فانهم من اولاد مولاة العرب الغرابة وسياتى نسبهم فى المصاعبة ان شاء الله . وكان دخولهم الى الوادى عقب دخول السوفية ولذا ذكرتهم اثرهم .

العميرة الثالثة : اولاد جاء بالله

هم اولاد جاء بالله بن جارية بن وشاح بن عامر بن جابر بن فائك بن رافع بن ذياب بن مالك بن بهنة بن سليم . وهم فرق قليلة فى اولاد احمد .

ومعهم بطنان اجنيان • الاول منهما العوينيون ينسبون الى عوينة دوز وهي قرية من قرى نزاوة قريبة من ارض سوف • وهم قليلون جدا • والثاني منهما القوايد ، اصلهم من زناتة تكسبت القديمة • وهذا هو سبب تقديمي لهذه العميرة على غيرها والا فالولاد جاء بالله اتوا متأخرين من نزاوة وسكنوا في اولاد احمد •

وقد تقدم نسب زناتة مرفوعا في وسط الكتاب • واما قايد المذكور فهو ابن ابي الضحاك بن ابي يزول تافرسين بن فراديس بن ونيث • الخ • والله اعلم •

العميرة الرابعة : الاميهات

هذه العميرة تنسب الى محل يقال له اميهة بادي قرب نفوسة من اعمال قابس اذ جدهم الاميهي هو الذي اتى الى ارض سوف من هناك •

وهم اثنتا عشرة فصيلة منها خمس اصليات وهي : اولاد الطالب على وأولاد بوغزالة ، واولاد نصر بن عون ، واولاد مزيو ، والعتايبة • واثنتان مختلطتان هما : رمضين الطريفاي (اما رمضين الوادي فهم من اولاد مياسة) ، واولاد عليّة •

وخمس ملحقات : الاولى التريعة من اولاد تريعة بن محمود • قال القدماء ان اباهم من بلدة قمار وامهم غربية وهم من الاشراف •

الثانية : اولاد ميداني من اشراف البهيمية الذين اصلهم من نفطة كما سيأتى •

الثالثة : اولاد علي بن مبروك ، اصلهم من الزاب الشرقي وينسبون لاولاد عمر اتوا في الزمن القريب وانضموا الى الاميهات •

الرابعة : اولاد الدراجي اصلهم من جبل الظاهر وعاشروا عرب سيدي عقبة فكانوا حلفاء اولاد عمر • اتوا متأخرين جدا الى وادي سوف • وقيل ايضا اصلهم من الدويرات •

اقول : ان اهل الدويرات هم من بنى سليم اما اولاد الدراجي فمن الاشراف • والله اعلم •

الخامسة : الدبابشة ، اتى جدهم من قرية يقال لها الدبابشة من قرى نزاوة • ويختلط بهؤلاء اولاد صالح بن حميدة من اشراف نفطة ، واولاد حميدة الزن من اهل نفطة ايضا • والله اعلم •

العميرة الخامسة : العواشير

يجرى على ألسنة القدماء ان جد العواشير يسمى عاشورا من موالى اولاد مياسة لكن معظمهم يثبت هذا النسب وبعضهم ينفي ذلك •

وهم عشر فصائل ، سبع اصليات وهي : اولاد كرمادى ، واولاد بلقاسم ابن قدور ، واولاد الاطرش ، واولاد العطالة ، واولاد طليبة ، واولاد زيد ، واولاد الصغير خرخش ، وثلاث ملحقات : وهي النوابلية من نابل بلدة من اعمال سموسة ايالة تونس ، واولاد مصطفى الزبيديين وسياتى نسبهم ، والكواردية اصلهم من غريب اتوا متأخرين جدا • وينضم لهؤلاء اولاد عبد الله الحسان النموشي وبعض من قرية قمار مثل اولاد حمودة وابن غريب •

اقول : الصحيح ان الفرق الاربع الاوليات يقال لها اولاد الحاج احمد هو صاحب جامع اولاد احمد الان الذى اسسه وحرص الناس عليه • وان الفرقة الخامسة من اخلاطهم يقال لها القلالبة • ومع السادسة والسابعة اخلاط يقال لهم اولاد التومي وهم الذين كان جدهم مولى لاولاد مياسة يخدمهم ثم هرب من عندهم والتحق بوادي ريغ ثم رجع فاختلط بالمدكورين •

وهذا هو سبب ذكرى لهذه العميرة عقب اولاد مياسة • والله اعلم •

العميرة السادسة : اولاد عياد

هم اولاد عياد بن منيع بن يعقوب بن عامر بن مالك بن زغبة بن نصر بن زايد بن سليمان بن وهب بن رافع بن ذياب بن مالك بن بهنة بن سليم • الخ •

وهم فرق كثيرة كانت في القديم بنواحي طرابلس وبرقة وقابس • اتت منها الى اولاد احمد ست فصائل • والى البهيمية فصيلة واحدة عظيمة • فالست هي : الزرايقة ويقال لهم ايضا اولاد الزرقى ، واولاد غربى ، والامهاوات ، واولاد مجول ، واولاد مبارك واولاد زغدود ثم وقعت بين اولاد مجول وغيرهم مشاحنات خرجوا من اجلها من اولاد احمد فنزل بعضهم بالمصابعة وبعضهم بالاعشاش وسياتى ذكر ذلك ان شاء الله •

العميرة السابعة : السوامش

اصل هذه العميرة من نزاوة وينسبون الى سماش بن سيدي بوجويحييف النفاواى • وبعضهم يزعم ان سيدي بوجويحييف هو جدهم لامهم فقط لانه

لم يترك ابنا ذكرا ، وسماش المذكور هو ابن ابنته وابوه من بنى سليم الذين سكنوا جبل الظاهر والدويرات وتفرقوا بنواحي نزاوة .

ومن الاخبار التي تناقلها القدماء ان سيدي بوجويحييف المذكور ، وسيدي معبد الذي بقرب غدامس ، وسيدي خويلد الذي بورقلة ، وسيدي علي بن خزان الذي بقرية الدبيلة هم اخوة عبدوا الله جميعا بالصحراء القبلية ومنها تفرقوا فساق الله كل واحد الى محله الذي هو به الان بعد ان طوخته الطوائع زمانا .

وهذه العميرة اتت متأخرة جدا لكن تتميمها لقبيلة اولاد احمد قدمتها في الذكر . وهذا آخر الكلام على القبيلة المذكورة . والله اعلم .

المصابعة

الذي جرى على الالسنه فى الازمنة الاخيرة ان هذا الشعب يسمى المصابعة . واختلفوا فى سبب تسميته بذلك . فالبعض يقولون لانهم ينسبون الى مصعب بن شباط . لكن هذا الاسم اتى لهم متأخرا ، وهم كانوا شعبا عظيما قبل وجود مصعب فيهم .

قال الشيخ العدواني ان مصعب اثنان اخوان احدهما يقال له الاعور ، والآخر يقال له التاجر . اما الاعور فهو من ولد همام بن فطاسة البدوي ، واما التاجر فهو من ولد عمر بن ابي بكر بن سعد بن لوى بن المسعود الصحابي . . . الخ .

اقول : لعل هذا خطأ فى النسخ او الطبع او سهو من المؤلف اذ كيف بعد ان كان الاعور والتاجر اخوين صار احدهما من ولد همام والاخر من ولد عمر . وهب ان الاخوة كانت من قبل الام فقط فكيف يشتركان فى الاسم مع اضطراب نسب الثانى . فالصحيح ما اخبرنى به حمد بن بوزغاية رحمه الله . وهو ان المصابعة كان يقال لهم المصابعة بتقديم الباء على العين . وان المصابعة كان يقال لهم الاصابة .

جاء فى « المنهل العذب » قوله : الاصابة نسبة الى رجل ذى اصبع زائدة . . . ولم يذكر التجانى لاي بطن ينتسبون .

وورد فى كتاب الشريشى الكبير قوله : ذو الاصبع هو القائل : غدير الحى من عدوان الى اخر ابيات الشعر المعروفة .

ثم قال : وهو ابن قيس بن صعصعة بن طرود بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان . . . الخ .

وشعب الاصابة او المصابعة او المصابعة ينقسم الى اربع قبائل وهى : الشبابة ، والقرافين ، والعزازلة ، والشعانة ، وسيأتى تفصيل الجميع ان شاء الله .

الثالثة : المراغنية ، نسبة الى سيدى مرغنى الرجل الصالح المقبور الان بمحل
تعبده فى صحن الماسط .

وذهب الناس فى نسبهم مذاهب شتى فمنهم من يقول انهم من الطوارق
تصاهروا مع اولاد بوجديد وحين ضاق المجال بهم نزلوا بالصحن المذكور
فخدموا ضريح سيدى مرغنى ونسبوا انفسهم اليه . ومنهم من يقول انهم
من بنى مرغى بن صابر المذكور انفا وانما ابدلت العامة ميم الاسم بالنون
فصار مرغنى مثل اسم الشيخ الصالح فظنوا انهم منه .

قبيلة الشبابة

ينتسبون الى شباط المتقدم ذكره . وقال القدماء انهم من العرب الذين
دخلوا وادى سوف عقب سيدى مسطور واولاد احمد . وفيهم بعض اهل
تكسبت القديمة من زناتة .

وتنتسم قبيلة الشبابة الى اثنتى عشرة عميرة .

العميرة الاولى : الشراودة

سموا بذلك لشدة نفرتهم من الناس وشرودهم . وهم ست فصائل
اصلهم من توزر .

الاولى : المداخلة . الثانية : الروابح . الثالثة : اولاد قروش . الرابعة :
اولاد حمه الطالب . الخامسة : اولاد عثمان . السادسة : المناعة ويقال
لهم ايضا اولاد مناعى . وكلهم دخلوا وادى سوف جملة حسب قول القدماء .

العميرة الثانية : اولاد بوجديد

نسبة الى جدهم بوجديد الذى جعل البناء الجديد فى تكسبت التى كانت
بموضع غوط الدواب الان وهو المغيبة .

وتنقسم هذه العميرة الى ست فصائل : اثنتان اصليتان وهما : الاولى :
اولاد حمانة . الثانية : اولاد البوهالى . ومع الاخيرة اولاد دهانة النموشى .

واربع ملحقات وهى : الاولى : اولاد حمادى اصلهم من بنى سليم .
الثانية : اولاد صابر بن عسكر بن حميد بن هبيب بن بهنة بن سليم بن
منصور . وهم الصوابرية . وقد انتسب هؤلاء الى اولاد بوجديد بالمصاهرة .

اقول : رايت فى الجزائر كتابا بخط القلم اسمه : كتاب السلسلة الوافية
والياقوتة الكافية (او الصافية ، اشتبه عنى ذلك) مقتطف من الجهرة
الكبرى ، وكتاب التحقيق فى النسب الرقيق وكتاب الاعتبار وجواهر
الاختبار . وكان على كتاب السلسلة الوافية هذا خاتمان قديمان لم تتبين لى
كتابتهما . منسوباً للشيخ احمد بن ابى القاسم العشمائى مؤلفاً عام
1198 هـ / سنة 1784 م ذكر فيه نسب المراغنية بما نصه : واما المراغنية بنو
يوسف بن مخلوف فجدهم اسمه الحسن بن بلقاسم بن عبد الكريم بن ابراهيم
ابن عبد العزيز بن عمر بن سليمان بن عيسى بن محمد بن احمد بن على بن
عبد الله بن عيسى بن ادريس بن ادريس بن عبد عبد الله الكامل بن الحسن
المثنى ... الخ .

اقول : وبعد ان كان المراغنية فى اولاد بوجديد تصاهروا مع اولاد مياسة
واختلطوا بهم فصاروا الآن يذكرون فى عديدهم مع اولاد احمد .

وسيدى مرغنى المسطور هو جدى من جهة الام لامها . حقق الله النسب .

الرابعة : العوامر ابنا سيدى عامر بن صالح بن محمد بن احمد بن محمد بن
عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلا بن عبد العلا بن احمد بن محمد بن عمر بن
سليمان بن احمد بن محمد بن ادريس الاصغر بن ادريس الاكبر بن عبد الله
الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن سيدتنا فاطمة الزهراء بنت
سيدتنا فاطمة الزهراء بنت سيدتنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم .

اقول : انحصر نسل بنى عامر الواديين فى احد ابنائه وهو محمد الذى
قدم من نواحي سوسة بالايالة التونسية . وتناسل من هذا ذرية كثيرة مات
بعضهم من غير عقب . وبعضهم عقب وهم عمار ، وابراهيم ، واحمد ، وعلى .

فمن الاول ، محمد الذى مات من غير عقب ، وعلى ولم يعقب ايضا ، ومن
الثانى محمد الساسى فقط وهو ابى - اللهم حقق النسب - ومن الثالث

بلقاسم ، ومنه احمد ، ومنه البشير المفقود الان . ومن الاخير محمد ومنه عمر ومنه علي الذي مات من غير عقب ومحمد . ومن هذا محمد ، وعمر ومصباح ، والحسين .

وقد انظم العوامر لاولاد بوجديد بالمصاهرة .

العميرة الثالثة : الشوايحة

ينسبون الى شيحة وهو محل بقرب جبل اوراس لنزولهم به زمنا عند دخول العرب ارض افريقية . ثم اتوا الى وادي سوف واختلطوا بالشبابطة وتصاهروا معهم .

وهم من بنى رياح بن ابي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان لوجود ما يدل على ذلك فيهم اذ سمعت من بعضهم دعوى القرابة مع بعض الرياحيين .

وتنقسم هذه العميرة الى ثلاث فصائل وهي : الصوالح ، والكعوب ، والذرايع ، وكلهم دخلوا وادي سوف متأخرين وانما ذكرتهم هنا تمييزا لقبيلة الشبابطة . والله أعلم .

العميرة الرابعة : العييدة .

هذه العميرة تقدم نسبها في اولاد احمد اذ هي قطعة منهم وهم اولاد مجول . لكن الآن تصاهروا مع الشبابطة وصاروا من عديدهم .

العميرة الخامسة : الالبالي :

هم اولاد بالي بن فرحات بن سليمان يتصل نسبهم بالفصائل الملحقة مع العوامر المتقدم ذكرهم .

وتنقسم هذه العميرة الى اربع فصائل ، ثلاث اصليات وهي : الالبالي ، واولاد القيطه ، واولاد الدودي ومن انتمى اليهم .

وواحدة ملحقة وهي الاماطرية . اصلهم من ماطر وهي بلدة من اعمال ايالة تونس ، اتوا متأخرين فانضموا لهؤلاء بالمصاهرة . وأكثرهم الآن انتقلوا الى نفطة واستوطنوها ولم يبق بعميش منهم الا القليل .

العميرة السادسة : الاعليات .

هم اولاد عالية بن صموده بن حمدان . اصلهم من بلدة الحضر التي بوسط نخيل توزر الآن غربا منها . ويقال ان نسبهم يتصل ببني همام .

أقول : ويدل على ذلك قرابتهم في بني رضوان . منهم خاصة خلافا لمن يزعم انهم من العرب القرابة . والله أعلم .

العميرة السابعة : الامانة .

سميت هذه العميرة بذلك لان جددهم كما قال التدماء كان غير مسلم ثم آمن وحسن اسلامه وسمى عبد الله المؤمن . وقيل أيضا انه كان من حلفاء بني مزروع الذين في جبل الظاهر . وكان يقال لبنيه اولاد المؤمن ثم تصرفت فيه الالسنه فصار يقال لهم الامانة . ولم يكن من هؤلاء أحد بالوادي بل كلهم في عميش . والله أعلم .

العميرة الثامنة : المساعية .

هم اولاد المسعى بن اسماعيل بن باعلی . اصلهم من اباضية مزاب . أتى جددهم عام المجاعة الكبرى . وبلغني انهم الى الآن لا يسمون عليا . والعيدة في ذلك على القائل . وقد عدل جددهم عن الاعتزال حين خالط أهل سوف فصار سنيا . والله أعلم .

العميرة التاسعة : الستانة .

هذه العميرة تجمع طائفتين هما : اولاد ستو ، واولاد سيدي موسى ومن انضم اليهم .

قيل اصلهم من اولاد مولاة بن مكناسة بن ورصطيف بن يحيى بن تمصيت ابن ضري بن زبيح بن مادغيس الى آخر نسب البرابرة . فهم على هذا القول من البرابرة الذين اختلطوا بعرب رحمن والسلمية المتقدم ذكرهم بشواحي وادي ريغ . لكن الصحيح انهم من أبناء سعيد بن مالك بن رياح بن ابي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر . . . الخ . الذين هم في أرض ورقلة . اتوا متأخرين الى وادي سوف فاختلفوا بالشوايحة في القديم وبالسواكرية في الاخير ، ، والله أعلم .

العميرة العاشرة : الجلايصية •

هم أولاد جلاص أو صلاص أو زلاص بن حبوس بن لماية بن فاتن بن تمصيت ابن ضرى ٠٠٠ الى آخر نسب الستاتة على القول الاول • فالزلايصية من البربر الذين كانوا تازلين بنواحي القيروان وتفرق منهم أناس بقسطنطيلة والزاب وسوف • وقد أتوا متأخرين فتصاهروا مع الشوايحة وصاروا في عديدهم والله أعلم •

العميرة الحادية عشر : الزبيدة •

سميت هذه العميرة بذلك نسبة الى زبيد •

جاء في تاريخ ابن خلكان ما نصه : زبيد بضم الزاى وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وبعدها دال مهملة اسمه منبه بن صعب بن سعد العشميرة بن مذحج •

وزاد « العققد الفريد » هو ابن مالك بن ادد بن زيد بن يشجب بن زيد بن كيلان بن سبا بن مالك بن ادد بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر وهو سيدنا هود عليه السلام بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام •

وقال ابن خلكان : زبيد قبيلة كبيرة باليمن خرج منها خلق كثير من الصحابة رضى الله عنهم •

اقول : وحين دخلوا مع العرب الى افريقية اجتمعوا في ناحية واحدة بقرية قرب المهدية • ومن هناك تفرقوا • والدليل على ذلك ما ذكره القدماء ويؤيده ما في رحلة ابن بطوطة •

ومن هذه العميرة شعبة مع اولاد احمد وقد تقدمت الاشارة اليهم • وسيأتى ذكر بعضهم مع الاعشاش وفي كوينين وتاغزوت •

ومن الزيديين من نزلوا بنفطة ومنهم من ذهبوا الى الزاب فاستوطنوه • والذين هم بالوادى مع شعب المصاعبة الان ثمانى فصائل وهى : العمامرة ، والخوالدية ، واولاد الحاوى ، واولاد فرجاني ، واولاد القتى ، واولاد بوسنيينة واولاد القصير ، والبقاقصة • وقد اتوا الى وادى سوف منذ زمن غير بعيد • والله اعلم •

العميرة الثانية عشر : السواكرية

هذه العميرة تنقسم الى ثلاثة أقسام وهى : أولاد اسماعيل ، وأولاد ذياب ابن الساكر ، وأولاد الحاج عبد الرزاق بن الساكر •

فاما الاولون فاصلهم من مليكة وهى احدى قرى غرداية • واما الاخرون فقال عنهم الشيخ العدواني ان نسب جدهم يتصل بسيدنا الزبير بن العوام وابن صفية عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم •

قال القدماء : اتى الساكر متأخرا ونزل بتكسبت الجديدة واستوطنها وولد له ابنان • احدهما يقال له ذياب ، والاخر عبد الرحمن • ثم مات الاخير من غير عقب • وولد للاول ابنان احدهما يسمى الساكر ، والثاني عبد الرزاق (شهر بعد حجه بالحاج عبد الرزاق) • وكان رجلا صالحا • ثم انتقل الاول الى الوادى ، والثاني الى بلدة يقال لها الخضراء قرب غمرة احدى مداشر تقرت • فوجد فيها سيدى محمد بن السايح فخدمه زمنا وبعد ذلك اشار عليه بان يسكن هو وبنوه الغديرة التى هى محل الطيبات القبلية الان • وقال له : احمل معك ناقة فاذا وصلت الى مكان فاشرفت الناقة على الموت فانحرها ولا تاكل منها واسكن بمحل موتها وان لم يقع شيء للناقة فارجع • فلما وصل الى ذلك المحل ، اى الطيبات وقع للناقة ما ذكر فسمكن هناك وابتدع النخيل • والى اليوم توجد نخلتان طويلتان مما غرسه الحاج عبد الرزاق •

ثم بعد ذلك امره الشيخ بالرجوع الى الوادى فرجع وسكن مع اخيه فى الشباطة وتصاهر معهم ، وجميع الرزازقة الموجودين الان هم منه •

وانضم لهؤلاء اربع طوائف ، اثنتان من الزاب واثنتان من الجريد • فالاوليان هما اولاد الشريف ، واولاد حميدة بن سعيد ، وكل طائفة من هاتين تنسب لنفسها الشرف • وحسب قول القدماء انهما من اولاد عمر الذين بنواحي سبدي عتبة ، فهم اخوة سعيد السابق ذكرهم • واما الاخريان فهما اولاد الداب ، واولاد العمودى وقد اتوا فى الزمن القريب من نفطة •

وما كان غير مذكور هنا فهو داخل فيمن ذكر لا يخرج عنهم • والله اعلم •

وتنقسم هذه العميرة الى تسع فصائل صغار وهى : الفطاحزة ، والزغاية ،
والقراينة ، واولاد حقانة ، والسوايح ، واولاد غمام ، والهوامل ، والطرايلة ،
والترايعة ، الذين يقال لهم الشويرفات لا الذين تقدم ذكرهم فى اولاد احمد .

العميرة الثانية : القشاشطة

هذه العميرة تنتسب الى سيدى احمد بن قشوط الرجل الصالح صاحب
القبة التى بوسط جبانة (مقبرة) الاعشاش . واصله من ابناء سيدى عبيد
الشريف الذين هم فى ضواحي الجريد . اتى الى الوادى متاخرا وانضم
بالمصاهرة للزغاية ومن معهم وتفرعت عنه الذرية الموجودة الان بوادى سوف .

العميرة الثالثة : اولاد نصير

قال القدماء : كانت ورقلة مسكونة بالرومان وخصوصا المكان المسمى
نقوسة فتواقعوا مع البربر وخرجوا منها وسكنوها البرابرة . ثم لم تنتظم
امورهم واختلفت كلمتهم فوقع الخلل بينهم فقاتل بعضهم بعضا ودخل معهم
اناس آخرون فى ذلك . ولم تزل الفتن قائمة بينهم الى ان اتهم طائفة من
الناحية القبلية يقال لها بنو نصير فاصلحوا بينهم واستراح الناس مما
كانوا فيه . فصار من اجل ذلك تعطيتهم كل طائفة من طوائف البربر خمس
بياق فى كل سنة . ثم لم يطل ذلك حتى وقع الخلاف بينهم . فخرج معظم
بنو نصير وقصد المغرب فاستوطن بعضهم مدينة فاس وبعضهم ارض الاندلس
واخرون ارض صنهاجة وغيرهم نواحي القراة وسوف وهم الذين بالوادى
وانتقلوا منه الى عيش وهم به الى الان .

واختلف الناس فى نسبهم ، فمنهم من يقول انهم من بنى ثور الذين هم
بورقلة الان وعليه فهم من بنى فهم اى طرود . ومنهم سفيان الثورى الامام
المحدث ، والليث بن سعد بن عبد الرحمن كما ورد ذلك فى النخبة الازهرية .
ومنهم من يقول انهم من بنى سعد وعتبة ابنى مالك بن رباح . لوجود من
ينتسب من اهل الوادى الى سعد . وبلغنى ايضا عن بعضهم انهم من
الاشراف .

وتنقسم هذه العميرة الى ست فصائل وهى : الوقايدة ، والعطالة ،
والحرايزة ، واولاد ديدة ، واولاد الجديد ، واولاد الشيخة ، وجميع من كان
يرجع لهؤلاء الستة .

القرافين

هم اولاد قرفة بن ابي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن
دعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن
قيس عيلان .

قال ابن خلدون : نزل بنو قرفة بجبل اوراس وسكنوه مللا متفرقة واتخذوه
وطنا . وربما نزل بعضهم الى تخوم الزاب . وهم بطون كثيرة . فالولهم بنو
محمد بن قرفة ويعرفون بالكليية ، واولاد شبيب بن محمد بن كليب
ويعرفون بالشبيب ، واولاد صبيح بن فاضل بن محمد بن
كليب ويعرفون بالصبيحية واولاد سرحان بن فاضل
ويعرفون بالسرحانية . ثم اولاد نابت بن فاضل وهم اهل الرئاسة فى قرفة .
ولهم اقطاع السلطان . وهم ثلاثة افخاذ ، اولاد مساعد ، واولاد ظافر واولاد
قطيعة والرئاسة اخص باولاد مساعد باولاد على بن جابر بن فتاح بن مساعد
ابن نابت . ثم انتشر بنو قرفة فى الزاب والرمال . . .

اقول : ان القرافين دخلوا وادى سوف متاخرين جدا ولكن حيث كان معهم
الان بعض البطون القديمة ذكرتهم هنا لتتم بذلك الضميمة للشبايطه اذ هم
معهم فى الاحكام .

وتنقسم هذه القبيلة الى تسع عمائر احداها اصلية والباقيات ظارئات .

العميرة الاولى : الشراعبة

نسبة الى شرعبة جدة الفطاحزة التى كانت تسمى لها مفاخر القرافين
الذين بالوادى لجودها وكرمها وحسن رايها وهى تشبه لجازية فى المتقدمين .

العميرة الرابعة : الرضويين

نسبة الى رضوان بن سليمان الهمامي . اصلهم من العرب الذين هم بضواحي فريانة قرب مدينة قفصة بالايالة التونسية . اتوا الى وادي سوف متاخرين وتصاهروا مع اولاد نصير .

العميرة الخامسة : اولاد زايد

اصلهم من زيود الربيع الآتي ذكرهم .

وهم ثلاث فصائل : اولاد قبوسة ، والجعايدة ، والعياشة ، وان كان بعض هؤلاء قد اتصل بالعزالة كما سيأتي .

واصلهم قديم بارض سوف واختلاطهم بالقرافين متاخر وقسمتهم بين العزالة والقرافين قريبة من وقتنا هذا والله اعلم .

العميرة السادسة : الحمائدة

اصلهم من محاميد طرابلس ، نسبة الى محمود بن طوب بن بقية بن وشاح بن عامر ابن جابر بن فاتك بن رافع بن ذياب بن مالك بن بهنة بن سليم بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان .

وهم ثلاث فصائل ، الحمائدة ، والقعايدة والعثمين . ومن انتمى اليهم ، والله اعلم .

العميرة السابعة : الجبابة

نسبة الى جبنون بن حبيش النفزاوي . اتوا الى وادي سوف مع الاعشاش فبقى البعض معهم وانتقل البعض الى كوينين واستوطنوها والبعض الآخر اختلط بالقرافين بالمصاهرة والانضمام ثم انتقل بعضهم الى الجريد ومكثوا بها زمنا ومنها رجعوا الى سوف وهم : اولاد مراد ، والصوالحة اي اولاد الصالحة بنت حمرون النفطية ، ويتبع هؤلاء ابيات قليلة في تكسبت الان . والله اعلم .

العميرة الثامنة : مصفونة

اصلهم من الشابية . فقد جاء في « الخلاصة النقية » انهم اشياح الحفصيين . كانوا بالقيروان فاجلاهم ابو محمد الحسن فسكنوا البادية . وسموا الشابين لان اصلهم من الشابة . والصبية وهي بلدة قبالة المهديّة عند مكان يقال له قبودية . وهم طوائف كثيرة لا يحتاجون الى تعريف في زمننا لشهرتهم ورفعة مكانتهم . والعرب الذين يقال لهم دريد هم تلاميذ للشابية والان يتميزون منهم .

وهم فصيلتان في القرافين وغيرهما في العزالة كما سيأتي ذكرهم . والذين هم هنا : الشكايم ، واولاد زغب ، وكثير منهم لا يعرف نسبة اي انهم لا يعرفون نسب انفسهم والله اعلم .

العميرة التاسعة : الامايد ومن معهم

هؤلاء ينسبهم البعض الى جددهم المايدة فيقول لهم الامايد . والبعض الآخر ينتسبهم الى امهم مبروكة فيقول لهم : اولاد مبروكة .

وهم اولاد محمد بن صالح بن المايدة ، واولاد عمارة بن صالح بن المايدة ، واولاد بلقاسم بن صالح بن المايدة ، واولاد مبروك بن صالح بن المايدة ، وهؤلاء الاخرون هم المعروفون الآن باولاد نواجع ، واولاد الليدي وعمارة .

واشهر من انتمى لهذه العميرة اولاد القدة ، والرزاقة ، والبنينة . وغير المشهور اخلاط قليلون مثل اولاد الناصر .

والجميع اختلف في نسبهم . فمنهم من يقول ان جددهم حرطاني ومنهم من ينفي ذلك . والراجح انهم مختلفون فمنهم من كان جده حرطانيا من غدامس . ومنهم من كان من بني سليم الذين دخلوا وادي سوف مع طرود . وقد ذكر لي بعض الثقات رفع نسبهم فاعتمدت في ذلك على حافظتي لكني نسيت الان والكمال لله . واني لأسف على ذلك .

ولآن اذكر بقية المصاعبة تتميما لهم وان كانت بعد الاعشاش في الدخول الى سوف . والله اعلم .

العميرة الاولى : اولاد عزيز

هذه العميرة جمعت اولاد بلقاسم بن عجال بنه عقب ،
واولاد حمد ، واولاد عزيز . لكن اشتهر فيهم الاخيريون الكثرتهم ووجود
الرئاسة فيهم ودخل الآخرون في عديدهم .

ودخلت مع هؤلاء طائفة يقال لها اولاد احميد اصلهم من رحمن بن يزيد
ابن مرداس بن رياح بن ابي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة بن
معوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خفصة بن قيس عيلان .
ومعهم طائفة اخرى من مصفونة المتقدم ذكرها وهي : اولاد الدردوري ، واولاد
زواي ، واولاد الحامدية . ومعهم ايضا طائفة اصلها من غدامس تجمع الطواهرية
واولاد كينة ، واولاد الحاج البكري . وقيل ان الآخرين هم من اولاد نصير
ذكرهم مع القرائين والله اعلم .

العميرة الثانية : البشيرة

هم اولاد بشير المتقدم ذكره ، وهم اقل عمائر العزازلة عددا . ومعهم
ايات قليلة من نزاوة يقال لهم التقر . كما انضمت لهم طوائف من اولاد
مولاة وهي : اولاد دهب ، واولاد بوزنة ، واولاد الفقيري لانهم تصاهروا معهم
ون كانوا في الجباية مع اولاد عزيز .

العميرة الثالثة : الطليبة

نسبة الى طليبة جددهم . وهم متوسطون في العدد . وانضم لهما بيتان من
بنى عم الشريف ، واولاد حميدة بن سعيد بن اولاد عمر بن علي بن احمد بن
عمر بن محمد بن مسعود بن سلطان بن زمام بن ورديفي بن داود بن مرداس
ابن رياح بن ابي ربيعة بن نهيك بن هلال . ومعهم طائفة من الهامة القيطنة
وعم الشرايطه ، وطائفة من سفاقص وهم للغرايسة ومنهم سيدي الحاج احمد
صاحب القبة التي قبلة البرج الآن . وطائفة من توات الحنة اخوة قوارير
كروينين وهم اولاد التواتي التي كانت فيهم قيادة عرش لمصاعبة سابقا .
وطائفة يقال لها الغنادرة . قال الشيخ العدواني عن هؤلاء الاخيريين انهم
ينسبون لامرأة يقال لها غندبرة كانت تنصب خيمة بالصحراء فيها تمر
ودقيق تقطعه للماوين وعابري السبيل فسمى مكانها الى الآن الخيمة . وكان
لها ثلاثة ابناء احدهم وضاح ، اى به وضح وهو البرص فكان يسمى الايرص
مات قتيلا في طريق الجريد الآن وسمى الماء (البئر) الذي بقربه الأيرص
باسمه . والثاني اصلح اى عديم شعر الرأس يسمى المصيفيني مات بالعطش
في الصحراء فسمى موضعه به الى الآن . والثالث اخوها للام فقط وهو

العزازلة

ينتسبون الى العزال جددهم الذي اتى من المغرب ومعه ابناه الاثنان علي
وبلقاسم . وكل واحد منهما له ثلاثة ابناء .

فمن الاول : عباس ، وطليبة ، وبشير (بالتصغير) .

ومن الثاني عجال ، وحمد ، وعزيز .

ومع الجميع نسائهم واولادهم .

فلما وصلوا الى تماسين مات العزال هناك واتى ابنه وابناؤه الستة
فنزّلوا بقرب تكسبت القديمة . ثم بقي بلقاسم هناك وذهب اولاده الثلاثة
واخوه علي واولاده الثلاثة الى تونس فنزلوا على السيدة المنوبية بقرب باب
الفرجاني ، فمكثوا مدة ثم رجعوا الى بلقاسم الذي بالوادي فوجدوه قد ارتحل
الى تماسين حيث مات ابيه . ولا يدرون امات هناك ام لا .

وبعد زمن ولد ابن لعجال فسماه بلقاسم على اسم ابيه . قيل انه هو صاحب
الضريح المعروف في الجهة الشرقية الجوفية (الشمالية) من الوادي .

وغالب فرق العزازلة تنسب الى المذكورين ، وانضم اليهم كثير من غيرهم .
واما عجال ، وحمد ، وعزيز ، وعباس ، وطليبة ، وبشير ، وعلي ، فهم
المتبررون بمكان واحد قرب ضواحي روحه والى الآن يعرفون بالعزازلة
السبعة .

وتنقسم قبيلة العزازلة الى خمس عمائر ، اربع اصليات والخامسة ملحقة .

المسعودى لان ابيه كان من اولاد سعود نسبة لرجل شريف مغربى اتى الى كوينين فانتمى اليه اهلها فصار يسميهم ابناءه . ثم انضم له اهل تاغزوت والزقم لراى عنده . وصار يقال لهؤلاء جميعا اولاد سعود . وبذلك لا يعرف على السعودى من اية قرية من هذه القرى كان ابوه . ومات السعودى بالصحراء ايضا فسمى مكانه به الى اليوم . . .

اقول : ان كانوا اى الغنادرة ينسبون الى السعودى فهم من احدى فصائل كوينين او الزقم او تاغزوت . وان كانوا ينسبون الى احد الاخوين الاولين فيفرب من الظن انهم من مصغونة . وان كانوا يتبرؤون من هذه وينتمون لاولاد طليبة . والله اعلم بالحقيقة .

العميرة الرابعة : العباسية

ينتسبون الى العباس السابق ذكره ، وهم كثيرو العدد . وقد انضم اليهم بعض العيايشة وتصاهروا معهم وهم : الصيايفة وانضم لهؤلاء وفد من اهل نفوسة من اعمال قابس وهم المعروفون بينهم الآن بالمقاتلة ، وطائفة اخرى من تامرط وهم الزرابطة ، والزكايرة . وطائفة ايضا من غديبة احدى قرى غريب وهم الصوالج ومعهم انفار قليلون من ورقلة . والله اعلم .

العميرة الخامسة : اولاد حميد

اختلف فى نسبهم لكن الذى يدل عليه انتساب البعض منهم الى بعض بنى سليم انهم من بنى حميد بن جارية بن ذياب بن ربيعة بن زغب بن جرو ابن مالك بن خفاف بن امرئ القيس بن بهنة بن سليم بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس عيلان .

وذكر لى بعض ذوى العلم من اشرافهم انهم ينتسبون للاتبج وعليه فهم ابناء حميد بن عامر بن اتبج بن ابي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . وبحسب القول الاخير فهم هلاليون وعامر ابو حميد المذكور هو اخو دريد لاييه فكلاهما ابن اتبج ولهما اخوة آخرون منهم قرفة جد القرافين السابق ذكرهم ، وياسر ابوجماعة من اولاد خليفة الذين هم فى الاعشاش بالوادي ، ومشرف ابو مخدم جد المخادمة الذين هم بورقلة .

ثم ان اولاد حميد حين دخلوا مع العرب استقروا بوادي سوف اولاً ، وبعد زمن وقع بينهم وبين اولاد احمد شتان رحلوا من اجله الى قمار واستوطنوها .

وحين وقعت الهدنة بين قمار والوادي وصاروا حلفاء اتى بعض من اولاد حميد الى موطنهم الاول فجانفوا اولاد احمد ونزلوا مع المصاعبة وصاروا من عديدهم .

وهم ينقسمون الى خمس فصائل ، ثلاث اصليات ، واثنان ملحقتان وهم المحاسنة ، والحشارمة ، والكرارشة ، والسود . لان جدتهم اسود كما قيل يسمى احمد نضم لهم بالخدمة وانتسب اليهم ، والسعدين هم اولاد السعداني اصلهم من سيدي عبيد . والله اعلم .

وقيل ان جدتهم كانت لها كلبة سلوفية تسمى (عانية) فاذا حرشتها على الصيد تقول لها اشاعانية ودامت على ذلك زمنا طويلا فعرفت بتلك العبارة وصار يقال لاولادها أبناء اشعانية .

وبعض منهم ينتسب للشرف مثل اولاد اسماعيل . وبعضهم ينتسب للخدمة المتقدم ذكرهم . فعلى هذا يكونون من اخوة دريد القرافين واولاد حميد .

وقيل ايضا ان جدهم بربرى من مسوفة فرقة الملممين يسمى شعبانا ويقال لاولاده الشعابنة فتصرفت فى ذلك الالسنة بالقلب المكانى اى بوضع النون مكان الباء لمكان النون .

ورد فى كتاب « المنهل العذب » عند تحديد طرابلس ما نصه : ويجدها غربا تونس وارض قبائل الشعابنة (بتقديم الباء على النون) التى بين طرابلس والجزائر . . . الخ .

وينحصر الشعابنة الذين بوادى سوف فى فصيلتين هما : العمارنية ، والغدايرة ، ومعهم ابيات قليلة من آل عدوان مختلطون بهم .

وها هنا انتهى نسب المصاعبة وساعقه ببقية شعب الاعشاش . والله الموفق .

الشعابنة

هؤلاء ليسوا من الذين دخلوا وادى سوف فى القديم وانما اتى منهم فى الزمن القريب جماعة من متليل وورقلة فدعاني لتقديم ذكرهم انتساب بعضهم فى الصورة للمصاعبة . وكانت جبايتهم العرشية فى اول الامر مع المصاعبة والان انفصلوا عنهم وصاروا قسما مستقلا بنفسه ، لهم قيادة خاصة منهم وجباية مستقلة دون انضمام لاحد الشعبين اى الاعشاش والمصاعبة .

واختلف فى نسبهم اختلافا كثيرا . فبعضهم يقول انهم من بنى سليم وسموا بهذا الاسم حين نزلوا بافريقية على محل يقال له « شعبارية » (بالعين المهملة بعد الشين المعجمة) . ويذكر بعضهم انهم من بنى مزروع المعروفين بالعكارمة .

اقول : مزروع هو ابن صالح بن ديلم بن حسن بن ابراهيم بن سويد بن عامر بن مالك بن زغبة بن ابي ربيعة بن نبيك بن هلال بن عامر . . . الخ . وابراهيم المذكور هو اخو مجاهر جد المجاهرية الذين هم بتقرت الان . وقيل سموا بذلك لان اسمهم كانت تدعى شغبنا (بالشين والغين المعجميتين) وينتسبون الى الحسن بن عرب اليمى الذين منهم اناس بالهمامة واناس بالمراذيق ، وبعض بورقلة والاخرون متفرقون بالمغرب .

اقول : الحسن بن بنو عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس ابن وائل بن الغوث بن حيران بن قطن بن عريب بن زهير بن غوث بن اليمى بن الهيمس بن حمير بن عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن عابر الى آخر نسب زبيد السابق .

ويعتقد البعض ان الارباع الذين بنواحي الاغواط من هؤلاء الربايح وهذا غير صحيح . بل الارباع هم ابناء الربيع بن زياد بن الربيع بن قنان بن سلمة بن المعقل بن كعب بن ربيعة بن الحرث بن كعب بن حرب بن علة بن خالد بن مالك بن اداد وهو مذحج بن زيد بن يشجب بن غريب بن زيد بن كهلان بن سبا بن مالك بن اداد بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر الى آخر ما تقدم كما في « العقد الفريد » و « الجوهرة الكبرى » . فالربايح اذن مضرين والارباع قحطانيون . والله اعلم .

الربايح

الربايح جمع ربيعة ، كانوا ثلاثة من نسل زيد مناة فتناسلت منهم هذه الذرية وغيرها .

جاء في « العقد الفريد » : ربيعة بن مالك بن زيد مناة ، وربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، وربيعة بن مالك بن حنظلة بن مالك بن حنظلة مالك بن زيد مناة يقال لهم الربايح .

اقول : زيد مناة هو ابن تميم بن مرة بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان الخ . وهم اقوام كثيرون منهم فرق في الشام ومنهم في السودان كذلك حتى انك لا تميز بين الربعي والسوداني الا اذا عرفك بنسبه .

وجميع الذين بارض سوف دخلوا افريقية زمن دخول العرب اليها وبعد اولاد احمد وبعض المصاعبة بقليل خصوصا اولاد بلول فانهم سبقوهم الا اولاد الحجاج فانهم اتوا متاخرين من وادي الاجال الذي بقرب فزان . وتركوا كثيرا من اخوانهم هناك والى الآن يعرفون بهذا الاسم .

وتشتمل هذه القبيلة على اربع عشرة فصيلة صغيرة وهي : اولاد بلول ، والزيود ، واولاد حمد ، واولاد زقزاو ، والرقيعات ، والافايز ، والاغواث ، والدوامية ، والعطايرة ، والحوامد ، والمصاييح ، واولاد مسعود ، والقطايط ، واولاد الحجاج . ولم يبق الجميع بالوادي بل انتقل منهم افراد الى البهيمة ونواحيها . وفي هذا العهد الاخير لم يختلط بهم غيرهم من اخوانهم طرود بعد ان اختلطوا بهم زمنا سابقا .

أولاد جامع

ينتسبون الى جامع بن تمون بن عبد الله (صاحب الولاية على طرابلس عام 1208/602 م بن ابراهيم بن جامع المرداسي احد افخاذ بنى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان لا مرداس بنى هلال .

كانت منازلهم بنواحي طرابلس ثم انتقلوا منها الى الناحية الجنوبية من الايالة التونسية ومنها الى ارض سوف وغيرها وبقي البعض منهم في جميع تلك النواحي .

قال ابن خلدون : حين انقطع دابر ابن غانية صرف عزمه الى اخراج بنى رياح من افريقية ، فجاء بمرداس وعلاق من بنى سليم الذين بنواحي الساحل وقابس واصطنعهم ، ورئاسة مرداس يومئذ في اولاد جامع . وبعده لابنه يوسف ، وبعده هنان بن جابر بن جامع . ورئاسة علاق في الكعوب لاولاد شيخة بن يعقوب بن كعب . وكانت رئاسة علاق قبل اى حين دخلوا افريقية لرافع بن حماد وعنده راية جده التى حضر بها مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو جد بنى كعب . وتكررت بينهم وبين بنى رياح الحروب والوقائع حتى ازاحوهم عن افريقية الى مواطنهم فى هذا العهد بتلول قسنطينة وبجاية الى الزاب وما يليه . ثم وقعت النفرة بين المرداسيين وغلبوهم على الاوطان واخرجوهم من افريقية وصاروا الى القفر وهم اليوم من جهة بادية الاعراب اهل الفلاة وينزعون الى الرمل وبعضهم تعمق فيه ...

أقول : وهم بوادى سوف غير كثيرين . وسيأتيك فى كلام ابن خلدون ان الاعشاش منهم . والله اعلم .

الاعشاش

قال ابن خلدون : ولما علا كعب بن علاق وسائر بطون المرداسيين كحصين ، ورياح ودلاج ، وارتفع شأنهم عند الدولة عتروا على سائر بنى سليم بن منصور واستقرت رئاستهم فى ولد يعقوب بن كعب وهم : بنو شيخة ، وبنو طاهر ، وبنو علي ، وكان التقدم فى بنى شيخة بن يعقوب لعبد الله اولاً ، ثم لابراهيم اخيه ، ثم لعبد الرحمن ثالثهما . وكان بنو علي يرادفونهم فى الرئاسة . وكان منهم بنو كثير بن يزيد بن علي . وكان كعب هذا يعرف بينهم بالحاج لما كان قضى فرضه . وكانت له صحابة مع ابى سعيد العود الرطب شيخ الموحدين لعهد السلطان المنتصر افادته جاهها وثروته .

واقطع له السلطان اربعا من القرى اصارها لولده كان منها بناحية سفاقس وبافريقية وبناحية الجريد . وكان له من الولد سبعة ، اربعة لام وهم : آجر ، وماضى ، وعلي ، ومحمد . وثلاثة لام وهم : بريد ، وبركات ، وعبد الشئى . فنازع احمد بن ترحم احد المرداسيين اولاد شيخة فى رئاستهم على الكعوب واتصل بالسلطان ابى اسحاق وفعل بهم فعلا عظيمة . فلحقوا بالدعى عند ظهوره . ثم هلك احمد واستقرت الرئاسة فى ولده . وكان له من الولد جماعة . فمن عرفة احدى نساء بنى قاسم : ابو الليل ، وابو الفضل . ومن الحكمية ، قائد ، وعبيد ، ومنديل ، وعبد الكريم ، والسرى ، وكليب ، وعساكر ، وعبد الملك ، وعبد العزيز . وكانت الرئاسة المذكورة بعد احمد لابى الفضل . ثم من بعده اخوه ابو الليل . وغلبت رئاسة هؤلاء على قومهم وتالفوا ولد اخوتهم جميعا . وعرفوا ما بين احيائهم بالاعشاش الى هذا العهد ... الى آخر كلامه .

أقول : ولم يذكر ابن خلدون هنا العلة التى سموا من اجلها اعشاشا .

قد يقال ان المتعارف بين الناس ان الانسان اذا كثرت ذريته يسمونه عشا تشبيها بعش الطائر الذي يجمع فيه العيدان والريش ، والجمع عشاش واعشاش ، فعلى هذا سميت هذه الطوائف الكثيرة اعشاشا . والجارى على السنة العامة الان هو ما ذكره الشيخ العدواني ومعناه هكذا : انهم ينتسبون الى رجل اسمه العش بن عمر بن سليمان بن محمد اليربوعي .

اقول : يربوع هو ابن حنظلة من مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرة بن اد بن طابخة الى اخر نسب الرباع السابق .

وكان منزل العش المذكور فى قرية من اعمال نفزاوة يقال لها تلمين الكبرى .

وقال الشيخ العدواني : وكان العش مباشرا بها تحت عاملها المسمى ابراهيم ابن كنعان الكرى فكلفه امير تونس بقضاء بعض المآرب لاثامه للعامل فيها . وبعد تمامها وعده بالولاية فى خطة المذكور وأرجعه بهدية عظيمة وأمره بأن يأتى بكتابة من أهل البلاد فى عدم رضاهم بابن كنعان وقبولهم ولاية العش عليهم وحسن سيرته معهم . فلما أراد العش قضاء ذلك الوطر بلغ خبره العامل فأحضره واستخبره فكتمه الامر . فلأزال يردده حتى أحس منه بالشر . فقال له ان الامير بعث معى بهدية لك وعريضة فيها تجديد الولاية لك فأرسل معى من يأتى لك بها . وكان منزله بعيدا عن نادى القوم . فبعث معه خادمه حارثا ليحرسه ويأتى معه بالهدية ان لم يقدر على حملها . ودخل العش منزله وشرع فى جمع الاثاث والنقود وحمل ذلك على أربعين جملا وأخرجها من ناحية أخرى من الدار . وذهب معها النساء وأبناؤه السبعة وهم : الفقيه ، وسعد ، ومرجان ، وخليفة الابتر ، وجبنون ، وجبر ، وسفيان . وكانت لهم خيول ركبوها وساروا نحو طريق سوف اذ هى ام الهارب . وهذا كله بمسمع ومرأى من حارث موصى بكتمه . وكان للعش بئر بأسفل داره جعل عليها فراشا وأجلس حارثا عليه موهما اياه انه سيضيفه . فسقط فيها . ثم ركب العش حصانه ولحق بأبنائه فوجدهم نازلين فى قرية عويئة حيث كان يخرج أهلها فى الربيع الى الصحراء وتبقى فالوغة . ثم بطو خبر حارث على العامل فوجسه من يتفقد فوجسه فى البئر فأخرجه وذهبا معا للامير فأخبره بما وقع فوجه فى اثره محلة تتألف من اربعمائة فارس وزحفوا للصحراء القبليّة لظنهم انه يتوجه الى غدامس فجالوا زمانا ولم يجدوا شيئا فرجعوا خائبين وانجى الله العش فسار بمن معه حتى نزل على سيدي حسن عياد الذى بشط نقطة قبلة غربا من نخيلها . فأمره من كان بزوايته بالذهاب الى سوف بعد الاستخارة . ثم سار حتى نزل على سيدي محمد بن على بن ابي ناب حيث كان بالصحراء يحفر بئرا للمازير بالقرب من شوشة البكرة التى مات فيها يهودى فصارت تسمى به وتنسب اليه ومازال

سائرا حتى وصل الوادى فنزل على فريق اولاد احمد فأووه وأكرموه وتصاهروا منه وانتموا له . . . الى آخر كلام الشيخ العدواني .
أقول : كلامه هذا وان كان يصادف من جهة التعليل ففيه نظر من وجوه ، ومن شاء الاطلاع على بقيته فليراجعه .

فسيدي حسن عياد المذكور هو تلميذ سيدي الصالح البسكري وهو تلميذ سيدي ابي مدين الغوث التلمساني وهو فى زمن سيدي عبد القادر الجيلاني الذى مات عام 541 هـ/سنة 1147 م تقريبا . والعش على القوك به جاء زمن سيدي المسعود الشافى فى حدود عام 1020 هـ/سنة 1612 م .

ومن الاعشاش طوائف كثيرة بالمغرب الاقصى ، وطائفة بشمال عين البيضاء . وقرب وادى الزناتى ، وأخرى بقرب باتنة . . . وطائفة بنفزاوة لكنها قليلة فربما هى التى جاؤوا منها ؟

والذين ها هنا بالوادى عشر عمائر منها الاصلى ومنها الملحق وسياتيك نسب الجميع على الخلاف السابق . والله أعلم .

العميرة الاولى : الفقهة :

بحسب ما جرى على الالسنّة وتبعاً للشيخ العدواني انهم أبناء الفقيه بن العش .

وبمقتضى كلام ابن خلدون انهم ابناؤه فاقا بن عاصم بن عبد العزيز بن احمد بن شيخة بن يعقوب بن كعب بن احمد بن ترحم بن حميد بن يحيى ابن علاق بن عوف بن امرىء القيس بن بهنة بن سليم بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس عيلان .

وهم هنا : بنو غنباوى ، وساعى ، وحشية ، وبكىنى ، وسى العربى ، ويلحق بهم بنو الحاقّة ، والصحيح فى الاخيرين انهم من اولاد سيدي عبيد ركاكة . ومع هذه العميرة اولاد عطية وهم بحسب المتعارف عند بعض الناس وتبعاً للشيخ العدواني من أبناء محبوب بن رياح وبحسب ما سمعت من بعضهم انهم من ابناؤه سيدي الزاير صاحب زاوية القيروان ويتصل نسبهم بالاشراف والله أعلم . وبمقتضى كلام ابن خلدون انهم ابناؤه عطية بن كعون بن فرج بن توتة بن مبارك بن عابر بن عطية بن دريد بن الاثبج بن ابي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر الخ . والله أعلم بالحقيقة .

وهؤلاء هم أولاد سيدي سالم العايب صاحب الزاوية الرحمانية بالوادي ،
وأولاد مرسى الذين فيهم قيادة الأعشاش منذ زمن طويل ، وأولاد الغيلاني ،
والمرام ، والمتزدر ، والشايب ، والغزال ، وأولاد نصر ، والعتاتسة ،
والعازية ، والتوامي ، وينضم الى هؤلاء آخرون وهم : أولاد الساسي ،
والعايش ، وميعادي ، وبوشارب ، وبصة ، والكرباطي ، والصرايطه ، وبوغزالة ،
والهقافة ، وأولاد بوكوشة ، ولم أجد عند أحد خبراً صحيحاً على نسبهم بمن
يتصل الا البطنيين الاخيرين فقد قيل انهما من بيوتات الاشراف الذين
بالدويرات . والله أعلم .

العميرة الثانية : أولاد خليفة .

المتعارف الآن انهم ابناؤه خليفة بن العرش جريا وراء كلام الشيخ العدواني .
ومن نظر الى كلام ابن خلدون « والمنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب »
انهم أبناء خليفة بن رشاش بن وشاح بن عطية بن كعون بن فرج . . . الى آخر
نسب الفقهة السابق .

وهؤلاء قليلون جدا الا أن المنتسب اليهم كثير وسيأتي تفصيلهم .

والذين هم هنا : أولاد الولايب ، وبوظبية ، وخشيبية ، والافاحمة . والله
أعلم .

العميرة الثالثة : أولاد حميدة .

قدمت هذه العميرة وان كانت متأخرة الدخول الى وادي سوف لانضمامها الى
أولاد خليفة . بل بعضهم يزعم انها منهم وليس كذلك وانما هم من النمامشة .

وهم : اولاد عمار بن قدور ، والمانع ، واولاد مسعود ، واولاد مية ،
وأولاد عائشة ، والفنيك ، والعيدي ، وطريف ، وابن سعد ، والتريكي ،
والنفثوف ، والكلتومي ، والهامي ، والدغمين ومن معهم وهم الجرمن أولاد
جرمون بن جراز بن عرفة بن قارس بن حسن بن محمد بن عبده بن حسين
ابن فرج بن يوسف بن متبا . ولم أقف على ما فوق ذلك .

وينضم الى هؤلاء أولاد سيدي عبد الله بن احمد ، وتزعم العامة أن سيدي
عبد الله المذكور هو الذي كان قبل في تكسبت وليس كذلك بل هذا متأخر اتى
من سفاقص وأخوه لأن في الزقم وكلاهما ينسب للشرف . والصحيح في الاول

أنه مات قتيلا وقبر حذو تكسبت القديمة وهو الذي شوهد ضروء بضريحه
فسمى المكان ضواى روحه .

والمنتسبون الآن الى السفاقصى قيل انهم ليسوا أبناء صلبه وانما خدمه
أبوهم فتبناه وهو المقبور جوفى ضريح الشيخ . والله أعلم .

العميرة الرابعة : الجيرات

ينسبهم غالب الناس الى جبر بن العرش كما ذكر ذلك الشيخ العدواني .

أما بحسب كلام ابن خلدون السالف فيكونون أبناء جابر بن فاتك بن
رافع الابن ذياب بن مالك بن بهنة بن سليم الخ . اذ هم كما في « المنهل
العذب » مختلطون مع أولاد أحمد السابق ذكرهم وانحدروا معهم من برقة الى
طرابلس ثم الى قابس ومنها الى الصحراء .

أقول : ان منهم أولاد أحمد الاصيلين وهم : أولاد البردي ، والبريدى ،
وأولاد بكار . اذ ربما هم بنو بريد بن كعب بن احمد بن ترحم الى آخر نسب
الفقهة المتقدم . والباقون هم : أولاد زريق وأولاد الدو ، وأولاد علاهم ،
والجبايلية ، وأولاد داهم ، وعموري ، وعدوكة ، وقماري ، وقدرورية ، والنيد
والارقط ، والسواسي ، وصلوبة ، والبلالم ، والبشائرة ، وجابر ، وعمار
ابن العيد ، وقيل الاخرون غرابة .

ويلحق بهم أولاد عبد الملك ، وأولاد محمد ، وأولاد سليمان ، وهم كثيرون .
وتزعم العامة ان الملققين جدهم يهودى اسلم وليس صحيحا . والله أعلم .

العميرة الخامسة : الكساسبة .

لم يزد الشيخ العدواني على أن كسابا من جبل ابي سعادة .

أقول : ان كسابا هذا قد مات في سفاقص ويقال ان نسبه يتصل بنسب
سيدي عبد الله المتقدم ذكره ، وقد ترك ثلاثة أبناء أحدهم ذهب الى خنقة
سيدي ناجي ، والثاني الى عين صالح ، والثالث أتى الى وادي سوف .
وأبناؤه هم : أولاد العايب خاصة وانضم لهم بنو كساب ، وعون بن محمد ،
وأولاد مسية ، وقعيد ، وأولاد عمر ، وعباس ، وعمارة بن بية ، والمشرد ،
وديدة ، وأولاد بوصبيح ، والفريجات . كما انضم لهم أولاد جبنون وهم
أصليون لانهم حسب رأى الاكثرية أولاد جبنون بن العرش . وقيل أيضا انهم
أبناء جبنون بن بركات بن كعب الخ . وقيل ابن حبش الخ . وهم : الحاريق ،
وأولاد لامة ، واللامعة ، وقزون .

وبسبب هؤلاء قدمت ذكر هذه العميرة وان كانت متأخرة الدخول الى وادي سوف . وشاع بين العامة ان الضمايدة منضمون الى هؤلاء وهم : أولاد قمعون ، وأولاد مامنية ، وأولاد السخري وحسب التحقيق انهم ملحقون بعميرة أولاد حميدة اذ نسبهم يتصل بهم والله اعلم .

العميرة السادسة : أولاد عيسى .

قال الشيخ العدواني : هم أولاد عيسى العدواني .

وقال القدماء انهم من أولاد عيسى الذين هم بجبل نفوسة والظاهر وما بينهما .

أقول : فان كانوا من ذلك المحل فهم أبناء عيسى بن زغبة بن ناصر بن خفاف بن قيس بن بهنة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان .

وهم : أولاد الباهي ، والحلالدية ، وأولاد مريقة ، والاباسي وأولاد الدروني ، وأولاد ابن عيسى ، والى الآن يزعم البعض انهم ملحقون بأولاد حميدة وليس بصحيح والله اعلم .

العميرة السابعة : العيادية

تقدم نسب هذه العميرة في اولاد احمد الاولين فلا لزوم من اعادته .

وهم : اولاد العيادي ، والمنصوري ، ومنصور ، والغفاق ، واولاد عيدة ، وطعملة ، واولاد باسي واولاد كنيوة ومن الحق بينهم .

تتميم :

بقي من الاولين بنو مجور منهم جماعة من اصحاب الهنشير الغربي كا اولاد الغلوسية ، وحمد واولاد بكر ، وابراهيم بن منصور ، وبوعزيز ، والحاج عمار ، وصالح بن فرحات ، ومسعود بن عبد الله ومحمد حميدة ، الخ . والله اعلم .

العميرة الثامنة : الحليات :

تنسب هذه العميرة الى زعيمها حليلة الذي اتى من الدويرات ولم يحققوا نسبهم .

وهم : اولاد الشيخ على ، واولاد اللموشي ، واولاد فرج ، وابن رقية ، وابن نجمة ، والجروني ، والمرخي ، والمساسة ، وأولاد رويحة ، وابن حدى ، ولوى ، والبهيم ، وأولاد ام هانى ، والميعادى ، واحمد باى وأولاد سعد بن خليفة واخيه ، والحميات ومن الحق بهم . والله اعلم .

العميرة التاسعة : الزبدة :

سبق فى المصاعبة نسب هذه العميرة مرفوعا .

وهم هنا : الحداسة ، واولاد زهمول ، والهزلة ، والدبابة ، واولاد يكار ، العثمين ، والنجار ، والنفيسة ، والشعباني ، وبروبة ، واولاد عمار الاعور ، واولاد حمية ، واولاد شتحونة . والله اعلم .

العميرة العاشرة : مضفونة .

قد تقدم الكلام عنهم فى المصاعبة بان نسبهم يتصل بنسب الشاسي .

وهم هنا : اولاد محمد بن مسعود ، واولاد رجال ، واولاد محمد بن فرحات واولاد الحاج صالح ، والكبسي ، والهوامل ، والنداييرة وهؤلاء كثيرون . والله اعلم .

وهذا آخر الكلام على الاعشاش وبهم انتهى الكلام على اهل الوادى .

تنبيه :

« ما يلزم ذكره ان جميع الاقوام الذين تقدمت انسابهم هم من الواديين . كانت سكناهم جميعا داخل ما حواه الوادى فى ارضه الآن . اما فى عهدنا هذا فبد صارت مساكن البعض منهم بضواى روحه ، وسيدى بلغاسم بن عجل ونزلة رويحة ، والبليدة ، والعلافة ، والمحاريق ونزلة البق ، وسيدى مرغنى ، والفرجان ، واولاد تواتى ، وسيدى سليمان ، وسيف يونس ، والعباسية ، والبياضة . وغيرها من مداخل عميش مثل النخلة ، والرباح ، والخبنة ، والخبى ، وكذلك فى الازيرف ، والخبنة الاخرى ، والطريفى ، وبلالة ، ووادى زيتن ، وعريعير ، وام الصحوين ، وشقامط ، وامية الكلبة ، وسحبان ، ووادى العلىدى ، ووادى الترك ، واولاد مبروكة ، وسيدى عبد الله ، والقارة ، وتكسبت ، وقطاي ، والدريمى ، وحاسى خليفة ، والسويهلة ، والذكار . واما الرقبة والدميثة فهما من جملة قمار .

وسأذكر فيما ياتى انساب غير الواديين . والله المعين .

الفرجان

هذه القبيلة اصلها من الفقهة وفيها ابيات للربايع وتاخرت فى الدخول الى سوف عن جميع اقاربها فلذلك اعتبرها من لا يعرفها اجنبية عنه .

وهم كما فى ابن خلدون : اولاد عطوة بن عطية بن كمون بن فرج بن توبة الى آخر نسب الفقهة .

قال القدماء : ان الذين مع الفرجان من الربايع هم معظم اولاد جبار الله .

اقول ان اولاد جبار الله المذكورين هم من دريد كما قال ابن خلدون : اولاد جبار الله بن عبد الله بن دريد . . . الى آخر ما تقدم .

اما نسبة الربايع لهم فمن جهة الام فقط حسبما بلغنى ممن يوثق بهم ولهذا لم أعرض لذكرهم مع الربايع .

واشتهر اولاد جبار الله بالصلاح فكانت لهم مآثر تناقلتها العوام وبنوا على المنتسبين منهم قبابا تزار الى الآن بناحية مقبرة اولاد احمد شرقا .

وسبب تسمية الفرجان بهذا الاسم هو كما ذكر القدماء ان جدتهم كان كالمجنوب يتخيل كل شىء يؤذى فارتحل مرة الى الصحراء وكانت كثيرة الفئران فصار يجرى امامه وعن يمينه وشماله وهو يصيح كلما مر فأر بازائه قائلا : الفار جاني . الى الفار اتى الى . وكثر منه ذلك وعرف به ، وتداولت العامة الكلمة فتصرفوا فيها فصارت فرجان ويقال لذريته الفرجان .

وهم : اولاد هلال الذين يسمون الاهليات ، والطوافمة واولاد باحسن ويلحق بهم العوينات وهم اخلاط . والله اعلم .

وهناك مزروع آخر يقال له ابن صالح ذريته بإفريقية الشرقية . ويرى بعض الناس ان اولاد الغريب وسيدى مسلم من هؤلاء وليس بصحيح اذ قد بلغنى من ذوى العلم والتحقيق منهم انهم ينسبون الى الاشراف وقد وجدت بعد البحث فى المشجرات اسما يشبه اسم جدهم بابدال عينه المهملة بالعين المعجمة . والى الله صحة ذلك .

ومع هذه العميرة : التواغيزت ابناء التاغزوتيين الذين كانا قدما يعلمان الصبيان وتصاهرا مع اولاد زايد وصارا فى عديدهم .

وانتسب اليهم اناس من اولاد حمدة اخوة المختلطين باولاد خليفة الذين هم باعشاش الوادى يقال لهم الزعارة . وكذلك جماعة من آل عدوان يقال لهم اولاد عمران . ومعهم طائفة من بنى سليم يقال لهم الحطاطبة طوحتهم الطوائج الى اماكن عديدة وانتسبوا الى اخر محل انتقلوا منه الى تاغزوت يقال له الحطيطبة . ويذكر العامة انه دخل فى عديد هؤلاء جماعة من المخادمة يقال لهم الجلالة اى اولاد جلال بن حمرون بن مخدم . الخ . وقيل انهم من النمامشة لكنهم انتسبوا للمحل الذى سكنوه اخيرا وهو الشلالة ، وعليه فهم يسمون الشلالة بالشين المعجمة لا بالجيم .

ومع الجميع افراد قليلون من الزبدة أتوا من نفطة متأخرين واختلطوا بهم بعض الافراد من طوالة وبوسعادة .

وسبب تسمية هذه العميرة بالقبيلة لان اهلها اجتمعوا من شعاب متعددة وحين كثروا قالوا صرنا قبيلة كبيرة نقدر على القيام بشؤوننا . هكذا ذكر القدماء والله اعلم .

العميرة الثانية : العرش

سميت بذلك لان اهلها اتوا الى تاغزوت من طرود فأنتهتهم التبيلة فتلاحت بهم عائلات مختلطات من الوادى وكثروا فقالوا للقبيلة قد صرنا عرشا مستقلا من غير انضمام اليكم .

الاصليون منهم هم اولاد يركات بن كعب بن على بن يعقوب بن كعب بن ترحم بن حميد بن يحيى بن علاق بن عوف بن امرىء القيس بن بهنة بن سليم ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان .

ويليهم الزوامل فى النسب . قيل يتصل نسبهم بيعقوب بن كعب بن ترحم . الخ .

تاغزوت

كان موضعها الاول بالغوط الغربى الشمالى من محلها الان وبالطريق الاتى من تقرت الى قمار . والى اليوم توجد به آثار الجدران ومحراب الصلاة ، وضريح يزار هناك بنى حوله حائط مربع له باب يفتح شرقا جنوبا . وذلك المكان هو الذى اتاهم فيه سيدى المسعود الشابى المتقدم ذكره . وحين وقعت النفرة بينهم ارتحلوا الى القدايم وهو المكان الموجود شرقا جوفاً من مقبرتها وهناك ايضا وقعت بينهم مشاحنات ذهب بعض من اجلها الى قمار وعمر سيدى مسلم القرية الكائنة فى هذا العهد وخربت تلك وتفرق سكانها . واهل هذه يتركبون من اربع عمائر :

العميرة الاولى : القبيلة

اهذه العميرة ملفقة من عدة افواج . واصلهم الاول الذى بنيت عليه هو : اولاد زايد اخو احمد الذى هو جد قبيلة اولاد احمد . اتى ابنؤه اى ابناء زايد الى هذه النواحي بعد اولاد احمد . ولذلك يقال انهم طروديون .

وانضم اليهم اناس من تكسبت الجديدة يقال لهم الاباقيز ، ذكر القدماء ان نسبهم يتصل ببنى مزروع اى الغربيين .

اقول : مزروع هو ابن خليفة بن مخلوف بن يوسف بن بكرة بن منهاب ابن مكتوب بن منيع بن مغيب بن محمد الغريب بن حارث بن مبارك بن زغبة بن ناصر بن خفاف بن قيس بن بهنة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان .

وانضم لهؤلاء جماعة يقال لهم الكوامل . لم يذكر لى احد منهم نسبهم بمن يتصل ولا علة تسميتهم بهذا الاسم .

ومع الجميع المحارنة . ذكر لى بعض كبارهم الثقات ان نسبهم يرتفع الى معر بن عسكر بن حميد بن هبيب بن بهنة بن سليم . . . الخ . والله اعلم .

العميرة الثالثة : الصيايدة

نسبة لمحمد الصياد الذى ذكره الشيخ العدواني . وسالت كثيرا من ذوى الخبرة منهم عن نسبهم فلم يحققوا لى شيئا منه . لكن البعض من اهل هذه العميرة معروف النسب كما سيأتى وهم : اولاد موسى بن يوسف بن حريز ابن تميم بن عمرو بن وشاح بن عامر . . . الخ . والباقيون يقال لهم اولاد عبد الصادق .

وهذه العميرة كبيرة جدا لكن معظمها بقى فى قمار بعد الرجوع الى تاغزوت . والذين بها هم اولاد عمارة . والميداوى ، وبوبة ، وحمة سودة ، والمبارك ، والرجيل ، وحمة الحاج ، وحنوك ، واولاد تاتة ، والدرويش . وزرود ، وطراد ، وبريك ، وحمير ، واحمد بن صالح ، والشخار ، والزبرى ، والخزماط ، والحبيرى ، وبو ، ودهيليس ، وفرحات . والله اعلم .

العميرة الرابعة : اولاد رابح

قال القدماء انهم ينتسبون الى رابح بن تاغزوتى .

اقول : اختلف فى نسب التاغزوتى المذكور . ف قيل اسمه احمد ، وقيل اسمه زغيب (بالنصغير) وقيل عمران . ولم يذكروا اسم ابيه . ثم انه سليمى قطعاً اذ المحل الذى اتى منه وهو تاغزوت الزاب لم يدخله فى ذلك الحين سوى بنى سليم . واما بنو رياح فقد انحازوا بالجهة الغربية . وبلغنى من بعض عامتهم ان نسبهم يتصل بمزروع بن صالح ومزروع المذكور هو ابن صالح ابن ديام بن حسن بن شبابة وهو هلالى لا سليمى ولعله اشتبه عليهم الاسم فيكونون ابناء زرعة بن صالح بن قماص بن سالم بن وعب بن رافع بن ذياب ابن مالك بن بهنة بن سليم . . . الخ . والله اعلم بالحقيقة .

وهم عميرة قوية انتقل معظمها الى تاغزوت وبقى قليلها فى قمار فهى بعكس الصيايدة المتقدم ذكرهم .

وهؤلاء هم : اولاد سالم . ولم يزيدوا اسم ابيه .

اقول : لعلهم ينتسبون الى سالم بن وهب بن رافع المتقدم . ومعهم الزغابة وحسب ظنى انهم ينتسبون الى زغب بن جرو بن مالك . . . الخ .

ويتصل بهم اولاد جاء بالله . قيل يرفع نسبهم الى زايد بن سليمان بن وهب بن رافع بن ذياب . . . الخ .

ويلحق بالجميع اولاد فروة . ولم يذكر لى احد منهم نسبهم .

وتقدم ان مع تاغزوت اهل دشرة بوبياضة . والله اعلم بالصواب لا رب غيره .

اقول : ان الذى مات بجهة الميتة هو حامد آخر احد اجدادهم الاسافل
وليس هو حامد الاول .

وينقسمون الان الى اربع فصائل : الاولى : اولاد محمد ويرتفع نسبهم الى
سليمان بن عبد الرحمن بن سالم بن يوسف بن صالح بن حامد . الثانية :
اولاد نصر يتصل نسبهم حسب ذكرهم ببناء الهامل بن صالح بن حامد
المذكور . الثالثة : الشحيحات ولم يذكروا الى ابائهم واجدادهم المتصلين
بحامد . الرابعة : الاعواف ، اختلف فيهم لمن ينتسبون والراجع حسب قول
قدمائهم انهم اخوة بنى حامد والله اعلم .

العميرة الثالثة : اولاد شوية

اختلف عامتهم فى معرفة جددهم الذى انتسبوا اليه وحسب ظنى انهم
ينتسبون الى شوية احد رجالات بنى حصن بن علاق بن عوف بن امرئ القيس
ابن بهنة بن سليم . . الخ . فيكونون حينئذ سليميين ، او الى شوية احد المنتمين
الى بنى معافى بن حمزة بن معد بن خذل بن حصين بن زغبة بن رياح بن ابي
ربيعة بن نهيك بن هلال . . الخ . فيكونون حينئذ هلاليين ، والله اعلم
بالحقيقة .

وينقسم هؤلاء لهذا العهد الى اربع فصائل : الاولى : اولاد ونيس . والثانية :
اولاد منصور . الثالثة : اولاد سالم . الرابعة اولاد الحاج . ومعهم بيتان
من العياطة البهيميين وهما اولاد عيشة ، واولاد العروسى . والله اعلم .

العميرة الرابعة : الشواوى

بذكر البعض ان سبب تسمية الاولين منهم بذلك هو ما وقع بين بعض أهل
الزقم والنمامشة من مناوشات فى شأن امرأة شواوية أخذها الاولون غصباً
وآل أمرها الى تزويجها بأحد الفضلاء يقال له سيدى الحاج محمد . واولدها
بنين انتسبوا لها لاستغراب أمرها . فصار يقال لهم أولاد الشاوية ثم
الشواوى .

وهم كثيرون معروفون بهذا الاسم وانضم لهم آخرون يقال لهم بنو عاصم ،
أصلهم من مصاعبة الوادى ويتصل نسبهم بنى مناع الذين فى شباطة
الوادى .

ومعهم أولاد حمد بن معمر اخوة أولاد سيدى عبد الله الذى هو فى اعشاش
الوادى كما سبقت الإشارة الى ذلك . والتحق بهم قوم يقال لهم الكواكه ،

الزقم

كانت هذه البلدة فى اول الامر عامرة بأل عدوان فقط. ثم اختلطت بعد ذلك
بغيرهم من القبائل . وكانت قريتين اثنتين احدهما تسمى الرقوبة والاخرى
تسمى سيدى خضير فخربقا وانتقل اسمحاهما الى المكان المعروف الان .

وأهل الزقم فى هذا العهد يتألفون من خمس عمائر منها الاصليات ومنها
الملحقات .

العميرة الاولى : بنو خضراء

ينتسبون الى قرية سيدى خضير الملقبة بالخضراء تنويها بشأنها . واختلف
فى اصلهم فقول انهم من احمر خده فان يكن كذلك فمن الراجع ان يلتحق
نسبهم بنى رياح .

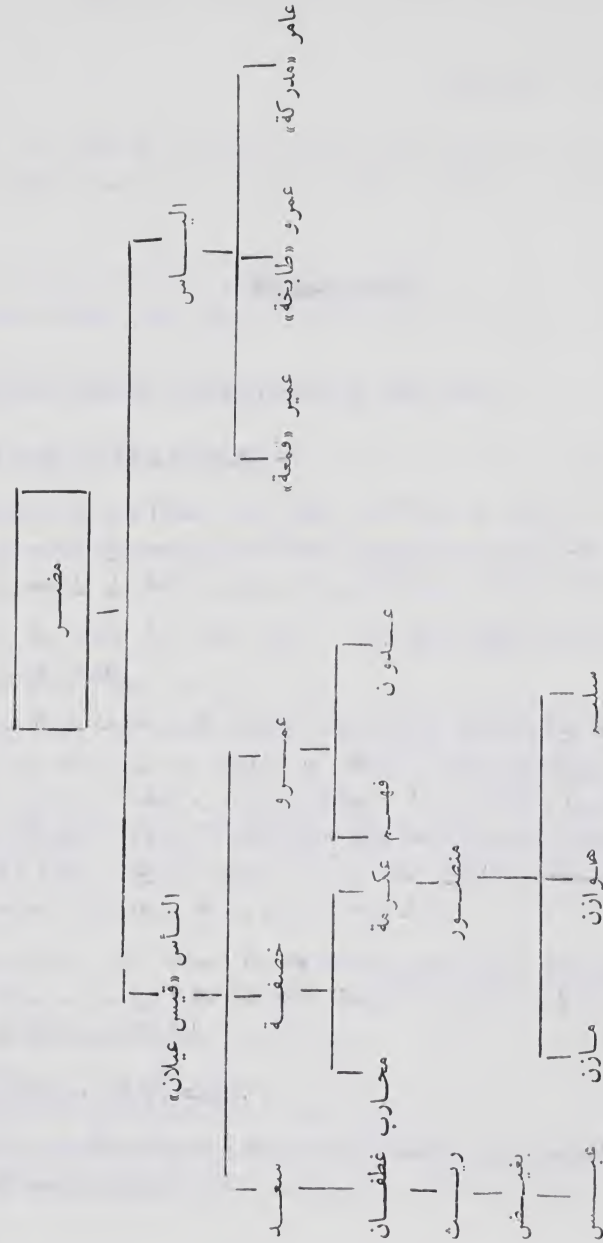
وقيل انهم من بنى ازقن . ومنهم من ينفى ذلك .

وهؤلاء قليل عددهم لكن اختلط بهم كثير من النمامشة السلميين .

العميرة الثانية : اولاد حامد

قليل انهم ينتسبون الى حامد اخى احمد جد قبيلة اولاد احمد فيكونون
حينئذ طروديين واخوة لاولاد احمد اهل الوادى . والله اعلم .

وقيل نسبة الى حامد آخر احد اجدادهم ويذكرون ان جددهم حامدا هذا بعد
ان استقر قراره بالزقم ترك ذريته بها ورجع بزوجته الى ناحية الميتة اذ كان
محباً للبادية فمات بها .



يتصل نسبهم بدريد اذ جددهم أتى من هناك مع أهل الوادي حين أتوا من تلك الناحية • فعلى هذا يكون اتبانه متأخرا ، وتصاهر مع الشواوي فصار في عديدهم •

واختلط مع الجميع أبوت من النمامشة • والله أعلم •

العميرة الخامسة : أولاد سعيدان •

أصلهم من أولاد حميدة الذين هم باعشاش الوادي • سكنوا الدييلة زمنا • وحين أتى الشيخ فرحات وخرّب نصفها الغربي وكانوا هناك ، انجلوا الى الزقم واستوطنوها • وهم بها قليلون • وأكثرهم لا يعرفون آبائهم لانهم ماتوا بالدييلة في تلك الواقعة وقد فروا منها قبل التمييز والله أعلم •

وليس مع هؤلاء خلط الا ما ندر وهو لا حكم له . والله أعلم .

العميرة الثالثة : الصاييدة .

مرت ترجمتهم قريبة فى تاغزوت وانهم ينقسمون الى فصيلتين هما : أولاد موسى ، وأولاد عبد الصادق . وأكثرهم هنا لم يرجع منهم الى تاغزوت الا القليل .

قال القدماء : ذهب من هؤلاء زمن المشاحنات جماعة الى جبل أوراس فتصاهروا فيه ورجعوا مع اصهارهم ولكن لا يعرفون من هم أولئك الاصهار .

أقول : انهم من شوايخة الوادى الذين هم مع شباطة المصاعبة أو أقاربهم .

وانضم اليهم من تاغزوت أناس يقال لهم التوام على ما أظن انهم من عميرة القبيلة .

وانتمى للجميع افراد قليلة من النمامشة السليمين ، والله اعلم .

العميرة الرابعة : أولاد رابح .

سبقت نسبة هؤلاء فى تاغزوت أيضا . وهم هنا قليلون جدا حتى ان بعضهم اقتصر على ذكر من انتموا اليه . وهم : الهويمات ، اولاد هويل ، ابن رابح . ولم يذكروا لى فوق ذلك .

ويزعم البعض ان معهم ابياتا من حراطنة غدامس وهم ينفون ذلك . كما اختلطت بهم عائلات من أولاد زايد أهل تاغزوت ، واناس من ورقلة قيل انهم برابرة . والله أعلم .

العميرة الخامسة : أولاد بوعافية .

ذهب النسابون فى تحقيق نسب هذه العميرة مذاهب شتى ، منها انهم من بنى زيان بن ثابت بن محمد بن ينورسين بن طاع الله بن على بن يصل بن فرقين بن القاسم . ومنها انهم من صنهاجة بن عاميل بن زعزاع . ومنها انهم ابناء عافية بن ابي بكر بن حمامة بن محمد بن ورزيز بن فكوس بن كرماط ابن مرين . فعلى الاقوال الثلاثة هم بربريون . وآخرها أقرب من جهة التعليل .

قمار

أهل هذه البلدة يتركبون من خمس عمائر وعى :

العميرة الاولى : أولاد عبد القادر .

يتمسبون الى عبد القادر أحد احفاد عبد القادر بن خليفة بن سعد بن خنفر بن مبارك بن فيصل بن سنان بن سباع بن موسى بن كمام بن على بن خذل بن حصين بن زغبة بن رياح بن ابي ربيعة بن نهيك بن هلال . الخ .

وهم أكثر عمائر أهل قمار بيوتا . ومع هؤلاء بيوت أشراف يقال لهم أولاد سيدى التهامى .

ومعهم أفراد قليلة من آل عدوان كانوا يعرفون بأولاد صالح العدواني كما انضم اليهم أناس من بنى معروف بن عطية بن كمون بن فرج بن توبة بن مبارك بن عامر بن عطية بن دريد بن الاثيخ . الخ وعليه فهم فى الاصل من أعشاش الوادى . ويوجد خلالهم أفراد يقال لهم أولاد راشد انضموا اليهم بالمصاهرة ويعسر تمييزهم منهم . ذكر لى بعض وجهائهم القدماء انهم من جبل نفوسة الذى بقرب قابس ولم يزد على ذلك .

أقول ان أهل تلك الناحية أى نفوسة أكثرهم من أولاد جارية بن وشاح الذين تقدم نسبهم فى أولاد جاء بالله الذين هم بعض من أولاد أحمد فلعل هؤلاء من اخوانهم والله أعلم .

العميرة الثانية : أولاد حميد .

تقدم نسب هذه العميرة وتفصيل أمرها مستوفى مع العزالة الذين هم بعض من مصاعبة الوادى .

وقيل أيضا انهم أبناء عافية بن داود بن مرداس بن رياح بن ابي ربيعة
ابن نهيك بن هلال . الخ . وعلى هذا فهم عرب والتعليل يناسبه أيضا .
والله أعلم بالحقيقة .

ومع هؤلاء كثير من الهامة النوافلة ، والبلايش ، والبركات ، والحوتة ،
وبعض السوارى من أهل البهيمه الذين سيأتى ذكرهم ان شاء الله .

وقد سبق القول ان الدمينه والرقيبه من جملة قمار والله أعلم .

البهيمه

قد علم الجميع ان البهيمه كان محلها الاول بقرب الزقم الآن غربا شمالا
منها ، وهو المحل الذى به الجدران والحجارة المبددة ، وزاوية سيدى محمد
الشريف الى اليوم . وانتقل أهلها بعد خراب تلك الى المحل الكائن لهذا العهد .
وأهلها الآن يتألفون من خمس عمائر .

العميره الاولى : العيايده .

تقدم نسب هذه العميره مع أولاد أحمد الوادين .

واختلط بهم أناس من أولاد فادع بن على بن عمر بن رياح بن ابي ربيعة
ابن نهيك بن هلال . الخ . ويذكرون ان فيهم أبياتا من العرب الغرايه
لا يدرون بمن يتصل نسبهم .

العميره الثانيه : العيايطه .

ينتسبون الى جدهم العياط . وذكر الشيخ العدوانى ان سبب تسميته بذلك
هو انه كان يعيط أى يصيح على نوبه شيخه اعنى ينادى بالاقبال عليه ويحرض
الناس على خدمته واتباعه .

والعياط المذكور لم يخرج من الزقم بل مات فيها وهو المقبور فى مقبرتها
الجوفيه (الشماليه) وانما انتقل ابناءؤه فقط وبقي منهم بيتان كما سبق ذكرهما
فى الزقم وهم : أولاد عيشة ، وأولاد العروسى .

ذكر بعض العارفين بنسبهم ان جدهم المذكور يسمى احمد العياطي . اصله من بنى رحمن بن يزيد بن مرداس بن رياح بن ابي ربيعة بن نهيك بن هلال . الخ . أتى أبوه من العرب الغرابية . فلما وصل الى مكان بقرب جامعة حوز تقرت يقال له عياطة ولد له احمد المذكور فنسب الى ذلك المكان ثم انتقل منه وسكن الوادى مع أقاربه من العازلة . وكان ذا ديانة وورع لم ترضه سيرة بعض ممن هو معهم فانتقل الى الزقم حتى قبر بها .

أقول : وهم الآن كثيرون واختلط بهم آخرون من بنى عيار الذين هم حول تونس مع دريد . وتصاهروا معهم وتسموا بهم . والبعض يسمى الجميع العيايرة . والى الآن يعرفون بالاسمين الاثنين المذكورين .

ومع هؤلاء أبيات من الاشراف أتى جدهم من نقطة فبحث عن مشجرهم فلم اقف على أمر يقين . لكن سمعت من بعضهم ان نسبهم يتصل بنسب سيدى ابراهيم بن احمد صاحب الزاوية القادرية بنقطة فالتسمت مشجرة من نجله الكريم الشيخ محمد الهاشمى الشريف صاحب الزاويتين القادريتين بعميش وتقرت فامدنى به ونصفه هكذا . سيدى محمد الهاشمى بن القطب سيدى ابراهيم ابن احمد بن محمد بن عطية بن ابراهيم بن محمد بن اسماعيل بن عيسى بن احمد بن عبد الوهاب بن عبد الله بن محمد بن احمد بن احمد الغمارى بن عبد الوهاب ابن عبد السلام بن مشيش بن ابي بكر بن علي بن عيسى بن مزور ابن هدى بن ضرار بن محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن محمد بن الحسين بن فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر الشيخ العدواني ان جد العياطة هو أول من عرف الاثر (الجرة) بسوف .

أقول : ان العياطي أتى الى سوف فيما يقال قريبا من مقدم سيدى المسعود الشهابى . ومعرفة الاثر سابقة لذلك العهد بل كانت قبل خراب تكسبت القديمة حين خرج من سورها وصيف سيدى عبد الله السابق ذكره فى باب خراب تكسبت القديمة . والله اعلم .

العميرة الثالثة : الفوالين .

قال القدماء : كان فى زمن الفتن التي وقعت بوادى ريغ وخربت بسببها وغلانة احدى مداشر تقرت وتفرق أهل تلك البلدة أت منهم جماعة الى أرض سوف ونزلوا على أهل البهيمة وصاهروهم وانضموا اليهم وتسموا باسمهم ،

لكن بقيت عليهم نسبة ارضهم الاولى . فكانت فى الاصل الوغلايين ثم بعد تصرف الالسنه تحولت الى كلمة الوغاليين لكن العامة لا تراعى الالفاظ فأدخلوا عليها القلب المكانى بتحويل الغين المعجمة الى موضع الواو ، ونقل الواو الى موضع الغين .

وهم الى الآن غير كثيرين متميزين بالالوان والاسماء . وانضم لهم أفراد مولاتيون ، وأبيات من طرود وأخرى من الرباع ، وقيل انه انتمى اليهم أيضا بعض من أهل علقمة النفطيين ، وبعض الديبليين . والله أعلم .

العميرة الرابعة : السوارى .

قال الشيخ العدواني : هم أولاد سارى العدواني . ولم يزد على ذلك . أقول : وان لم أفق على هذا الاسم فى انساب العدوانيين السفلى فقد وجدت فى العليا السيد سارية بن حصن أو الحصين أو زعيم الديلمى الصحابى وصاحب الواقعة المشهورة مع سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما . فقد ذكر الشيخ زكرياء فى شرح قول صاحب المنفرجة :

وأبى حفص وكرامته فى قصة سارية الخلج

قال انهم قوم من العرب من عدوان الحقم عمر بالهارث بن مالك بن النضر ابن كنانة .

وقال الشيخ السيوطى : « سموا بذلك لانهم اختلجوا من عدوان أى اقتطعوا منه » .

وانضم مع هؤلاء حسب قول القدماء لفائف كثيرة من أولاد مولاة وصاروا لا يتميزون عنهم ثم ذهب من الجميع أفراد الى الديبيلة وآخرون الى قمار .

كما انتسب لهم جماعة من الهامة الرضوانيين أقارب الموجودين مع قرافين الوادى ، وأناس من افركان لا يعرفون من أية قبيلة هم .

أقول : انهم من بنى مزروع بن صالح الذين هم بتاغزوت الآن اذ قد أتوا من هناك . والله أعلم .

العميرة الخامسة : الوهايبة .

ينتسبون حسب قول قدمائهم الى عبد الوهاب السلامى .

أقول : فان كانت نسبة السلامى الى أولاد سلام الذين هم بالهامة الآن فهم من أولاد سلام بن ليبد بن لعنة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن مالك بن زغبة بن نصر بن زايد بن سليمان بن وهب بن رافع بن ذياب ابن مالك بن بهثة بن سليم . . . الخ كما ورد ذلك فى « المنهل العذب » .

أقول : ويقرب هذا النسب لهم اذ أنهم يعرفون الآن بالزغبين أيضا . ولعلمهم انتسبوا الى وهب بن ذياب الذى فى سلسلتهم اذ العامة لا تضبط الانساب . وان كان المقصود سلام آخر فالله اعلم بذلك .

ويزعم بعضهم انهم دخلوا أرض سوف متأخرين جدا بعد أن كانوا فى برقة وانتقلوا منها الى قمودة ومنها الى وادى سوف فنزلوا مع الرضوين . ثم بعد حين وقعت بينهم مشاحنات انتقلوا من أجلها الى البهيمة وهم بها الى الآن . ويقال ان منهم أبياتا مع أولاد حامد بالزقم . والله اعلم .

كوينين

قد سبق أن المكان الذى به القرية الآن هو الذى سمي كوينين . وعليه فهى لم تنتقل من محلها وان كان أهلها فى أماكن متعددة بعد أن انتقلوا منها . وأهلها فى هذا العهد ينقسمون الى خمس عمائر .

العميرة الاولى : القوايرير .

قال القدماء : ان جدهم الذى ينتمون اليه كان أصل آبائه من اشراف المغرب القادريين . أتوا الى توات فاختلطوا بأهل قورايرا . ثم ولد لهم هذا المولود هنا فنسب لذلك المحل . وبعد أن كبر طوخته المقادير الى أن نزل على رسوم القريتين اللتين كانتا فى طريق تقرت بقرب سيف سلطان فسكن هناك . وبعد زمن يسير انتقل الى موضعه الان الذى بقرب كوينين قبل عمرانها بمدة مديدة ، وان العميرة الموجودة لهذا العهد تناسلت كلها منه الا بيتا أو بيتين من غدامس ويعرفون من بينهم بهذه النسبة . والله اعلم .

العميرة الثانية : السوفية .

أصلهم من أولاد خليفة الذين هم باعشاش الوادى سكنوا الهنشير القديم فأثامهم رجل من نفاوة يقال له سيدى زكرى ، عرف بينهم بالصلاح فأمرهم ببناء بويتات هناك واختلط بهم وتظاهر معهم فصار منهم . وأمرهم بالاحتكاك فى المأكول والملبس ورتب لهم عوائد لا يتجاوزونها . ونهاهم عن الخروج عن طورهم قائلا لهم : ان حافظتم عليها - اى العوائد - تكونوا انتم السوفية وسواكم يخرج من أرضه . فحافظوا على شروطه وتم لهم دوام السكنى بسوف كما قال وصاروا يفتخرون بذلك على غيرهم .

وانضم لهم هؤلاء جماعة يقال لهم : أولاد بلحسن أصلهم من تاجرونة التي بقرب عين ماضي ويعتقدون انهم ينسبون الى سيدى أحمد بن يوسف شهير النسب .

كما انضم لهم أناس يقال لهم الكناكنة أصلهم من الهنشير الآخر ونسبهم يتصل بأولاد زايد اهل تاغزوت .

وانتمى لهم آخرون يقال لهم اولاد عياش يتصل نسبهم بأولاد نابت الذين هم بالزاب الشرقى كما سبق تعريفهم ونسبهم .

ويقال ان معهم أناسا من الوهاهة البهيمين الذين من نسبهم قريبا يقال لهم أولاد مبارك ومعهم جماعة يقال لهم الشهاونة من أولاد خليفة أيضا لكنهم أتوا الى كوينين متأخرين جدا . ويزعم البعض منهم انهم أتوا اليها فى عام الهمامة . والله أعلم .

العميرة الثالثة : الجيرات .

أصل الاولين من جيرات الوادى وسميت العميرة بهم وان كانوا متأخرين لكنرتهم .

ومعهم بنو مجور الذين سبق تأصيلهم ويقال لهم العكاكشة ويزعم بعضهم ان العكاكشة غير بنى مجور .

ومعهم أيضا الزيدة وقد من نسبهم بالوادى وفيهم تعينت القيادة على جميع أولاد سعود . وسيدى عون .

ومعهم مصغونة وقد سبق تعريفهم فى المصاعبة .

ويقال ان فيهم أبياتا من مزاريع تاغزوت الذين من نسبهم .

وانضم لهم جماعة يقال لهم أولاد حوية لهم بيت واحد من أقاربهم فى تكسبت الآن سالت القدماء منهم عن نسبهم فقبل الى انه يتصل بفيصل بن سنان بن سباع بن موسى بن كمام بن على بن خذل بن حصين بن زغبة . الخ .

كما انضم لهم قوم يقال لهم أولاد حمزة لم أتتحقق من نسبهم والقرائن تشير الى انهم من أحد نسبي سعيد أو عتبة ابنى مالك بن رياح بن أبى ربيعة

ابن نهيك بن هلال . الخ . اذ كثير أخبرونى بأنهم أتوا من الناحية التى بها أولئك .

ومع الجميع عائلات يقال لها أولاد غنام ، الله أعلم بنسبهم . وطائفة من نفطة يقال لها العثمانية ينتسبون الى سيدى عثمان بن زايد وهو رجل صالح متبور الآن بكوينين وعلى ضريحه قبة تزار بجبانة (مقبرة) كوينين الغربية الجوفية (الشمالية) . ويذكرون انهم من الاشراف ولا أدري هل يقصدون بذلك شرفا نسبيا أو شرفا صوفيا فقط لانهم يعتقدون أن جميع من أشير الى أبيه أو جده بالخير والصلاح فهو شريف بصرف الطرف عن نسبه . والله أعلم .

العميرة الرابعة : المناصر .

بحسب ما سمعت من الشيخ نصر أنهم ينتسبون الى منصور أو ناصرة بن امرئ القيس بن بهنة بن سليم . اذ قال لى انهم من المناصر الذين هم بمحاميد طرابلس .

وهم قليلون بكوينين ومعهم ابيات من بنى جبنون بن حنيش اهل الوادى . والله أعلم .

العميرة الخامسة : القوائد .

يظن من لا يعرفهم أنهم من قوائد الوادى وليس بصحيح اذ أولئك بربر وهؤلاء عرب بل من مشاهير العرب ولهم وقائع معروفة بسرت فى طرابلس .

جاء فى « المنهل العذب » : القوائد اولاد قائد بن حريز بن تميم بن عمر ابن وشاح بن عامر بن جابر بن فاتك بن رافع بن ذياب بن مالك بن بهنة ابن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . ثم ذكر بعد ذلك انهم كانوا بتلك المواطن مع أولاد أحمد . والله أعلم .

ومن الثاني : خزان ، ومنه محمد ، والقدرى ، وسعد ، ومبارك ، وحمد ، ومبروك ، ثم محمد ومنه احمد وبلقاسم .

ومن الثالث : عبد النور ومنه عيسى . ثم نصيب ومنه مبروك ، ومحمد ، وعلى ، وخليفة ، وعمار . ثم احمد غنايم ، ومنه محمد ، وعلى . ثم على ومنه محمد ، والاخضر ، والشريف ثم عمارة ومنه عبد السلام . ثم مبارك ولم يعقب .

ومن الرابع : القدرى ومنه على ومحمد . ثم حامد ومنه مسعود ، ومهنى واحمد . ثم عمار ومنه سعد ، ولطاهر . ثم سالم ومنه حميدة وبلقاسم . ثم سعد ولم يعقب . ثم نصر ولم يعقب . ثم احمد ومنه محمد . ثم عيسى ولم يعقب .

ومن الخامس : قدور ومنه يوسف ، وبلقاسم .

ومن السادس : احمد ومنه حامد . ثم عبد الحميد ومنه محمد . ثم مولود ومنه عبد الله ، وعبد الرزاق ، وسعد . ثم عبد العزيز ومنه عبد الجواد ، وسارى ، وعلى . ثم عمار ومنه عبد النور ، وبلقاسم ، وعلى واحمد واللبى . ثم عبد الستار ومنه الاخضر ، واحمد ، وعمار ، وعلى .

فهؤلاء هم ابناء سيدى على الخزاني الاصليون . وما عداهم فليسوا منه اذ قد انضم اليهم افراد من الوادى ومن قمار والبهيمة وكذلك من النمامشة وغيرهم والله اعلم .

الدبيلة

تقدمت تسمية القرية فى باب الاماكن المعروفة بسوف .

واما سيدى على بن خزان فاصله من المغرب اتى الى هذه النواحي متاخرا وطاف عدة اماكن . ف قيل انه قدم الى الوادى اولا وسكنه زمنا يسيرا ثم انتقل الى قمار ولم تطل اقامته فيها . ومنها الى البهيمة ثم سافر الى تونس . وقيل انه خدم سيدى على الحطاب وقد لحق به اقاربه فى المغرب فسكنوا الحلفاوين الذى هو حى من احياء تونس .

ثم رجع سيدى على المذكور الى ارض سوف وسكن المكان المعروف الان بالدبيلة الخالية شرقا من قرية الزقم ومنها انتقل الى البهيمة فامر به بعض الصالحين بالانتقال الى محل الدبيلة الحالى فانتقل اليه على نحو الصورة السابق ذكرها .

وقد ولد للشيخ سيدى على بن خزان ولدان ، ابن وبنت الاول يقال له عمار . والثانية تسمى فاطمة وتلقب بالزايلى تشبيها لها بالزايلى العجما لعدم تمييزها . تزوجت بانسان من البهيمة ووقع بينهما نسل كثير وهم الذين يقال لهم اولاد فرج بقرية الدبيلة . وقيل ايضا ان البنت اسمها مبروكة ولم تعقب .

اقول : ان الراجع هو الاول لان القائل بالاخير لم يذكر اولاد فرج لمن ينتسبون بعد ان سرد الذرية التى تناسلت من سيدى على الاصل .

وولد لابنه عمار ابناء وهم : عبد الملك ، وعيسى ، وخليفة ، واحمد ، وبلقاسم ، وعلى .

فمن الاول : قدور ، ومنه احمد ، ثم صالح ومنه مليك .

ثم وقعت وحشة بين أبناء سيدي احمد الراشد خرج من اجلها سيدي عون الاصغر واخوته السيدة هنية ونزلا بقرب الطريفاوى شمال القرية الموجودة الان وهو مكان به كثير من الطرفاء النابتة فى حافات الواديين السابق ذكرهما . فجعلنا منزلا هناك وانضم لهما اناس من الزقم ، وقمار ، والبهيمة فبنوا منازل قريبهما وبجميعهم تقرت قرية .

وكان سيدي عون يرعى غنما بالصحراء فجرت له وقائع مع الذئاب وقطاع السابلة .

وبعد زمن رأت السيدة هنية رؤية مزعجة وان تلك القرية ستخرب فاخبرت اخاها برؤياها فارتحلا منها ونزلا بالمكان الحالى المسمى سيدي عون باسمه .

وبعد رحيلهما من القرية الاولى وقع شئان بين اهلها وبين بعض الاقوام ففر اهلها منها والتحقوا بسميدي عون واخوته .

وولد لسيدي عون ذرية واتتهم بعد ذلك ذرية اخيه سيدي ابراهيم فتركبت من جميعهم البلدة الموجودة الآن .

وعندما مات سيدي عون شيدت عليه قبة تزار الى اليوم .

والذين هم بتلك البلدة ينقسمون الان الى ثلاث عمائر وهى :

العميرة الاولى : العواينية : اولاد سيدي عون المذكور .

العميرة الثانية : الابراهيمية : اولاد سيدي ابراهيم اخيه .

العميرة الثالثة : العوافى : وهم الاخلاط نسبوا كلهم الى اولاد بوعافية اهل قمار لانهم الاكثريه .

وهذا آخر الكلام على انساب اهل سوف وما يتعلق بها .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

سميدى عون

سبق القول ان القرية سميت باسم سيدي عون بن مهلهل وابن ابنه . والصواب انها سميت باسم سيدي عون بن سيدي احمد بن سيدي عون بن مهلهل وهو الذى جاء من اشراف المغرب وطاف كثيرا من البلدان الى ان وصل الزاب وكان محبوب البصر .

ومما حكى انه التقى فى الزاب بقوم من اهل الزقم يكتلون الجيوب فالتمس منهم الذهاب معهم الى ارض سوف فقبلوا منه ذلك . ولما وصلوا الى البعجة (وهى بئر فى طريق الزاب) امرهم بالاختفاء خوفا من وقوع الاغارة عليهم فامتثلوا واختفوا بمحل منخفض . وبعد هنيهة سمعوا وقع الركاب ولفظ الراكبين من قطاع السابلة . وحين انجلى الغبار امرهم بالسير فخرجوا من محل اختفائهم فاذا آثار الخيل قريبة من منزلهم . فازدادت محبتهم للشيخ واکرامهم له على نصيحته وبعد نظره . ولما وصلوا اخبروا اقوامهم واهاليهم بما وقع فنوه اهل الزقم بشأنه وزوجوه منهم امرأة خيرة فولد لهما ابن صالح يقال له احمد الراشد ، ولما كبر هذا تزوج وولد له ثلاثة ابناء وهم : سيدي عون الاصغر ، وسيدي ابراهيم ، وسيدي محمد ، وثلاث بنات وهن : السيدة عزيزة ، والسيدة مريم ، والسيدة هنية .

ومات سيدي احمد الراشد فى حياة ابيه وقبر بمقبرة الزقم الشرقية وضريحه بها يزار الى الان .

وبعد زمن يسير انتقل سيدي عون الاكبر الى الدار الاخرة وقبر بازاء ابنه . وكثير لا يعرفون قبره لهذا العهد . قيل كانت وفاته عام 1195 هـ / سنة 1781 م .

- الشريشى الكبير على مقامات الحريرى
- القزوينى فى عجائب المخلوقات
- حياة الحيوان الكبرى
- الشيخ داود الانطاكى
- النخبة الازهرية
- اقوال القدماء •

مراجع الكتاب

- تاريخ الخطط للمقرىزى
- تاريخ ابن خلدون
- تاريخ العدوانى
- المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب •
- رحلة العياشى
- كفاية الطالب
- رحلة بنى هلال
- فتوح افريقية
- رحلة ابن بطوطة
- تاريخ ابن خلكان
- المؤنس فى تاريخ افريقية وتونس
- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية
- كنشاش الشيخ العروسى
- مخدرة الشيخ العروسى
- رقم الحلل ونظم الدول
- سرح العيون
- العقد الفريد لابن عبد ربه

موضوعات الكتاب

7	الى روح الشيخ ابراهيم بن عامر
11	نبذة من حياة المؤلف
15	توطئة
19	تمهيد
25	مقدمة الكتاب
26	المغرب الاوسط
28	وادي سوف
30	بسكرة
31	تقمرت
33	ورقلبة
34	غرداية
36	الاغواط
37	حدود سوف
38	تسمية سوف
40	صفة ارض سوف
47	تغيير ارضها
50	صفة جوها

156	تنبيه
160	انتقال طرود الى الرادى
164	تنازع طرود و زناة
166	خراب تكسبت القديمة
173	دخول بنى سليم الى سوف
175	تذييل
177	خروج بنى سليم من سوف
180	وفد طرود للشبابى
183	غرس النخيل بسوف
185	مرور المغاربة بسوف
186	اكرام الباي لاهل سوف
188	اغانة طرود للباي
190	بناء سور الوادى
192	اتيان سيدى المسعود الى سوف
195	اختلاط اهل سوف باهل الزاب
197	اغانة اهل الصحراء لصاحب الجزائر
199	انتقال الربائع من الوادى
212	واقعة الشيخ احمد بقممار
213	بناء البهيمه الجديدة
214	ايواء اهل قمار للشيخ احمد
215	وقائع الشيخ فرحات بسوف
220	مناوشة الحناشى للقماريين
221	مناوشة اهل الوادى
222	رجوع الصيايدة واولاد رابع الى تاغزوت

52	انواع نباتها
67	حيواناتها وحشراتهما
76	صفة عيشها
81	صفة عمرانها
86	مصنوعات اهل سوف
90	الاماكن المعروفة بسوف
101	تذييل
103	الاجناس فى سوف - البربر
107	الكنعانيون
109	الرومان
112	الفندال
114	الروم
116	الفتح العربى لافريقية
120	مرور العرب بسوف
121	انتقال العرب من الحجاز الى مصر
123	مرور العلويين بسوف
126	تذييل
128	دخول بنى هلال وسليم الى افريقية
136	تجدد عمران سوف
140	انتقال عدون الى الجردانية
147	انتقال طرود الى عقلة الطرودى
151	دخول بنى مرداس الى سوف
154	رجوع الطرود الى عقلة الطرودى

285	المصاعبة
286	قبيلة الشبابة
292	القرافين
296	العزازلة
300	الشعانية
302	الربايح
304	اولاد جامع
305	الاعشاش
312	الفرجان
314	تاغزوت
318	الزقم
322	قمار
325	البهيمية
329	كوينين
332	الدبيلة
334	سيدى عون
336	مراجع الكتاب
339	الفهرس

224	محاولة فتح قمار
225	بناء الدبدابة
227	تمام عمران كوينين
229	دخول الدولة الفرنسية الى الجزائر
232	فتوى سيدى ابراهيم الرياحى
237	واقعة اهل الوادى مع الشيخ على
239	اضطراب اهل سوف
241	الزوابع فى سوف
247	وصول القوات الفرنسية الى تڤرت وسوف
249	تخرج حالة سوف
251	اكرام اهل سوف للنمامشة
252	واقعة قمار مع الشريف
255	ايواء اهل سوف للهمامة
257	استقرار الدولة الفرنسية بواى ريغ وسوف
261	باب الانساب
263	الحكم فى معرفة الانساب
264	نسب العرب
266	نسب قيس عيلان
268	سليم وهلال
269	طروود وعدوان
271	تذليل
276	تنبيهات
277	نسب اهل الوادى
278	قبيلة اولاد احمد



عوامر الجيلاني
مؤلف الكتاب

تم طبع كتاب
الصروف في تاريخ الصحراء وسوف
بمطبعة الدار التونسية للنشر
جمادى الاولى 1397 / ماي 1977
- تونس -



سرج من صنع صحراوي



البياضة احدى قرى عميش



مدينة بسكرة



حفلة تقليدية



مسجد عقبة بن نافع ببلدة سیدی عقبة



مسجد سیدی علی بن خزان وضریحه بالديلمة



جانب من حی اولاد احمد



مدينة الوادي بقبابها وادماسها



مدينة ورقلة



مدينة وادي سوف



الزقمة موطن المؤرخ الشهير الشيخ العدواني



مسجد سيدي المسمعود

بـوادي سوف



أقدام بشرية مختلفة الأشكال : صغيرة وكبيرة ، قصيرة وعريضة ،
 رقيقة وغلظة تعرف كلها بالتدقيق من آثارها في الأرض عند
 القاف (أهل الجرة) • انظر أعلاه فصل : « خراب تكسبت القديمة »
 التعليق (6) •



مهرجان شعبي بمناسبة عيد الاستقلال



صورة تذكارية لابن المؤلف في قرية سيدى عون •



الامير عبد القادر الجزائري



مدينة غرداية



مدينة الاغواط



مسجد كوفين



منظر من مدينة تكريت



الدبيلة ، قرية من قري سوف



تماسين احدى ضواحي تكريت



فرقة من جيش التحرير الوطني الجزائري

خرج الشيخ ابراهيم الى دنيا العمل وقد اتسم دراسته بتونس فوجد منطقة سوف ونواحيها ترضخ لحكم استعماري عنيف ، مكبلة بنظام عسكري شديد قوامه السيطرة على العقول واخضاع النفوس ، وبث الشقاق والتفرقة بين القبائل بل بين افراد العشيرة الواحدة او الاسرة الواحدة وكادت تسود اخلاقي الجاهلية الاولى كامل المنطقة .

رفع صوته لاصلاح ما كان فاسدا وقد رسم لكفاحه خطنه المستوحاة من ذكائه الوقاد فذهب رحمه الله يجمع الناس حوله بعنوان مسامرات دينية ودروس في تفسير القرآن .

كانت مسامراته ودروسه مركزة على التوعية وايقاظ الضمائر فاستطاع بفضل ما جبل عليه من فصاحة وصراحة ان يجمع حوله الكثير من الاتباع بل قلما كان يخلف من اهل الوادي عن دروسه والاستفادة من تعليماته . ونوصل بفضل ما عرف به من شجاعة أدبية وغيرة وطنية ان يهدي الله على يديه خلقا كبيرا .

« **المصروف في تاريخ الصحراء وسوف** » وثيقة تاريخية تصف الصحراء : مدنها وقراها ، ترابها واحجارها ، عمرانها وصفة عيش اهليها وصفة جوعها . وتذكر اول من سكنها ومرار العرب بها ومرار العرييين بها اول مجيئهم الى المغرب ، وانتقال طرود اليها ، وذكر انساب القبائل واسمائها وما كان بين أهل سوف واهل تونس واهل طرابلس من صلات وتقات . وذلك منذ عرفت في التاريخ الى الاحتلال الفرنسي واستند في ذلك على بعض المخطوطات كتاريخ العدواني وغيره ، وعول في بعض الاخبار على اقوال المعمرين من الشيوخ الذين ادركهم .